وقائع من تاريخ يافع

(رواية - دراسة - تحليل)



محسن بن محسن ديان

بشموخ آبائنا ورعايتهم نكتب تاريخ وأمجاد يافع



الشيخ عمر قاسم

وقائع من تاريخ يافع

(رواية - دراسة - تحليل)

للمؤلف

محسن ديّان



الأستاذ عبد الله الناخبي والأخ سالم عوض
عند الالتقاء بذلك الرجل المؤرخ الوقور

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله على مواهبه ... وعطاياه الجميلة وأصلي وأسلم على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد.. فقد شعرت براحة نفسية واطمئنان عندما تصفحت مؤلفاً يثلج الجنان وتنشرح له النفوس التي طالما هالها تعتيم التاريخ اليافعي بصورة خاصة، وتاريخ القبائل العربية الجنوبية بصورة عامة .

واليوم وقد تفضل ابننا الأديب الأريب محسن بن محسن ذيّان الشاب الباحث المؤرخ الذي هزّه الوجدان وحفزه حب الأوطان فبذل مجهوداً عظيماً أقرّ به العيون وأثار به الشجون وأبدى لنا عجائب قلّ من يعرفها وشخصيات كادت أن تذوب ويجر عليها الدهر ثوب النسيان، إذ كتابة (وقائع من تاريخ يافع) في نظري يعد مرجعاً مهماً لرواد التاريخ وموسوعة تغني الباحث والمؤرخ، لقد بذل مجهوداً عظيماً يوجب الشكر والتقدير.

وأرى أن شباب يافع لهم القدرة على الانتاج الأدبي والاجتماعي والتاريخي وسائر العلوم والفنون لو وجهوا إلى ذلك ووجدوا من يشجعهم مادياً ومعنوياً.

وهذا السفر القيم يجب أن نعتز به ونفخر بما حواه من معلومات قيمة وإحياء تراث الآباء والأجداد بأسلوب علمي موثق بالأدلة والبراهين والشعر الحلي الذي هو سجل مهم من سجلات التاريخ، ولازال أمامنا الشيء الكثير والمشوار طويل، للقبيلة اليافعية التي فرضت وجودها في الوطن العربي وغيره جاهلية وإسلامية، ولا غرابة لما كان حمير الأول هي المنطقة المسماة «سرو حمير» والتي هي منطقة يافع الكبرى، ثم تكونت المملكة الحميرية وتأسست في يافع ثم نقلت عاصمتها إلى «ريدان» عندما تم لها الأمر والسلطة على اليمن عامة، ولكن كما هو معروف فالحنين إلى الوطن الأول حيث كان سرو حمير يزخر بالسكان ومنه انطلق الحميريون يوسعون مملكتهم وصار منهم الملوك والتبابعة الذين اجتازوا الجزيرة العربية إلى غيرها من المقاطعات المجاورة كالشام والعراق وافريقيا.

وعندما اعتنق اليافعيون الاسلام أصبحوا قوة للإسلام وأسهموا إلى حد كبير في الفتوحات الاسلامية وتعتبر أكبر هجرة ليافع الذين استجابوا لنداء الخليفة الثاني

فتسامحوا مع اخوانهم العرب في الأراضي القريبة والبعيدة في آسيا وافريقيا واسبانيا كما هو معلوم.

ومن المسرّ والمفرح أن يقوم الشاب النشيط المؤهل والباحث الابن دبان إلى إخراج هذا السفر الذي يحوي على معلومات قيمة يجهلها الكثير من أبناء يافع خاصة ومن العرب عامة.

لقد أتى هذا الشاب الذكي والباحث الدؤوب بما يعتز به العربي وبالأخص اليافعي، وقدم للمكتبة العربية هذا السفر المفيد ليعرف القراء على هذا الجزء الحبيب من الوطن العربي الذي ظل دهراً طويلاً يكاد يكون معزولاً لايعرفه إلا أفراد قلائل بسبب التعتيم والتجاهل الذي سلكه المؤرخون عن عمد أو عن تجاهل.

واليوم قد بدأنا نشعر بأن الستار الكثيف البغيض بدأ ينزاح عن هذا الجزء المهم من الوطن العربي بفضل الشباب الطموح الباحث والنشم والمؤهل ليسجل ويحلل ويخرج للناس مجهوده على حسب طاقته فمنهم من أتى بما يهم اليافعي في وطنه من النواحي الاجتماعية والعادات المتوارثة، ومنهم من أتى بما يهم العرب بالتعريف بهذه القبيلة تاريخياً واجتماعياً وعسكرياً وقيادياً وحكماً.

وصاحبنا محسن دبان قد وفى وأجاد بما يقدمه لليافعي خاصة وللعرب عامة في هذا السفر الرائع مع حسن التبويب والتنسيق وابراز الحقائق للقراء مع الأداء الممتاز.

وقد تصفحت المراجع التي نهل منها فبعضها لاأعرفه وبعضها سمعت به مما يدل على مجهود لايقوم به إلا أمثاله وأعتقد أنه قد كلفه عناءً ومشقّة جسدية ومادية وان هذه المراجع لاتتسنى لكل باحث إلا بالعناء والتعب والصبر والاحتمال ومادام قد توفرت لصاحبنا هذه المراجع فلا شك أننا نطالبه بالاستمرار ولو أدى إلى ارتكاب الصعاب وسيجد ذلك متوفراً في بلاد الشام ومصر وافريقيا والهند والعراق.

وفقه الله ورعاه وأكثر من أمثاله. وله مني أجزل الشكر وأخلص التمنيات وأرجو له دائماً دوام التوفيق.

تحريراً في جدة ٧/رجب/١٤١٨هـ

المملكة العربية السعودية

عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي



قال تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾

سورة الدخان

وقال : ﴿ لقد كان لسبإ في مسكنهم ءاية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾

سورة سبأ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال: « رحم الله حمير أفواههم سلام وأيديهم طعام وهم أهل أمن وإيمان »

قال الشاعر :

إن كنت تسأل عن قومي وعن حسبي ... كتب التاريخ والأنساب تكفينا
فنحن من يافع حزناً لأولى حسب ... من منتقى يافع قحطان داعينا
من أيامنت في سماء المجد معلنة ... للعز ندعو وللعلياء تدعينا

منصور اليافعي*

* هو منصور بن نصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن سعد اليافعي الحميري وينتهي نسبه إلى الوزير المشهور موفق الدين علي بن محمد اليحوي وزير المؤيد الرسولي. ثم إلى آل يحيى السكين بالكارة من يافع الأكاليل (٢) ص ٣٠١ .

الإهداء

إنني وبكل تواضع أهدي هذا الجهد المبذول في إخراج أول كتاب، ينفرد في سرد وقائع يافع التاريخية القديمة... أهديه إلى الرجلين اللذين لم يبخلا علينا ولم يتوانيا أبداً في المساعدة على نجاح ذلك الجهد وغيره من الجهود السابقة سواء لي أو لغيري من الكتّاب ابتداءاً من كتاب الأستاذ /صلاح البكري في مطلع الخمسينات، وحتى هذا الكتاب الآنف الذكر....

هذين الرجلين، اللذين هما فوق كل إطراء أو إشادة، والذي مهما قلت عنهما، لن أكون قد أوفيت بحقهما إلا الشيء اليسير، اليسير جداً مما يقدمانه في سبيل الخير ومصلحة أبناء يافع..

هذين الرجلين هما: **الشيخ / علي عبد الله العيسائي**

الشيخ / عمر قاسم العيسائي

أدامهما الله ذخراً وعطاء لاينضب وجعل من ذريتهما من يسير على خطاهما إقتداء .

محسن ديان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة وفاء وعرفان

إنني أخصُّ بالشكر والتقدير كل من وقف معي في إعداد هذا الكتاب وساعدني على اجتياز الصعاب، تلك التي وقفت في طريق الطبع والإخراج .

وإني بلا شك أكنُّ لأولئك النفر كل المحبة والوفاء، آملاً من الله العزيز القدير أن يقدرنا على رد بعض جمائلكم ، وإن لم نستطع فالله عنا خير جازٍ .

كما وإني أخص الوالد الشيخ / عمر قاسم العيسائي بعظيم مشاعر الحب والتقدير لما قدمه ويقدمه في سبيل مساعدة أبناء يافع أينما كانوا، فقد أضحى الباب المفتوح لكل طارق – حفظه الله ورعاه ذخراً لنا .

وكذلك الوالد الشيخ / علي عبد الله العيسائي الذي كان سباقاً لإخراج كتاب الأستاذ المرحوم / صلاح البكري والذي ما برح يأخذ بالعناية التامة كل ما يهم يافع .

وأخص بالتقدير البالغ أبناءهما جميعاً . وعلى وجه الخصوص ابن المرحوم الشيخ عبد الله قاسم العيسائي / الشيخ الفاضل / عبد الله بن عبد الله العيسائي الذي حمله كثيراً من همومي وأعبائي ومحنتي التي طالما ألقيتها عليه . على الرغم من شعوري بأنني أصبحت عبئاً لايطاق، إلا أنني كنت أواجه بالابتسامة المعهودة التي لم تفارق محياه أبداً، وخفف عني وطأة ما كان يعالجني .

فأنا فإنني عاجز عن رد، ولو اليسير، من ما قدمه لي ولا أملك سوى الدعاء له بالصحة والعافية حفظه الله وأولاده جميعاً .

وأخص بالشكر والتقدير البالغ رجل العمل الدؤوب الذي لم يسعنا الالتقاء به إلا في الوقت الذي يمارس به رياضته المفضلة (المشي على الساحل) مما اضطرنا أن نجري ونهرول معه حتى نتمكن من شرح مضمون كتابنا. فكان أن أبدى استعداده لتقديم كل ما ينبغي تقديمه في تسهيل مهمتنا – جزاه الله خيراً.

كما أخص بالشكر والتقدير الشيخ /عيدروس بن حسن وأخيه الفاضل/ سخي القلب الشيخ فيصل بن حسن على ما قدمه معي بكتابي السابق «يافع بين الأصالة والمعاصرة اليمنية».

وهناك شخص جواد كريم الطباع الأخ الفاضل /عبد الرب قاسم العيسائي أشكره على ما قدمه معنا في كتاب (يحيى عمر) جزاه الله عنا كل خير .

هؤلاء هم أسرة مشائخ آل العيسائي الكرام الذين كانوا خير عون في عمل إعدادي لكتابي هذا .

وهناك أيضاً من لا يقلون حماساً ولم يألون جهداً في دفعي واحتوائي ومد يد العون في المساعدة على إخراج هذا السفر الماثل بين يديكم ألا وهم: الأخ الفاضل /حسين محمد شلوه اليافعي/ ذلك الرجل المعطاء والذي قدم الكثير في سبيل دعم الجهود الخيرة في الأرجاء اليافعة وكان عوناً ينبغي أخذه على محمّل جد في أمور كثيرة ومنها ما قدمه معي بصدد إعداد كتابي هذا جزاه الله عني كل خير وحفظه ذخراً لأبناء يافع.

وهناك الرجل الفاضل الشيخ / محسن محمد النقيب أشكره جزيل الشكر والتقدير على وقوفه معي مادياً ومعنوياً وفي فترات كثيرة تحمّل كثيراً من المشاق معي على الرغم من كثرة أعماله، وما كان إلا صديقاً وفياً في كل الأمور، حفظه الله وأولاده.

إضافة للشيخ الفاضل /الدكتور علي صالح بن بوشامة ذلك الذي بذل عصارة جهده لتخفيف ما واجهنا من عوائق ومتاعب أثناء الإعداد.

وهناك والد وأستاذ قدير قدم لنا كثير من النصح والإرشاد وجنبنا كثير من المزالق في اعداد مشروعنا هذا بمعية أخيه الفاضل المهندس عبد الهادي محمد، وحسين محمد الرشيدي جزاهم الله عنا كل خير .

ولا يفوتنا ذكر السيد الفاضل / أحمد عوض الصلاحي ذلك الرجل الأكثر حماساً لإخراج هذا الجهد والذي وقف معنا قلباً وقالباً وتابعنا خطاً وموجهاً في كثير من الأمور.

كما وإنني أخص السيد الفاضل قاسم عبد الرحمن بن صلاح وأخيه خالد على دعمهما لنا الدائم.

وأخص تقديري للصديق المقرب عوض عبد الله شرحان على الاهتمام الدائم بأوضاعي.

كما وإنني أحيي وأقدر كل تقدير أبناء المغفور له آل رشيد لوقوفهم معي واستضافتهم لي فترة طويلة في ربوع جدة، ولولا وقوفهم معي لما تمكنت من إخراج هذا العمل المتواضع الماثل أمامكم .

هؤلاء جميعاً وغيرهم لم نستطع ذكرهم. أهديهم كتابي هذا الذي لم يرق إلى العمل المتكامل، إنما بداية آملاً من الله أن يقدرني على استكمال ما بدأته بعونه، وبعونكم أنتم أيضاً .

وفي الأخير لايسعني سوى ذكر أسرة آل عطاف الكرام، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله وأخيه الشيخ حسين عطاف وكذلك الأخ الكاتب خالد الحوثري .

وأقدم شكري وتقديري لمشائخ بنو عبد الجبار جميعاً (الزوبة) على دعمهم لنا وتسهيلهم لنا بكثير من الأمور .

أيضاً أشكر الأخوين عوض عبد الحافظ وأمين عبد الحافظ بن صلاح، والأخوة الكرام ناجي القاضي وعبد الحكيم السعدي ومحسن بن محسن مثنى . لهم جزيل شكري وتقديري على ما قدموه معنا .

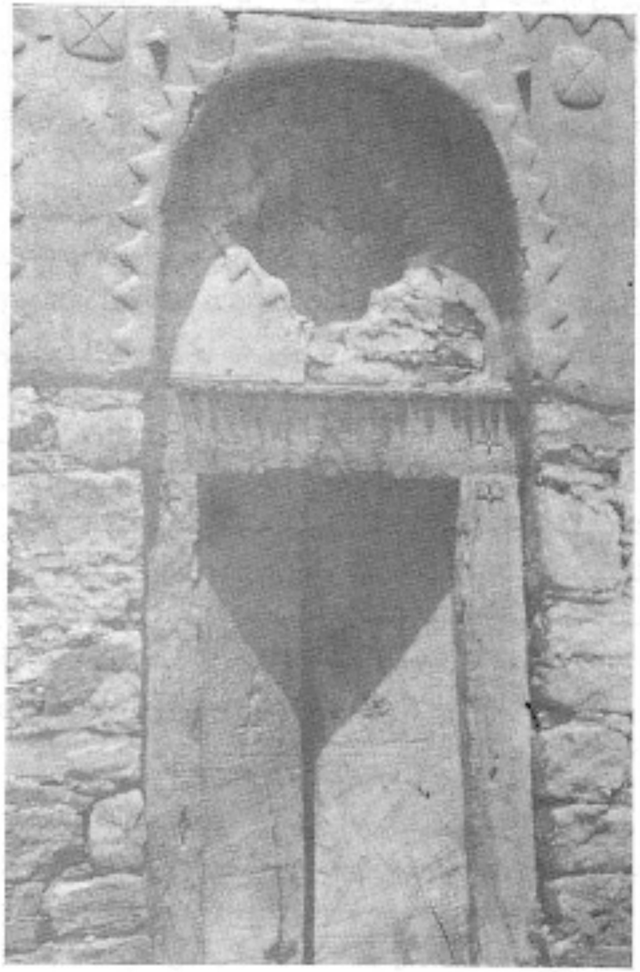
كما وإنني أهديه إلى أبناء يافع في كل مكان، وأبناء فريق «الموحس وتشارق» الذي شجعوني ووقفوا معي، وإلى أسرتي وأولادي وأقاربي الذين تحملوا مشاق الفراق عند البحث والترحال.

وفي الأخير أقول للذين قالوا بأن يافع ليس لها تاريخ راجعوا حساباتكم وتأكدوا بأن يافع كانت في يوم من الدهر شريكاً أساسياً في صناعة تاريخ اليمن وتعميه.

المؤلف / محسن ديان

١٩٩٨/١٢/١٢ م

مدخل أول



كلمة الكاتب ـ ومدخل تاريخي :

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد نبي الهدى والنور وداعي العلم وكاره الجهل في كل الأمور الذي قال: « لا حسد إلاّ في اثنين، رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ».

والحكمة هي تلك التي ترشد الناس إلى طريق الحق وتبعدهم عن الضلالة أين كانت.

بل وتجعلهم يبحثون عن الحقائق المدلسة، والتي أحيلت إلى أباطيل بما شوهت وبدت وكأنها حقائق لايعتريها أدنى شك.

ومن تلك الحقائق المشوّهة ما كتبه المؤرخون عن يافع ذلك الجزء المسمى (بسرو حمير) وعمّدوا ووثقوا عنه الكثير من الأباطيل منذ القدم محاولين بذلك أن يطمسوا كل بارقة شمس أو بزوغ يزيح ما هم عليه من الظلام. ولقد حزّ في نفسي ما رأيته والتمسته من سوء الأساليب المتبعة.

بل ولا أخطىء إن قلت و(المبرمجة) في ذلك التطميس حتى أنني أزمعت كثيرة ليس إلا على تدوين ما يمكن تدوينه. و(ما أنا بكاتب تاريخ) ولكن لكي أتمكن من إرساء قاعدة مرجعية في هذا المجال النعز الذي حال دون إقدام المتخصصون على تقديم البحوث والدراسات المعينة في إظهار المواقع الحقيقية و(الزمانية) والأدوار التاريخية، لذلك الجزء المتفاعل والمتأثر والمؤثر في منطقة (سرو حمير).

ونستطيع تلخيص واستبيان تلك الأدوار بتتابع الأحداث المرحلية كالآتي:

١ – التأثير التاريخي ليافع على مجريات الأحداث في زمن الدويلات اليمنية ما قبل الإسلام.

٢ – إجتذاب الدعوة الإسلامية لجموع الحميريون في (السرو).

٣ – ظهور الفرق الإسلامية وتأثير الحركة القرمطية على اليوافع.

٤ – التأثير التاريخي ليافع على مجريات الأحداث في زمن الدولة (القرمطية).

٥ – الصراع المذهبي والأحداث التاريخية ما بين يافع والزيود منذ منتصف القرن العاشر الهجري.

٦ – التأثير اليافعي على مجريات الأحداث في المناطق الحضرمية.

٧ – التأثير اليافعي على مجريات الأحداث في المناطق المجاورة ليافع.

٨ – التأثير اليافعي على مجريات الأحداث مع بريطانيا والأتراك ودولة الإمامة.

كل هذه الأدوار دفعتنا إلى اقتناص نبذات قصيرة وشذرات مختصرة عن كل حدث على حدة من هنا وهناك. وجعلتنا نعتمد في إعدادنا لهذا الكتاب على عدة مصادر منها:

١ – النزول والبحث في حفريات الخرائب (خربة هديم) واسمها يرجع إلى اسم وادي هديم. وهذه الخرابة يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد تهدمت مع مرور الزمن ودكت أكثر من مرة في خضم الحروب بل وهناك آثار الحرائق. وفي هذه الخرابة يوجد قصر لازالت معالمه باقية مثل: أحجار القصر الضخمة، ومداخل البوابات والسلالم. ومن تلك الخرائب خربة (ريدان)، عصر الدولة الحميرية، وخربة (عوسان) أي الدولة الأوسانية.

٢ – حلقة آل داوود : عندما سألنا الأهالي قالوا بأنها تعود إلى عهد تاريخ الدولة (المسمارية) وأعتقد أنها أبعد من هذا التاريخ بكثير نظراً لأن الدولة المسمارية هي الدولة الأمامية التي عرفت يافع في منتصف القرن العاشر هجري، ذلك لانتسابها إلى القائد صلاح أحمد بن مسمار.

وفي هذه القرية كانت تضم معبد الحلقة الذي هجم من قبل (مُديد ومدّه بني حب) عندما حررت يافع من الاحتلال الزيدي وأسوار هذا المعبد والبوروج المحيطة به لازالت آثارها قائمة وكذلك صحنه الداخلي وأحواض الماء (البرك).

٣ – السدود : يوجد كثير من السدود الصغيرة والمدافن التي لازالت آثارها باقية بل ان بعض السدود يستعمل لحجز الماء حتى وقتنا الحاضر وقد سبق وأن اشارت مجلة (المسار) التي نزلت إلى المواقع آنفة الذكر بأنه يوجد عند علي بن صالح[1] بعض الآثار التي عثر عليها في خربة هديم وهي كالآتي:

[1] نائب المأمور في منطقة الحد سابقاً.

١ – رأس من الرخام مرسوم بدقة وعناية متناهية وبنسق بديع تكاد شفتاه تنطقان.

٢ – جزء من كتفه المقطوع.

٣ – بقايا مبخرة منحوتة ومنقوشة بدقة متناهية.

٤ – خمس حجار كتب عليها بخط المسند واحدة بطول ثلاثة أقدام.

٥ – حجرتان منحوتتان على خلف احدهما كتابة بالخط المسند.

٦ – حجرة عريضة عليها نقوش مبهمة تداخلت نقوشها.

٧ – باب نافذة من الحجر الصلب (منحوتة).

٨ – عملة تعود إلى أيام شمس الدين محمد يوسف الأمير الرسولي، وعملة أيضاً لأيام الدولة الطاهرية. كذلك لم نزورنا إلى مواقع أثرية كثيرة على شكل خرائب موزعة في الأرجاء اليافعية.

وذكرنا بعض مواقع تجميع تراث المنطقة وآثارها مثل مركز حباط للعادات والتقاليد* .

إضافة إلى بعض الآثار في وادي سدام، ناحية القندول والعبارة عن ختم يعود إلى زمن الدولة الحميرية وكذلك مصباح من (النحاس) رسم عليه جنديان ويداهما على شكل قوس يحرسانه، وفي واجهته رأس أسد ينطلق من قمع رأسه رأس حصاناً ورأينا بعض العملة النحاسية في قرية الطف لم نستطع تحديد معالمها[1] وحزوزها نظراً لتآكل تلك الخطوط من جراء عمرها. وإنما سنقدم إلى مراكز البحوث لتحديد عمرها بواسطة الوسائل العلمية إذا أمكن ثم اعتمدنا كذلك على المصادر الوثائقية فحصلنا على بعض المراسلات والوثائق والمعاهدات والمخطوطات.

٤ – اعتمدنا أيضاً على المصادر المرجعية للمؤرخين ما قبل الإسلام وبعده وتراجم المسانيد الحميرية والسبأية.

---

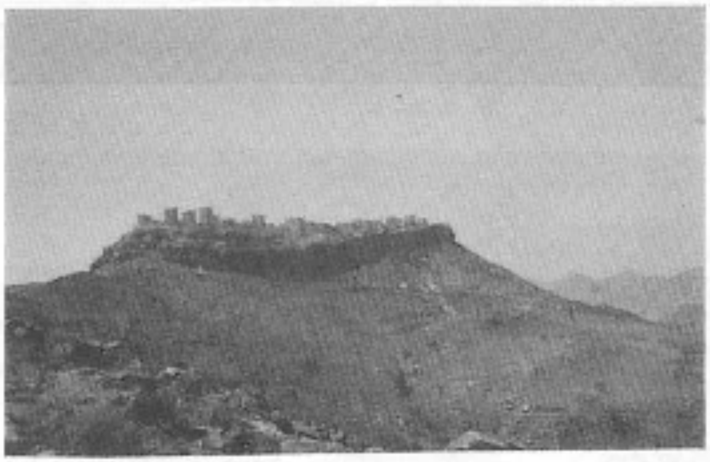
* الهيثم / محمد يحيى .

[1] العملة متآكلة وهي ذات بأحجام صغيرة عليها أسماء لم تتضح أخذت منها مجموعة من الأخ عبد الله عبد القوي وصورتها للإفادة.

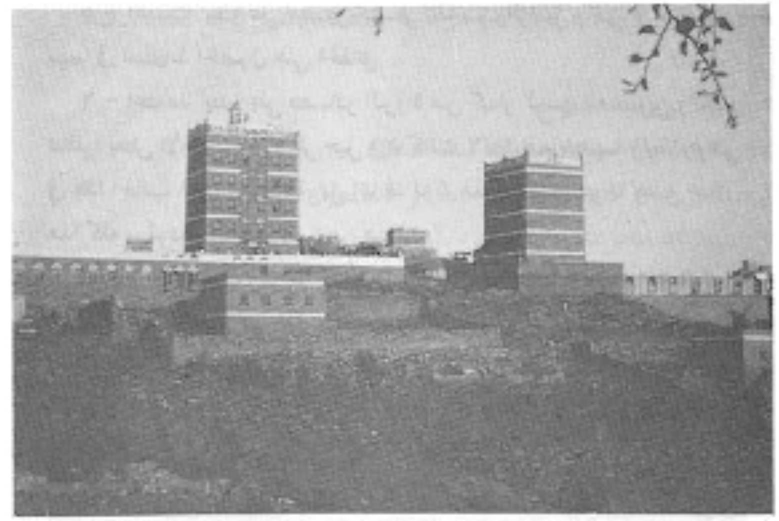
٥ – اعتمدنا أيضاً على مصادر الشعر القديم والزامل والتي تعد مصدراً مهماً في استنباط الحصول على الحقائق.

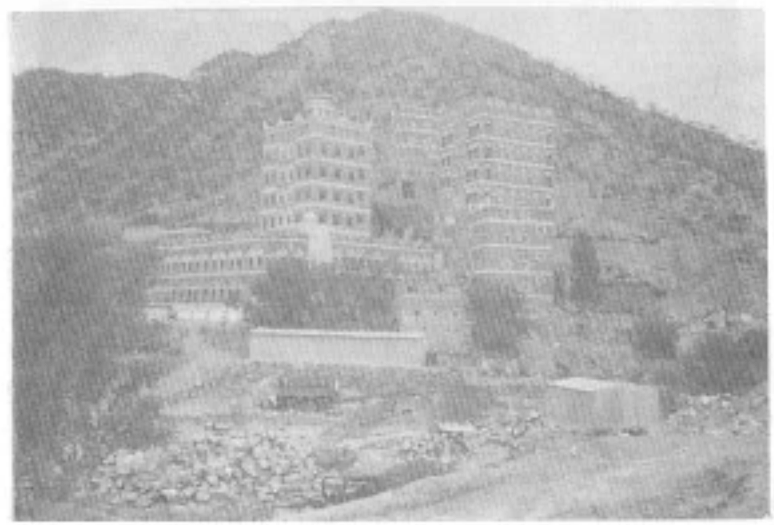
٦ – اعتمدنا أيضاً على مصادر الرواة من كبار السن المعاصرين والذين تناقلوا بعض الأحداث جيلاً أثر جيل وإن كانت لاتتفق مع بعضها وهنا روعي في هذا الجانب التحري والدقة، بل إننا قد نترك هذا الجانب مفتوحاً ومن خلال هذا كله سيقودنا السؤال الآتي: من هي يافع؟

لذا فإن إجراء بحث ودراسة نستطيع من خلال نتائجهما الإجابة المبينة ومن خلال أبواب الكتاب حتى نهايته.



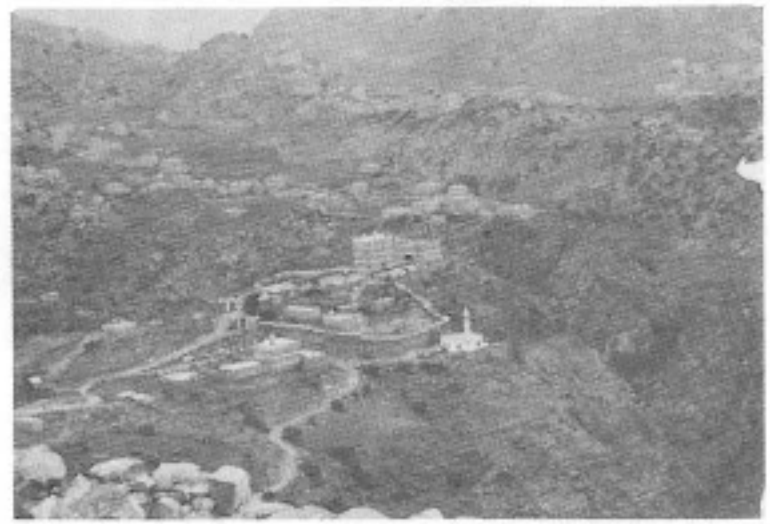
منظر قارة بن عفيف





قصور يافعية حديثة

مدخل تاريخي



منظر عام ليافع – جزء من الصيرة وبين المخاور

من هي يافع ؟

قال الهمداني : يافع قبيل ضخم، مرهوب الجانب شديد الشكيمة ذو إباء وشمم وعروبة يعربية وهم دائماً لقاح لايدينون لسلطان، واقليمهم فسيح، ومخلافهم واسع، ولاتقلة فيهم يقع في الجنوب الشرقي في اليمن.

سلسلة أنسابهم :



وأخيهم (قاصد) ومنهم انتشرت بطون يافع ففي ص ٣٥٠ من الاكليل (٢): قال أبو نصر اليافعي بأن الأملوك بن بلدة بن يافع هي الصغرى. وهناك أملوك يافع بني مُليك.

وهنا يتضح لنا بأن مفرد الأملوك (مالك) وهو اسم الجد الذي يطلق على يافع العليا، وبالمقابل يطلق يافع بني (قاصد) على يافع السفلى.

ويطلق عليهم النسابون (يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين الرعيني وهما الجدان الأصغر والأكبر وإليهما ينسب مخلاف ذور عين الذي تعد يافع أحد مخاليفه الهامة، وذات الشأن في القيادة والحرب.

وقال الجوهري: إن ذور عين هو جدهم الأعلى وهو ملك حمير أحد أولاد الحارث.

وفي ص ٣٠٤ من الاكليل أشار أحد مرشدي الهمداني وهو محمد بن مسلم اليافعي بأن البطون اليافعية تفرعت من بلدة وحجيملان إبني يافع، وهم أنجد حمير اليمن، وقال إن من تلك البطون أخو بني قاسد، والاريوم، واذان، والذراحنة، والأبقور، وبنو شعيب، وبنو جبر، وكلد، والسيَّاوون، وبنو سمي وبنو صائد، وبنو أديد ومسكنهم هدول، وبعض هذه القبائل اندثرت أو اندمجت بقبائل أخرى، وظهرت بأسماء مخالفة أو هاجرت. وبعضها لازالت قائمة وبنفس المسميات وفي ص ٣٢٤ الاكليل (٢) قال: وإن من ذي رعين (ذو ناخب) وبنو هجر للساكنين (العرقة) من سرو يافع وفي ص ٣٢٢ (الجزء ٢) قال بأن من أولاد ذور عين (ثُمراً) بيافع وينسب إلى ثمر بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذور عين).

ومما قيل عن يهر إنها تنسب إلى ذي يهر بن يعفر بن الحارث بن سعد بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعه.

والذي قال فيه أسعد التبع الحميري واليافعي أو (الكامل):

وقد كان ذو يهر في الامور ❁❁ يأمر من يشاء ولا يؤمر

وإليه ينتمي العلاَّمة المؤرخ مرشد الهمداني: محمد بن عبد الله اليهري اليافعي (أبو نصر) والذي اعتمد عليه الشيخ الهمداني برواية أنساب حمير. ومما قيل عن

حطيب من إنها تنسب إلى حطيب بن أسعد التبع (الملقب بالكامل) والذي اشتهرت فتوحاته الحميرية ونُسجت حوله القصص والأساطير الخيالية.

وعن ذكر (جبل حبه وقرية حبة) الموجودتين في يافع. قيل في ص ٢٩٤ بأنها تقع غرب البيضاء ويعود نسبهما إلى بنو وائل بن سدد بن زرعه. وحبه أحد أبناء زرعه وعن ذكر بني (جبن) قيل بأنهم نزحوا من ذي ناخب واستوطنوا ردفان وما (جبل جبن) إلا نسبة إليهم. كذلك الابقور والأجعود والأذحجور والذين سنذكرهم في سرد الهجرة الداخلية لقبائل يافع.

وفي كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني: ذكر بعض قرى ووديان سرو حمير (يافع) فقال: إن العر، وحبه، وعلّه، وحطيب، ويهر، وذو ناخب، وذو ثاوب، وسلفه، وشعب، وعرميحان، وسلب، والعرقه، ومدوره، والجزعه، وتيم. وعند توزيعه لتلك الوديان والقرى قال:

إن العُر لأذان من يافع وثمر للذراحن من يافع وحبه للأبقور من يافع، وعلّة للاصووت منهم، وذو ناخب لبنو جبر، وذو ثاوب لبني صائد منهم، والعرقة للاذحجور وهي بذي ناخب وهم بنو هجر، وصدور لبني كلب من يافع، وسلب لبني جبر. وقد وفق في صحة الانتماء لبعضها والآخر ابتعد من مثل ثُمر للذراحن* .

ومما قال في ص ٣٠٤ الاكليل بأن (وادي بناء) ينسب إلى أولاد حصان ابن حليفه والذي يعود بسلالته إلى الأملوك بن يافع.

وقد كان أحد المقربين إلى الرسول الكريم بصدر الاسلام.

وجاء في ص ٣٠٨ الاكليل عند وصف (شكع، وأخلّه[1]) بأنهما يعودان بنسبهما إلى مالك بن الحارث بن شرحبيل بن زيد بن ذي رعين بل هما إبناه

---

* باستثناء (ثُمر: جبل موجود بالذراحن وهو أصغر من ثمر (يحوص).

[1] خلّه أو (علّه) دارت بها أشهر قصة (حب) بين مرقش الأكبر بن ثعلب وبين أسماء بنت عمر بن عوف بن مالك. ولما قدم المرادي من خله تزوجها ورحل بها إلى سرو يافع فقال طرفه بن العبد في قصيدة طويلة أظهر فيها لوعة الحب نورد منها بضعة أبيات:

فلما رأى إن لا قرار يقره ❁❁ وإن هوى أسماء لابد قاتله
ترحل من أرض العراق مرقش ❁❁ على طرب تهوى سراعاً رواحله
إلى السرو أرض ساقه نحوه الهوى ❁❁ ولم يدر أن الموت بالسرو غائله

وسميت القريتان باسمهما واللتين أضحتا تابعتين ليافع المفلحي، ومما قيل إن بهما آثار حميرية غنية أكدها الأستاذ الفقيد الباحث صلاح البكري في مطلع الخمسينات.

وفي ص ٣٠٦ قال بأن وادي ثوبه (ثاوب) أو ثويب تصغيراً يسمى حلال يافع من الأجعود والاعضود وبني صائد ويقع في وادي يهر.

وفي صفة الجزيرة أكد بأن قبيلتي ذو عالد وبنو سمي بأنهما حيان ترزقان ببلاد يافع. وفي نفس الكتاب أكد بأن (الاصدور) عامرة بيافع ويسكنها بني (كلب) ولازال هناك بهذا الاسم صدر.

وعند ذكر بني شعيب وسلفه: قال بأن (الشعيب) تنسب إليهم وعند ذكر الشعيب قال بأنها قبيلة عزيزة الجانب ويحكمها المفلحي وإضافة إلى (ليم) ص١٧٢ الجزيرة.

كذلك أشير إلى قبيلة الدراحن والمنسوبة إلى القائد الحميري دهرش وفرحان بأنها تقيم بالدراحن إحدى قرى يافع ولها فخذ في (جبن) التابعة قديماً مع قرية نعوة والربيعتين ليافع. وجبن حتى وقتنا الحاضر لازالت تحمل مسميات يافعية وقد كانت في يوم من الدهر عاصمة الطاهريين الذين لايستبعد من صحة أنسابهم اليافعية.

ـ قبائل يافع في لحج :

❁ آل سلام من يافع القارة

وعند ذكر الولي الشاذلي عمر بن علي الشاذلي الولي الشهير من كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) قيل بأن قبته بناها قوم من أهل سلام اليوافع وقال عنهم أحمد بن فضل العبدلي في كتاب (هدية الزمن) من انهم فخذ من (كلد) قريتهم في يافع تسمى (بركات) ومنهم آل العبادلة من بني السليماني آل سعد يافع بني قاصد والذي خرج منهم الأمير حسين عبد القادر السليماني صاحب لحج وعدن وأبين والأمير محي بن عبد القادر والشيخ حسين عبد القادر.

وحسبما قال العبدلي فإنه وجد خطاً بختم السلطان سيف بن قحطان بن عفيف نصها:

❁ خطنا الكريم ورسمنا العلي الفخيم شاهد بيد الشيخ سلام بن علي العبدلي بأنه منّا وإلينا وإنه حليف ولا عليه عوعنة من أحد بل هو من جملة كلد وهذا خطنا شاهداً بيده وحسبي الله وكفى ونعم الوكيل[1].

بتاريخ رجب ١١٣٥ هـ

وما آل سلاطين لحج إلا فخذ من آل سلام ومن ثم تفرعت هذه الأسرة في قرى لحجية منها (المحجفة ودار حمير) وخنفر أيضاً ومما قاله العبدلي بأن صلاح بن سلام هو جد الشيخ فضل بن علي وقد عاصر الأمير حسين عبد القادر وكان شيخاً أيام الترك كذلك قبيلة (العزيبة) بلحج ترجع أصولهم إلى يافع القارة بدليل مشاركتهم بميراث أهل سلام حتى في المشيخة ويقال بأن انتسابهم (للمعزبة بيافع) وهناك معزبة بلبعوس.

ويقال بأن ذلك يرجع إلى تسمية جدهم علي بن عزب اليافعي.

---

[1] إن ما أشير أعلاه هو رد واضح على ما كتب في كتاب تاريخ عدن وجنوب الجزيرة ص ١٦٨ للمؤلف لقمان والخط المرقوم (٤) من سيف بن قحطان – تؤكد انتماء آل سلام إلى يافع ووردنا هذا إيضاح للمؤلفة دلال بنت مخلد الحربي في كتابها علاقة سلطة لحج ببريطانيا.

ومن القبائل اللحجية المنتمية ليافع قبيلة (المنصر) والأبقور والذين عرفت بلادهم بأرض الباقري انتقلوا إلى الضالع وردفان وتعرف قبيلتهم باسم (الشعار) في الضالع.

وقال العبدلي إن هناك قبائل لحجية تعد أصولها يافعية مثل:

مشايخ آل علي بصهيب والخرمان مشايخ آل قطيب إذ انهم من أهل كساد ذي ناخب، وكذلك قبيلة آل ديان اللحجية من أهل السعدي.

وأما بنو الثعلي، وآل أحمد، وآل علي عامر فمواقعهم بين الضالع والحواشب ترجع أنسابهم من لبعوس.

وفي الأزراق حلت قبائل بن مسعة من وادي حرمة يهر.

قبائل يافع في ردفان

كان من أهم مصادرنا مرجعية مؤلف الذيباني (أخبار ردفان) فقد قال بأن هناك من القبائل اليافعية من أتت وحلت في ردفان منذ زمن بعيد ذكر منها:

قبيلة العبادلة : من أصول عبادلة لحج اليافعية انتقلوا من لحج وحلوا في ردفان.

كذلك قبيلة (القطيبي) والذين يعدون فرعاً من أبقور يافع قبيلة (الحلني) انتقلوا من خلوة بن عامر لبعوس إلى وادي ذي ردم ردفان.

أهل (الربيحي) قدموا من يافع واحلوا بنفس الوادي.

مشيخة الحجيلي :

نشأت من هروب نصور من قبيلة المصوري اليافعية مع بنت (السلطان) ولانعلم أي سلطان أهو عفيفي أم هرهري أم قبل ذلك وقيل بأنهما حلا بردفان وأنجبا بنيناً عرفوا بالشجاعة والإقدام فأسسوا المشيخة ونسبوها إلى أمهم (ذات الحجول) فأسموهم الحجيلي، ومن أشهرهم الشيخ مهدي الحجيلي.

قبيلة البكري : جاءت من يافع ولها قصة يتداولها العامة بيافع مثل (لاتعادي بني بكر رع بني بكر شقية)[1].

ولا أعتقد بصحة ما يقال وكل ما في الأمر انهم استوطنوا ردفان قبيلة الصهيبي إمتداداً لمشايخ آل علي بصهيب بلحج والذين ارتبطوا مع البكري بقرابة النسب والصهارة وأصلهم يرجع إلى يافع.

إضافة إلى أن هناك بيوت وقبائل صغيرة مثل:

المثالي ، والسناني ، الجهوري ، المصوري ، آل عطية ، آل القيشي ، آل علي وهم مشيخة ، آل معوضة ، آل مثنى علي ، آل العمري ، آل العيساني ، آل الجابري ، آل المدوري ، آل العسكري ، آل الحاصل ، آل المحيمي ، آل حيدر ، آل الداقلي وغيرهم كثير لايسعني ذكرهم هنا ..

إنما كما أشار الكاتب المؤرخ سالم الذيباني من أن أغلب رفان بل السواد الأعظم لسكان ردفان تعود أنسابهم إلى بني جعدة أو الاجعود ذوي الأنساب اليافعية .

قبائل يافع بحضرموت :

كثير من القبائل اليافعية هاجرت إلى حضرموت ذكر بعضها في متناول كتابنا هذا ، وخاصة علاقة يافع بحضرموت، وبينا من أن هناك نزوح كثيف إلى حضرموت ولانخطيء إذا قلنا بحقيقة استيعابها لأكثر النازحين من الجبال اليافعية وأوردنا أسباب النزوح والهجرة، لكن الأستاذ الناخبي يعقب في ملحقه: (الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع) بما لم يذكر من الأسر اليافعية المتواجدة في حضرموت فقال:

هناك أسر موغلة في القدم مثل: قبيلتي الحالكة والسمرح، وآل باعباد، وآل بابطين، وآل زيدان. مشيراً إلى ان النسابين آكدوا ذلك.

إضافة إلى قوله من أسرة آل ناجي وآل بريك هاجرتا من ذي ناخب نتيجة السيول والأعاصير التي اجتاحت وأتلفت مزارعهم. مما اضطرهم إلى مغادرة

[1] رع : يعني ترى، كلمة عامية ويقال بأنها ميزة (ذورعين) في اللغة الحميرية.

يافع، فاستقر بهم أول الأمر في شبوه، ثم رحلوا إلى حضرموت، وهذا قد يكـون قريباً إلى الصحة، السبب، إن هناك زوامل قديمة أكدت حادثة خراب السيول، وتلك الزوامل لانعرف من هو قائلها، ولا كم عمرها.

يـالعر خـابرلي وأنـا بالحـرك ... كيلك تعدّيت أهل ذي ناحب حقيق
ان كان شيء لـك دين مابالنكرك ... ولا جزعـت الميسـرة تـاك الطريـق

وقال آخر :

يـادي تخبرنـا فلامعنـا خـبر ... من وادي اشـله عطانـه والجبـول
كـاده يخـرج طـول وقتـه لاعـبر ... لاخبرّه صحوة وما عاشـي سـيول

ولكي لانخرج عن مضمون هجرة اليوافـع إلى حضرموت، فقد عرفـت أسر ذاع صيتها، وشهرتها، سواء قديماً أو في مطلع القـرن الثامن عشر كأسرة: آل غرامه، وآل بريك، وآل الكسـادي، وآل القعيطي، إضافة إلى أسر المكـاتب اليافعية ذات الشهرة كأسرة: بن نقيب، وأسـرة هرهـرة، والبطاطي، وبن علي الحاج، والمصلي، وبن سبعه، والعيسـائي، والرشيدي، والضباعي، والعفيفي، وآل الدوشي وآل محارش، واسكندر الطفي، واليهري، وآل أبو طلعه، وآل اليزيدي، وبن عاطف جابر، والموفدي، والبري، والمفلحي، والبكري، والكلدي، والحصني، والربوعي، والحدي، والشرفي، والخلاقي، والضينالي، والصلاحي، وكثير من هذه الأسماء المنسوبة إلى قراها عاشت وحلت في حضرموت، بعضها يرجع تاريخ قدومه إلى زمن الدولة الحميرية الثانية كما أشرنا.

وكما كانت الهجرة إلى حضرموت كاملة بما فيها (المهره) فقـد أورد الكـاتب المؤرخ (حمزة علي لقمان) بكتابه (معارك حاسمة من تاريخ اليمن) بأن أسرة (آل عفرار) والتي تولت مقاليد سلطنة (سقطرة) قد هـاجرت من المهرة وإن أصولها يافعية تنسب إلى حميريين اليوافع، فقال: وحسب ذكر المؤرخ (روبرت سارجنت) نقلاً عن رجلين أجرى معهما لقاء بأن (عفراء) تعـني (العفيفي) وهـي أسـرة من يافع، وأكد صحة تلك المقولة ما نص عليه في الوثيقة الـتي وجدها السـيد محمـد مهدي لمدعق الموظف بوزارة الزراعة والأسماك (قسم التعاون والتسـويق). والـتي

توضح (قيام سلطنة آل عفرار المهرية) من أنهـم ينتسـبون إلى يـافع على حسـب قول شاعر آل عفرار (نحن ويافع على أب واحد)، وذكر في تاريخ الجزر اليمنية، ما قاله احمد بن ماجد العماني والـذي رافق الرحالة البرتغـالي (فاسـكوداجاما)، بأنهما وصلا إلى جزيرة سقطرى ووجدا بها سلاطين (آل عفـرار) سـنة ٩٢٥هـ (١٥٤٥م – ١٥٤٦م).

وهذا التاريخ يكاد يتوافق مع ما قاله المؤرخ المستشرق (روبـرت سـارجنت)، وعلى كل حال فإن إبن ماجد أشار إلى أسرة يافعيـة أخرى، شـاركت في الحكـم على سقطرى[1].

هذه الأسرة تدعى: (بنو عبد النبي السليماني الحميري اليافعي) وهي أيضاً من نفس منطقة العفرقي يافع، وترجع أنسابهم إلى أسرة السليماني الحاكمة فيما بعد الاحتلال العثماني الأول لسـاحل أبين ولحج وعدن.

ومما قاله إبن ماجد من أن سكان جزيرة سـقطرى يلقمـون حرائـب (السـمن والبسـاط) هؤلاء الحكام دون إستثناء (للمراءة).

الهجرة الخارجية لليوافع:

ارتبطت الدولة الحميرية بعلاقات تجارية وحسـن جوار وصداقة وأحياناً حروباً وأسرى بينها وعرب الشمال القحطانيون (اللخميين الغساسنة) وبيزنطة وفـارس والأحباش ونشاء من جراء ذلـك هجـرات ونزوح مـن أغلب المناطق والأنحاء الخاضعة للحكم الحميري.

وبطبيعة الحال صاحب ذلك هجرات من جبال سرو يافع، لكـن لم يكـن فيها وضوحاً، لاختفاء لتسمية بطن (الحميرية).

حتى وقت ظهور الإسلام عندما نزح ذي الكلاع الحميري ومعـه الكثـير من أتباعه لإعلان إسلامهم والبقاء على أرض الإسلام مع عوائلهم. وفي هـذه الفترة تدفقت الهجرات اليمنية بشكل كبير، وجاءت على شكل وفـود تعلن إسلامها،

[1] روبرت سارجنت وكان له أثر طيب في إفادتنا عن حياة الشاعر أبو معجب يحيى عمر، لكن العمر لم يمد طويل فتوفى سنة ١٩٩٧م، وهو مؤرخ اهتم بالتراث اليمني والحضرمي على وجه الخصوص.

وتنضم إلى صفوف المجاهدين والفاتحين على كل الجبهات، وظهر لنا جلياً من مشاركة اليوافع في فتح بلاد الشام وفارس، ومصر، وتونس والمغرب، وجنوب أوربا، ومن القادة اليوافع والذين سنشير إليهم في باب مشاركة اليوافع للفتوحات (حسان بن زياد اليافعي، ومبرح بن شهاب أحد رجال الوفود اليمنية إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقائد مسيرة عمرو بن العاص عند الفتح. وكذلك درع بن يشكر أحد قادة جيش إبن أبي حذيفة سنة ٣٥هـ. أولئك استوطنوا مصر الصعيد بعد فتح الجيزة ومعهم مجاميعهم اليافعية، وقد ظهرت عوائل تحمل أنسابها اليافعية بل ومحدثين أشهرهم: راشد بن الجندل اليافعي، وسلمان بن ابراهيم في القرنين الثاني والثالث الهجري، واندمجت بعض العشائر اليافعية تحت تسمية بني (الحارث)[1] بل عرفوا في مصر بهذا الاسم فيما بعد. وقد قال بامطرف في كتابه الجامع الجزء الرابع من أن اليوافع يشكلون قوة ضاربة في جيش موسى بن نصير اللخمي، وان أولئك اليوافع بعد الفتح استوطنوا المغرب واندمجت جماعاتهم مع صناهجة الحميرية الحضارم.

أي أنهم اختلطوا مع (البربر) وظهرت أشهر تلك العوائل عائلة أبي سالم العياشي اليافعي، وعائلة ذوي منصور من عرب المعقل في المغرب العربي والذين كانوا استوطنوا في أول الأمر العراق والشام ثم نزح فريق منهم إلى صحراء المغرب العربي، عرف منهم المؤرخ محمد بن العياش اليافعي صاحب كتاب (الزهر الباسم)، وكذلك عبد الله بن محمدج بن أبي بكر اليافعي قدم من فارس إلى المغرب وسجل في كتابه (الرحلة العياشية) في مجلدين كثير من أخبار رحلته. وله كتباً كثيرة لايسعنا شرحها هنا لاقتصارنا على اظهار نزوح اليوافع واستيطانهم بلاد المغرب وخاصة في (ملوية وقصور وطاط وتازي وطيوه وعسامه) ويسمون الأمر هاتيك بالأحلاف. وذكر بامطرف من أن هناك قبائل يافعية (بنو أحمد) عرفت منازلهم في فلسطين وخاصة في قرى (عكر وحرباج) شمال فلسطين.

[1] الحارث الأشتر النخعي والي مصر آنذاك والذي تمرد أمرائه من جوار يافع.

وهناك دليلاً آخر كانصهار قبيلة (شعب) اليافعية بشكل[1] القرادي مع كثير من القبائل اليمنية المشاركة في الفتوحات كأسرة (عامر الشعبي) مثلاً: دخلت بطن همدان في الكوفة، وفي البصرة ببطن (الأزد)، وفي مصر مع الأشاعرة، ولم تستطيع هذه القبيلة أن تحافظ على وحدة كيانها الاجتماعي اليافعي، بل تدرجت في التلاحم القبلي الجديد بمسميات أخرى لاتمت لليوافع بصلة[2].

ولقد كانت الهجرة اليافعية ملازمة للهجرة الحضرمية منذ أمد بعيدة، وعلى سبيل المثال: انتشارهم في الهند وشرق آسيا وانخراطهم في جندية تلك الإمارات ردحاً من الزمن، حتى ظهرت قوتهم ممثلة ببعض الأسر كالأسرة القعيطية التي أتت بجنود كثيرة من يوافع الهند للحرب في حضرموت (١٢٦٥هـ).

ومما قاله السلطان غالب في كتابه (تأملات عن تاريخ حضرموت) قصة أثارت دهشتي واعتزازي بنفس الوقت إذ قال:

بعث إليه البروفسور K.N. CHAUDHARI برسالة أرفقها بكتاب (من الأطلسي إلى البحر العربي) يشير بمحتواه إلى وجود إمارة مغولية وفا أسطول بحري كان مصدراً للخوف على طوال الساحل الغربي للهند. وكان يقوده قعيطيون على رأس جماعة من الأحباش والعرب.

وتلك الجزيرة أو الإمارة تسمى (جزيرة الغراب) وعلى رأسها ملكة تدعى رضية بنت السلطان يوسف علي عبد الله القعيطي في السنة ١١٥٠هـ ١٧٣٧م. ومما أفاد بأن تلك الجزيرة كانت محروسة بستمائة مدفع موزعة على مشارفها وقلاعها المحصنة.

ولقد تركزت مواقع هجرة اليوافع في الهند (حيدر آباد) وكلكتا وبرودة (BARADA) مقر إقامة الشاعر اليافعي يحيى عمر منذ ثلاثمائة سنة خلت من تاريخه.

وكذلك انتشرت هجرتهم بأندونيسيا ولازالت لهم مواقع حتى الآن في مناطق (JAWA) (JOHORE) (MADURA) و (CEYLON) ولقد تسمت بعض العوائل اليافعية نسبة إلى مواقع هجرتهم كذلك هو الحال مع دول أفريقيا

[1] أسرة الشعبي لم يبقيا بجزرة والكوفة حتى وقتنا هذا.
[2] اليمن في صدر الإسلام – الاكليل، ص ٢٩٧ .

وبالذات كينيا والصومال والحبشة وجيبوتي، ولازالت أعراق عوائلهم تتوافد على اليمن ويافع وحضرموت، ونستطيع أن نقول بأن هجرة اليوافع إلى الأرض الافريقية تبينت في علاقة الحميريين مع الأكسوميين والارتيريين والصوماليين.

وظهرت أيضاً عندما طرد الطاهريون مجاميع يافعية أخذت ثلاثة اتجاهات: اتجاه يافع، واتجاه الشحر، واتجاه آخر نحو الحبشة سنة ٨٥٤هـ ثم جزر القمر، وجيبوتي في فترات متتالية.

وكانت آخر الهجرات اليافعية المكثفة نحو البلدان الافريقية هجرة أسرة آل الكسادي ومؤيديهم، عندما رحّلتهم بريطانيا ونفتهم إلى زنجبار سنة ١٨٨٢م شهر يناير، حيث وصلوا زنجبار ومعهم ألف شخص وهناك استقروا برعاية سلطانها برغش بن سعيد وأصبحوا الآن مواطنين أساسيين.

وفي بداية القرن التاسع عشر: انفتح اليوافع على طرق الهجرة والمغادرة، وأصبحت لهم مواقع كثيرة بدءاً بدول الخليج، بريطانيا: أمريكا، وافريقيا ودول شرق آسيا، الهند، أندونيسيا، سنغافورة.

أسباب الهجرة من يافع:

هناك أسباب عديدة للهجرة نذكر منها الآتي:

١ – ضيق مساحة الأرض الجبلية مما جعلها أشبه بالبركان الذي يلقي بحممه إلى الخارج.

٢ – الصراع القبلي القديم والحاضر إلى عهد قريب كانا طاردين للسكان.

٣ – فقر الأرض اضطر أبناء يافع منذ قديم الزمان للبحث عن مصادر لقمة العيش.

٤ – نزعتهم الحميرية (كالأذواء، وتبابعه، وأشراف) جعلتهم يتطلعون إلى النفوذ وتكوين ممتلكات خاصة بهم خارج إطار يافع.

التكوين القبلي ليافع:

مرت يافع بمرحلات تغييرية في البنية الاجتماعية والإدارية والقبلية ففي الزمن (الحجري) أو عهد دولة حمير كانت تسمى مخلاف (ذو رعين) وهذا المخلاف كان ينقسم إلى محافد وقصور على طريقة «المملكة» الحميريين (الأقيال – والأذواء) فكان كل جزء يتبع (قيل) أو (ذو) فقيل: (ذي ناخب، ذي يهر، ذو الرصد، ذو فرحان، ذو يزيد، ذو عثارا، ذو يزن، ذو ثاوب، ذو وجدن، ذو حطيب) وكان أولئك الأذواء يقومون بما يقتضيه الحاجة. لكن ذلك التقسيم اختفى واعتقد أن الدولة القرمطية في القرن الثالث الهجري أعادت بناء وصياغة التوزيعات الإدارية والقبلية بما يتلائم والفكر العباسي، والاسماعيلي الجديد آنذاك على الأوضاع القبلية.

ولانرى إن هناك تقسيم آخر أثناء تعاقب الدويلات اليمنية لأنها أي يافع كانت تتبع تلك النظم والتقسيمات حتى بداية القرن التاسع الهجري وبالذات عندما انتقل سادة حضرموت إلى يافع لحماية العشير. وحينها بدأوا بالتفكير عن كيفية تقسيم مناطق العشير بطريقة تسهل وصول السادة لاستلامها دون التداخل في المناطق المحصلة للعشير. وبالتالي تحول ذلك التقسيم الاقتصادي لريع المحاصيل إلى تقسيم إداري وعسكري وأصبح كالآتي:

التقسيم الإداري والعسكري لمنطقة يافع:

نلاحظ بأن اليوافع قد أخذوا من طريقة التقسيم الإسلامي فيما بعد:

أولاً:

أ- التقسيم الإسلامي:

قبل العرب على سبع طبقات (شعب – قبيلة – عمارة – بطن – فخذ – حي – فصيلة).

فالقبيلة تشعبت من الشعب وسميت القبائل قبيلة لأن العمائر تقابلت والعمارة تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الحيال، والحيل يجمع الفصائل. والفصيلة من مفصل المرء وينفصل عنه أو يعصب عليه من حبله عدة (عصب).

ب ـ ويقابلها في المناطق اليافعية :

قبيلة	يافع
بطن	(بطون حمير)
فخيذة	(فخائذ) ثلاث فخائذ بني قاصد، ضبي، موسطي.
سبعة أقسام :	(فخائذ + أرداف)
أرداف	يعسي مفلحي، حضرمي، بكري
مكاتب	عشرة مكاتب
عشيرة	(عشائر) قرى المكاتب وقد تكون ربع أو خمس أو سدس.
عصب	(عُصبة) بيوت – رزي – رزوة .

ج – وتدير أو تحكم هذه التقسيمات في القديم بما يسمى المناصة[1] والقبال وأذواء وأشراف قادة عسكريون تحولت فيما بعد على النحو التالي:

(سادة) طبقة استشارية دينية

سلطنة (سلطان)

مشيخة (شيخ)

معقلة (عاقل)

عُراف (عارف)

حُذاق (حاذق)

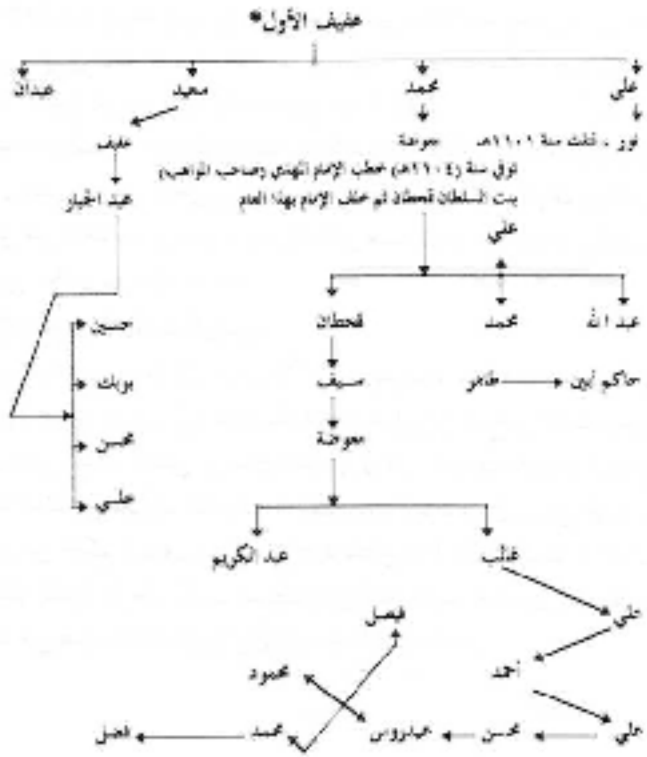
قد يسأل سائل:

ما هي الأسباب التي دعت إلى ظهور السلطنات اليافعية؟

الإجابة :

(١) ظهور السلطنة العفيفية .

[1] كانت يافع تقسم إدارياً وبلدات قديماً إلى ثمانية مكاتب باستثناء مكتبين أضيفا رديفين ثم تحولا فيما بعد إلى مكتبين أساسيين هما لحوس والحضارم.



* يعود نسب آل عفيف إلى العلامة قطب الحرم المكي (عفيف الدين) عبد الله بن أسعد بن علي بن سعد بن سليمان بن فلاح اليمني اليافعي (نسبة إلى قبيلة يافع من قبائل حمير) المولود سنة ٦٩٨هـ المتوفى في جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ . مرآة الجنان لعبد الله بن سعد اليافعي – تاريخ ثغر عدن أبي مخرمة – حياة ثغر أبي مخرمة – حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول عبد الله محمد الحبشي.

نلاحظ بأن الأوضاع بين بني طاهر ويافع بني قاصد قد تدهورت إلى حد رفض يافع بني قاصد للسلطنة الطاهرية وبدأوا ينشؤون سلطنة خاصة بهم في الأونة الأخيرة من سقوط الدولة الطاهرية سنة ٩٤٢هـ.

بينما سقطت الدولة الطاهرية سنة ٩٥٠هـ وبعدها ظهر الاستعمار التركي الأول لليمن، والذي أضحى لزاماً على السلطنة العفيفية أن تقارعه وتمكنت بالفعل على قيادة قسمي يافع العلياء والسفلى ضد ذلك التواجد حتى كللت بالتحرر الكامل من ذلك التواجد.

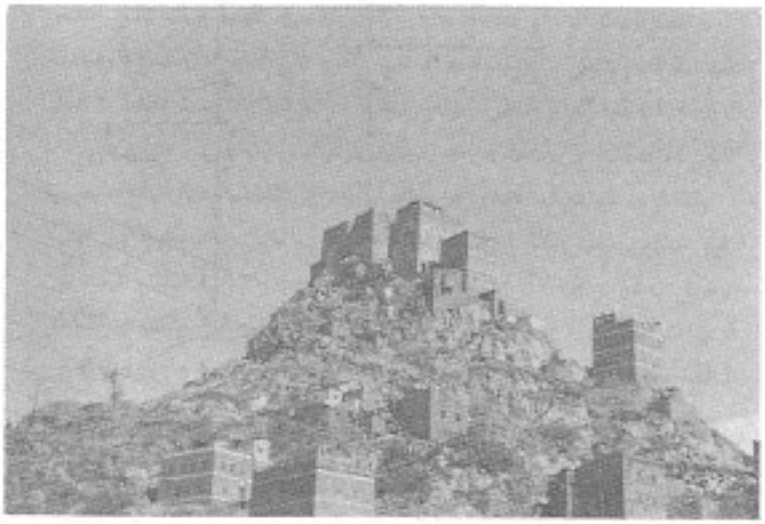
(٢) ظهور السلطنة الهرهرية .

وبالنسبة للمشيخة (آل هرهرة)[1] فقد ظهرت سنة ٩٩٢هـ بعد الأولى بخمسون عام ثم تحولت إلى سلطنة سنة ١٠٩٢هـ في زمن صالح بن أحمد هرهره عندما ظهر الخلاف المذهبي الزيدي الشافعي في فترة التواجد الزيدي في يافع وكان الهدف من ظهورها آنذاك قيادة المشيخات والسلطنات في المناطق الجنوبية للتحرر من الحكم الزيدي. وتحقق ما أرادوه بفضل قيادة ذلك السلطان المحنك وفي تلك الفترة الحرجة، تمكنت السلطنتين من إقامة تنظيم: اقتصادي وعسكري وتحدد على ضوئه جملة الأطر والرؤيا القيادية لتلك السلطنتين.

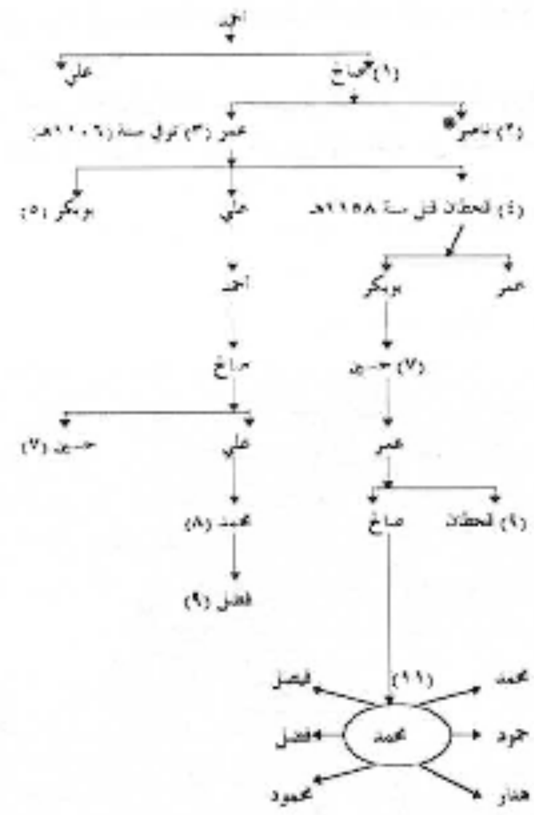
[1] تسمية دينية وليست من أسماء الأسرة وهي مقاربة لصفة هريرة وتعني : هرهرة الأسد عند حربه (عدوه).

قال الحاج علي بن فضل بن سيف عن أصول الأنساب الهرهرية ترجع إلى أنهم الشيخ علي أحمد هرهرة:

الشيخ علي أحمد بن علوي بن خالد بن حسين بن محمد بن الشريف وترجع أصولهم إلى آل البيت والحسن والحسين بني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .



عاصمة آل هرهره قرية المحجبة



❁ وبعد وفاة السلطان عمر انقسمت يافع بني مالك وحدث الاختلاف في عهد (حسين بو بكر) (٧) وحسين بن صالح فالأول والده الضبي والثاني والده الموسطة تبعاً للسياسة (الانجليزية، وسياسة الإمام يحيى).

❁ وفي عهد صالح بن عمر أقام في دار حلين على مشارف (الحد) حتى اغتيل سنة ١٩٤٩ شهر فبراير بيد أبناء عمومته.

* وجدت وثيقة بيع بندق بتاريخ ١١٠٠ هـ للشيخ / ناصر هرهرة .

ثانياً :

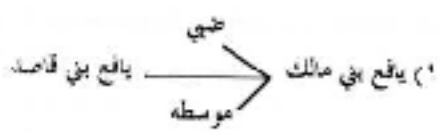
التنظيم العسكري والتقسيم الإداري وجباية العشر في المخصم والمغرم:

لقد قيل منذ قديم الزمان بتلك المقولة (أدع اليافعي ولاتشوره) وتعني بالمفهوم القبلي إن اليوافع متفقين مبدئياً فيما يقدم عليه أحدهم سواء خير أو غيره. وإن كانت لاتتفق مع الحديث النبوي القائل:

« ناصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »[١] إلا أن العصبية القبلية بنيت على أساس تلك المقولة، ولاتعني أن ما يقوم به اليافعي لاتقوم على أساس الاستشارة ومبادلة الرأي إذ أن هذا الفهم خاطيء، وتعني المقولة الوقوف أولاً تحت مظلة الاتفاق القبلي ثم مناقشة ما يستجد من جراء ذلك الوقوف.

ولذا نرى اليوافع قد عمدوا من سالف الدهر إلى تقسيم مناطق يافع تقسيماً دقيقاً محددين بذلك منالذ قبولهم (دعوة اليافعي) في المخارج العسكرية وفي تنظيم محاصيل العشر والجباية[٢] وفي تقسيم مراكز القيادة والإدارة القبلية فيما بين ذوي الدراية المقبولة في (المخصم والمغرم) والعارفين بطبيعة السكان في المناطق اليافعية وكانت كالآتي:

قُسِّم البطن الحميري يافع إلى ثلاثة أقسام متبوعة بأرداف موازية وهي:



[١] الرجوع إلى الحديث النبوي لتكملته في كيفية الناصرة.

[٢] الجباية: أي جمع الضرائب على القوافل التجارية كانت تعطى كإيراد للشيوخ من قبل السلاطين، وكان هؤلاء الشيوخ مستثنون من الجباية ويسمونهم (حجر) أي معفيين من قبل سلطان أو سلطة قائمة.

ثم قسمت يافع إلى عشرة مكاتب أساسية وهي كالآتي:[1]

آ – يافع بني مالك: ١) ضبي ٢) موسطي ٣) مفلحي ٤) بعسي ٥) حضرمي.
ب – يافع بني قاصد: ١) سعدي ٢) يهري ٣) كلدي ٤) يزيدي ٥) ناخبي.
ج – ثم قسمت الأرداف الموازية لتلك المكاتب فقيل في التوزيع:
أ) يافع بني مالك ــــ عاصمتها الحجبة ــــ سلطانها بن هرهرة
ب) يافع بني قاصد ــــ عاصمتها القاره ــــ سلطانها بن عفيف

أ) يافع بني مالك تنقسم إلى خمسة مكاتب وكل مكتب عليه شيخ:

الضبي	الموسطي	المفلحي	البعسي	الحضرمي

١) مكتب الضبي ينقسم إلى قسمين رئيسين. وشيخها بن عاطف جابر وعاصمتها ذيصر .

[1] المكتب : تعني مجموع المكتبين المتممين (قبلياً، وادارياً، وعسكرياً) في والته وجاءت منها كلمة المكاتبة أي المراسلة بين مكتبين أو أكثر.
وكلمة كتية أي مجموعة قيادية ميدانية.
وتقسيم يافع إلى مكاتب يعتبر رقياً إدارياً.
وجرت طرق التعارف عليه تقسيم المكتب إلى أرباع أو أثلاث أو أخماس أو أعشار .
وفي حالة أخرى إلى (أسداس كمكتب الضبي).
يطلق على شيخ المكتب شيخ مشايخ المكتب في بعض المكاتب باستثناء السلطان فهو سلطان خمسة مكاتب.

القسم الأول أسداس :

صراي	صلاحي[1]	شرقي[2]	سعيدي[3]	طفي	سلفي[4]
درعه	عبد الرب ناصر	العربي	السعدي	بن سكندر	الشهابي

القسم الثاني :

بكري – فردي – داوودي – صبري جوهري – حيدي .
ولكل قسم عاقل يديره، باستثناء (حمره) مأوى المخارج.

بعض مشائخ أقسام الحد :

١) شيخ الداوودي	عمر عبد الله الداوودي
٢) شيخ البكري	آل عبد الله بن محمد ونش
٣) شيخ الفردي	محمد عبد الله الفردي

٢) مكتب الموسطة انقسم إلى أربعة أقسام وشيخه بن النقيب وعاصمته القدمة.

سعيدي ومسعدي	حولري ورشيدي	عيساني الجبل والسيل	فيضي و علسي وعلاقي وريوي[5]
الجهوري	بن سعيد عارف	بن بوشامة	بن عبده عوض السعدي

[1] الصلاحي انقسم إلى أربعة اقسام داخلية (البعيسة المعل – الشخلة المعروب لقدول ورسال، الحنوه، ولكل قسم عارف يديره.
[2] الشرقي : خرج منه العباشي في فترة الصراع القبلي ويقال بأنه حاوي الموسطه.
[3] السعيدي : خرج منه لقمر أهل سعيد ويقال بأنه حاوي الموسطة (١/٢ السدس) المبقي للضبي ويضم (الذره والصله) وعارفهم عبد الرب سعيد.
[4] السلفي : خرج من مكتب الضبي ويقال بأنه حاوي الزيدي التابع ليافع بني قاصد ويعتبر نصف سدس .
[5] قال العوادي الوالد عبد الحافظ بأن تقسيم الموسطه الآن جاء من اجتهاد والده.

ثم إلى الآتي :

الربع الأول : شعيدي ومسعدي، وجرادي ومسلمي وشيخه الجهوري ويتبعه عراف وكل عارف يدير عدة قرى كالآتي:

- المسعدي وتشمل قراه للجهوري (دار السنيه – الأعدان – الرجه – منقل سقام)

– السعيدي وتشمل قراه للشيخ النقيب (القدمه – المصنعه – الأكعوب – قرعد).

– اليسلمي خاوي[1] الموسطه من مكتب الفاخة وتشمل قراه (الشعبه – الحصن عقاره – باستثناء الفقراء – الطرف وامتداده من رهوة عنيك إلى الروضة) ويقال بأنه شيخ ثمين اليسلمي.

– الجرادي وتبع بن شيهون وقراه (جبل ذي مرسوع – عرحل – الجبوب – دير) وهو عارف وليس عاقل.

الربع الثاني : حوثري ورشيدي وعروي، وشيخه بن سعيد عفيف وتتبعه قرى (جروه وريد والحدعه ولقمر رشيد ومسجد النور وكميت وفرعد والصيره والحديده والشعراء) وينقسم إلى قسمين يسمى كل قسم (ثمين).

الأول : عاقله بن علي الحاج والثاني عاقله الحريبي.

الربع الثالث :

عيسالي السيل والجبل وشيخه بن أبو شامه وينقسم أرباع (بن بوشامه شيخ الأرباع):

الحنشي والمداعسي ربع ويتكون من قرى كثيرة هي :

١ – الظهره – جبل بن مداعس – الخومرة – مسور – المعزبه – بيت مدهل – الحلوه – المغاييب – البارك – الوطاة – المعقابه .

[1] خاوي : تعني أخي أو تآخي بمعزة الأخ .

٢ – ربع الفلاحي : ويتكون من قرى كثيرة (عمق – الغولين – القود – القمع – المالابه).

٣ – الناصفة ربع الجبل [النجد – فحاله ومحوس] وربع السيل – بيت الضبهي – بيت بن يحيى – حيق الضباعي – الروضة – فآن – باب الزله – الخمهة].

الربع الرابع : عنسي وقعيطي وربوي وخلاقي وشيخ الربع بن عبده عوض السعدي وثمين القعيطي ابن عتيق) وثمين العنسي لبن جعفر. ربو وخلاقه وشيخها محمد يحي بن محمد الخلاقي وهو (رديف الموسطه) إضافة إلى الشيخ ابن عمر موسى شيخ بني ضبيان والشيخ محمد عبد الله الجيشي شيخ قريضه.

٣ – مكتب المفلحي – وشيخها قسم عبد الرحمن – وعاصمتها الجربه وتقسيمات المكتب فيها شيئاً من الصعوبة لتضارب الأقوال في التوزيع وتشمل كالآتي.

ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما :

القسم الأول (تقسم أخماس دون اليسلمي)

جربي	شقري	الربع[1]	نعماني	يونسي	يسلمي[2]
بن يحي الشرقي	بن جلال	العاقل	قاسم بن قاسم	محمد [illegible] اليونسي	بن علو (خرج من المفلحي و عاري الموسطه)

[1] الربع: (عنقي – شعاب المفلحي – شعره – شعبه – جبل الشرق).

[2] اليسلمي خاوي الموسطه لأسباب حدثت في حرب الشعيب عندما لم يقبله شيخ المفلحي بالطاسة والمرفع فاستقبله عوضاً عنه شيخ الموسطه ومن حينها اتخذ اليسلمي موقف فأعلن انضمامه إلى مكتب الموسطه وكان ذلك الوقت شيخاً يدعى عباس النوب.

القسم الثاني

سليماني	ذرماني	دهرشي	طالبي	سالمي		سعدي
الحربي	بن حمزة	بن سحبول	بن علي صالح	يحيى سالم الحكمي		بن قادش

ومنهم من يقول ثلاثة على النحو التالي:

١ – جربي – منقري – الربع – نعمالي – يونسي – فقراء.

٢ – ذرحاني – دهرشي – سليمان (وعاقلهم بن حمزة)[1]

٣ – مشأئي مع طول (وعاقلهم زين صالح بن حميش)[2]

ويضم (طالبي – سالمي – سعدي).

ويتبع مكتب الفلحي بلاد بني مسلم: ويضم: كلثوم – القدام النجر • ذي كثيه وعاقلها الشيخ/ محمد بن موسى بن علي سعيد كذلك الفلحي السفلى وتضم: خلة – الحربة – شكع الظاهرة – أرحب – عرش، جبل حرير ولكل منها عارف أو عاقل[3] .

٤ – مكتب العسي – وشيخه الضباعي – عاصمتها الهجر .

وينقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول : يدعى الحوري وشيخه بن وهاس وينقسم إلى قسمين أحدهما لبن مخارش والآخر الميسري .

أحمدي	مارني	منصوري	ديواني

---

[1] قد يطلق بعض الكتاب لفظ (عاقل).

[2] أحرى لفظ (شيخ) وهذا لايغير من الأمر شيئاً.

[3] المرجع – كتاب البكري، ص ٧٨.

القسم الثاني : ويدعى العمري وشيخه الوحيري وينقسم إلى قسمين أحدهما لبن عطاف والآخر الشعبي .

عمري الجبل	برعوحبه	سخيان – المضيق	عديوه – السيل

وكل ربع عليه عاقل – ومأوى العسي في المخارج قرية (الحصن في الحد).

٥ – مكتب الحضرمي وشيخه بن غالب وعاصمته الشبر .

وينقسم إلى أربعة أقسام هي :

سالمي	ثلثي	أهل يلحي	مرفدي
بن حامد سعيد	حسن صالح العيسائي	الجائفي	صالح محمد المرفدي

وكل ربع يديره عاقل وتتبعه عدة قرى .

ب) يافع بني قاصد – سلطانها بن عفيف – عاصمتها القاره[1]

وتنقسم إلى خمسة مكاتب وكل مكتب عليه شيخ كالآتي :

السعدي	الكلدي	اليهري	اليزيدي	الناخبي

١ – مكتب السعدي – وشيخه العمودي – وعاصمته شريان – وينقسم إلى ثمانية أقسام كالآتي :

---

[1] سلطنة العفيفي تنقسم إلى قسمين، سلطنة الجبل آنفة الذكر وسلطنة الساحل وعاصمتها قرية الحصن وبها مقر السلطان عيدروس العفيفي وابنه وأهم مناطقها جعار وهي المركز الإداري للسلطنة العفيفية سابقاً، المرجع – كتاب البكري في شرق اليمن، ص ١٤٩.

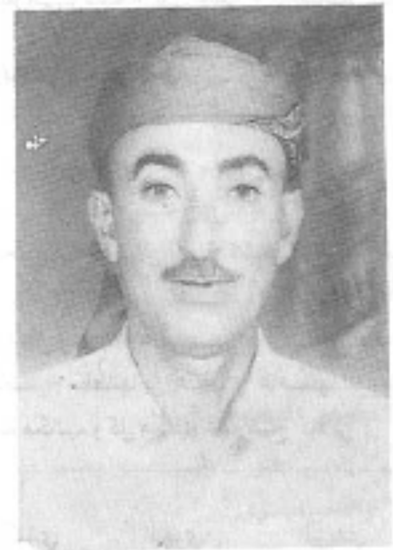
عمري ذوادي تامي القيلة بن خمر عامري بارعي محمدي

وكل قسم عليه عاقل إضافة إلى السرحي.

وهناك من يقول بأن المكتب ينقسم إلى قسمين أساسين لكل قسم عاقل وهم:

١) ذوّادي – وعاقله بن ديان وعاصمته فلسان.

٢) بن خمر – وعاقله بن محسن جابر – وعاصمته الخربة.



العارف بشؤون القبائل قاسم فضل حسين الصلاحي

وينقسم الأول إلى أربعة أقسام :

ذوادي – عمري – محمدي – تامي

وينقسم الثاني إلى :

بن خمر – قيلة – رباعي – عامري إضافة إلى الوعلاني يتبع الناصفة السفلى.

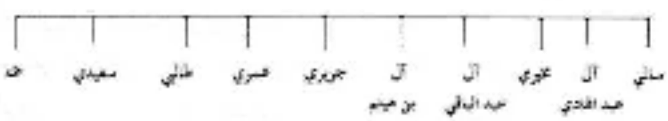
٢) مكتب الكلدي – وشيخه بن عطية – وعاصمته (العُلاة) ومن قبل خنفر وينقسم إلى عدة قبائل صغيرة وهو من أكثر المكاتب تعقيداً في التقسيم الإداري القبلي ويرجع إلى مساحته المتداخلة بين الساحل والجبل.

١) ينقسم إلى قسمين أساسيين هما الأول جلادي وعاقله صالح حسن الجلادي وتتبعه القرى الآتية:

بيت بن عبد الهادي – بن عبد الباقي – المخيري – العلوي – عمري – صعيدي – سعيدي – سنيدي – وصاحب قمة – وطائي – وأهل الهيثمي – الحنشي وأهل علي – وهويدي – بن لصروح .

٢) النصف الآخر منصري وعاقله بن غازي ويضم:

رهوي – آل غازي – البركاني – الربيعي – آل عياش – الجداس – سرحي – منصري – عطوي – جردمي باقري (بوبكري – دعاسي – سلامي – عطاقي) ويمكن إيضاح ذلك كما أفادنا العارف بشئون القبائل الوالد قاسم فاضل الصلاحي والذي اعتبرناه مصدراً أساسياً بأن التقسيم سيكون على شكل قبائل صغيرة كالآتي:



هويشي	سيدي	جوادي	أصبحي	آل بن عباد	شوي	حياشي	
وكاسي	بوبكر	سلامي	عطاق	صبحي	منصوري	بوسقي	رهوي	منصوري الساحل

وكل قبيلة عنيها عارف وقبائل الساحل تابعة للكلندي وحكمها للعقيقي.

٣) مكتب اليهري – وشيخه بن سبعة – وعاصمته حومه ويقسم إلى قسمين رئيسين (الاصفتين عُليا وسفلى) على طريقة الأخماس أضافوا إليها ثلاثة أخماس تجاوزاً لتصبح ثلاثة عشر خميس مع أنه كان يفترض أن يكون القسمين.

كل قسم خمسة أخماس لتصبح عشرة أخماس:

فهناك تقسيم على النحو التالي:

١) القسم الأول وعاقله بن حسين وعاصمته الربيعه.

حمير الجبل	حمير الواد	شعب العلوي	الربيعي	آل مسلم	

٢) عاقله بن شطور وعاصمته الحربه في خبّه وينقسم كالآتي:

شيحي	طبهي	عمري	محرمي

وكل قسم عليه عارف يديره.

وهناك من يرى بأن هناك تقسيم آخر إلى جزئين تسمى خموس سبا وفروعه:

١ – حمير الجبل ٢ – حمير الوادي ٣ – حمير الوسط

٤ – الربيعي ٥ – العلوي ٦ – العرمي.

وخموس بن قحطان وفروعه:

١ – مسلمي فرحاني ٢ – مسلمي عبدلي ٣ – شيحي

٤ – محرمي ٥ – طبهي ٦ – عمري

٧ – مشزوسي (جعشاني) ليصبح.

القبيلة	الشيخ
حمير الجبل	بن سبعة
حمير الواد، حمير الوسط	بن فريد
العلوي	بن ابراهيم
الربيعي	بن علي جابر الشعوري
العرمي	بن منصر الصلي
مسلمي فرحاني	العاقة وبن عاطف
شيحي	بن يوسف وبن قاسم
محرمي	بن علوي
طبهي	بن شطور
عمري	بن حلوب
جعشاني	بن حسن

٤) مكتب اليزيدي – شيخه البطاطي – عاصمته الخضراء

وينقسم أخماس هي :

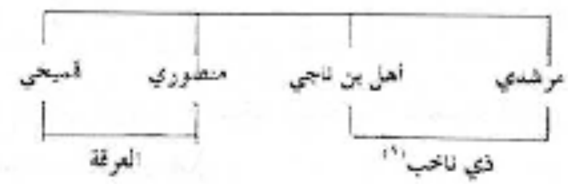
كبابي	الفاجي	سناني	ثلبي	حماني

وكل قسم له عاقل وقد خاواه أثناء الحروب القبلية القسم السادس لمكتب الطبي (السفلي).

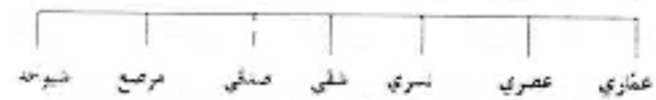


الشاعر العالم بشؤون القبائل محمد سالم الكهالي

٥) مكتب الناخي ورئيسه الخضر الشقي وشيخه الكهالي وينقسم إلى قسمين رئيسين الأول وعاصمته بين السيل وينقسم إلى أرباع هي:



٢) القسم الثاني وينقسم إلى سبعة أقسام هي:



وكل قبيلة لها عارف أو ميسمى بالأعيان.

وقد تسلطن الخضر الشقي منافسا لسلطة العفيفي .

وجرت بينه وبين العفيفي مواجهات تدخلت فيها بريطانيا ليصبح العفيفي طرفاً مواجهاً وعد الخضر بن محمد صالح الشقي رئيساً لمكتب الناخي في الفترات السابقة.

ج ـ الأرداف :

هناك مقولة: يقال للضبي بأن حدوده من صفا[2] الطف إلى صفا الفرده ويقال الموسطة من خلاقة إلى عمارة .

وقد اعتمدت يافع على المداخلة الدقيقة في التقسيم بحيث أنك ستجد التقسيم كالبناء تتداخل حجارة لكي لاينهد فقرى (الطف) داخل الموسطة وتجد

[1] ملاحظة : من مكتب ذي ناخب عرفت الدولة الكسادية في حضرموت وتسمى هذه الدولة إلى الأسرة الكسادية قسم أهل أمشو (الشقي).

[2] صفا : تعني واجهة من جبل (صماء ملساء).

قرى القعيطي داخل الضبي وترى البعسي واليزيدي والناخي متداخلة وكأنها رهائن تؤمن قرى المكتب الآخر من أي اعتداء قبلياً.

وعليه نجد ان أرداف الموسطة: بعسي، وخلاقي، وربوي وشعيبي وحالمي ويسلمي في المخارج الكبيرة (اليسلمي جزءاً من المفلحي) وأرداف الضبي: حضرمي، وحدي، وبكري، فردي، وداوودي (خاص) في المخصم والمفرم ويعود إليه جزء من المفلحي كرديف أيضاً.

وأرداف بني قاصد يقال بأنها ردفان وأبين والعبدلي، بل أنه يشير علينا الأبناء بأن الضالع والأشاعر يعودان في تقسيمهما كقطعان ليافع في المخارج الحربية الكبيرة منذ زمن الدولة الحميرية وعبر العصور حتى نهاية الحرب الزيدية مع الشوافع، وتعني تلك الأرداف الاستعانة بها عندما يقهر المكتب في حرب ما. إلا أنه في حال قهر المكتب ورديفه فإن يافع تحمل بالاجتماع ويكون المخرج واسعاً ويشمل عدة جهات في آن واحد.

ومثلما نشأت تلك النظم فقد صاحبتها أوضاعاً اجتماعية متعددة بدت في كثير من المؤثرات على الكيان اليافعي منذ بروزها كمؤثر تاريخي في الإطار التاريخي اليمني العام.

ويلزمنا هنا تشخيص بعض تلك الظواهر والأوضاع لنتبين مدى صلة الربط والتأثير.

أولاً : الوضع السياسي :

أ ـ قبل الإسلام :

يرتكز الوضع السياسي قبل الإسلام على أسس ثلاث :

١ – القبيلة (وحدة تماسكها – تعدادها – عدائها – عتادها)

٢ – المصادر الدخيلة (تجارة – زراعة – تربية حيوان) إضافة إلى وفرة مصدر المياه اللازم للاثنين الأخرين .

٣ – الديانة (كهنة – معابد – أرباب وثنية).

ونظراً لذلك ، بل وقويت باستمرار المرتكزات آنذاك وزالت فيما بعد بزوال تلك الأسباب والمرتكزات كل الدويلات ماقبل الإسلام.

ومثلاً على ذلك دولة سبأ عندما بدأ الإنقسام والتنافس بين أكرابها على الاستحواذ على المرتكزين الأخيرين، أدى إلى استعانتها بأقيال قبائل حمير الخشنة لضرب بعضها. وهذا قويت شوكة التأثير الحميري، واستأثروهم الآخرون على بعض المرتكزات، وأصبحوا منافسين حقيقين لكن تحت مظلة دولة الأوسانيين التي أضحت في القرن الخامس قبل الميلاد خطراً يهدد كيان الدويلات المجاورة (كسبأ، قتبان، حضرموت) مما جعل أولئك يتحالفون ضدها ويتقاسمون مرتكزاتها وينهون كيانها مؤقتاً ساعد الحميريون على الظهور ثم عادت مع الظروف المواتية لضعف هذه الدويلات، وبفضل وحدة تماسكها ودعم الحميريون أدبيا إلى استعدة بعض أسبابها وأضحت كما كانت عليه قبل هجمة (كرب إلى وتر) بل ولم تزول تماماً إلى بعد ظهور الحميريون وانتزاعها من قبلهم، وإزاء تنامي قوة الحميريون عسكرياً أولوا الجانب الاقتصادي أهمية كبرى. ودخلوا في صراع على انتزاع مصادر الدخل والأسباب لقبائل سبأ وحضرموت، واستطاعوا الاستيلاء على شريان الموانيء البحرية بينما كانت الطرق البرية وتجارة (الطيوب) محتكرة بأيدي السبأيين ولفترة طويلة حتى زمن (شمريهرعش) موحد اليمن الكامل تحت راية الحميريون. ومما يؤخذ على الحميريين، من أنهم وعند محاربتهم للأحباش استعانوا بالفرس الذين أضحوا محتلين حقيقيون وأبدلوا غاز

بآخر وهدروا بأنفسهم كيان وحدة قبائلهم وتماسكهم بأن دخلوا في حرب جانبية بأرض السكاسك (ماويه) مع قبائل (مذحج) عندما قال الشاعر الجاهلي الأسفع الهمداني قبل الإسلام مشيراً إلى هذه الحرب:

ولن تتركنكم ذور عين وسكسك ... ولا من سكون بيت سعنية بن عامر

ولا ذو الكلاع الطالبون بثأرهم ... إذا أمكنهم ولبة المتقاصر

ولا يافع تقضي ولا حي ترخم[1] ... ولا ذو نواس كل أبلج واغر

أشار الهمداني في ص ٨٤ الاكليل الجزء الثاني إلى أن الذي هاج هذه الحرب ابن سريع الكسكسي وكانت حرباً ضارية.

ب ـ بعد الإسلام :

على الرغم من مواجهة بعض القبائل الحميرية لدعاة الإسلام إنما كان غالبية أقيال حمير يغضون الطرف عن الدعاة ويتعاطفون معهم في دعوتهم لدين الإسلام حتى ذهب كافة الحميريون إلى إرسال وفودهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم معلنين الدخول والتزام الطاعة.

بل إنهم هبوا للإنضمام في صفوف المجاهدين وكانوا الأكثرية في الفتوحات. وعلى كل الجبهات.

وكما سنرى فإن الرسول الكريم لم يبخسهم قيمتهم التاريخية بل وضعهم على رأس القبائل العربية، مفضلاً إياهم في نشر الإسلام، وجعل من أقيالهم قادة لكثير من الجيوش الفاتحة ومن مأخذ الحميريون بعد الإسلام، من إنهم التفوا حول داعية القرامطة علي بن الفضل الخنفري.

وبعد حادثة الخنفري تقسمت القبائل الحميرية إلى وحدات قائمة، كل منها على حدة، منفصلة لم يقر لها قرار، وإن كانت يافع قائدة لتلك المجاميع لازالت

[1] ترخم هم قوم من أشراف اليمن سكنت بلدة (خاو) ووادي بنا ووادي شراد ص ٢٩١ الاكليل ونطقها بفتح التاء وضم الخاء المعجمة، ص ٢٩٠ .

محافظة على وحدة كيانها ولم يهتز نتيجة للتقلبات السياسية الطارئة على الساحة اليمنية.

بدليل استعادت تأثيرها الفعال في منتصف القرن العاشر الهجري عندما ألبوا القبائل على الإنضواء تحت مظلتهم لمواجهة الزيود في حرب دامت تتراوح مداً وجزراً عبر السنين كعداء مذهبي لايهدأ. ولايعني هذا إن تأثيرها لم يكن موجوداً عبر القرون الوسطى وأثناء ظهور الدويلات اليمنية. إذ إنه مامن شك في أن كثير من نجاح تلك الدويلات محسوب على تأثير يافع الفعلي، وكثير من إخفاقات تلك الدويلات في النجاح يعود إلى إبراز العداوة للعنصر اليافعي، وإبعاده عن المشاركة في مجريات الأمور، ونستطيع أن ندلل أخيراً إلى وقوف يافع في نشأة دولة اليمن الاشتراكية وإنهائها عندما وقفت يافع على الحياد في الحرب الأخيرة.

ثانياً : العلاقة الاقتصادية بين الحميريون وجيرانهم:

بعدما استتب الوضع واستقرت الأحوال، وآلت الأوضاع برمتها إلى كنف الدولة الحميرية بما فيها مصادر دويلات ماقبل الدولة الحميرية حينها بدت عوامل التنمية الاقتصادية تزدهر في كافة الدولة الحميرية وأخذت عوامل التنمية الإقتصادية تنعكس في كافة الجوانب الحياتية لتلك الدولة.

فعلى الصعيد للجانب التجاري ازدهرت تجارة (الطيوب) بين الحميريون وجيرانهم واتخذت لها أسواق ثابتة في أسواق بيزنطية، ومصر، وفارس وبلاد الشام وعبر الوسطاء (المناذرة) و(الغساسنة) و(اللخميون) إنما ذلك الإزدهار التجاري لم يدم نظراً لاشتباك المصالح الدولية بين العملاقين (بيزنطية) و(فارس) وأطماعها في اليمن الغني (بالطيوب) مما أدى إلى تدخلها بشكل أو بآخر كما سنرى، وتحت ذرائع واهية، حتى تمكنا من أضعاف الدولة الحميرية وتفرقت السبل بأقيالها كل على حده، وتدهورت التجارة البرية والبحرية وانعكس ذلك على الجوانب الزراعية حيث تهدمت السدود، والقنوات الخاصة بالمياه والري نتيجة للحروب الدامية فيما بين الأقيال أنفسهم والغزاة الأجانب.

بدأ لنا ذلك واضحاً من الاهمال الذي أحيق (بسد مأرب) وتشققت جدرانه وأيوله إلى الإنهيار مرات كثيرة كان آخرها في عهد (أبرهة الحبشي)[1] سنة ٥٤٢م شهر ذي المذرأ (تموز) (rih 540) .

أما على الصعيد الزراعي وخاصة بعد انهيار سد مأرب كما أشرنا وسقوط الدولة الحميرية تماماً فقد تمزق المتاخمة وتحول كل منهم منفرداً في مخلافه مما أدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية لكل منهم، وأضحت مصادر الانتاج لاتفي بحاجة السكان، بل بالكاد يستطيع السكان على الحصول بما يسد رمقهم آنذاك وقد كرس الأقيال الحميريون والأذواء جهودهم، وخاصة في مرتفعات (سرو حمير

[1] الإنهيار الأول في عهد شرحبيل والأخير بعهد أبرهة وقد شاركت (ذوو رعين) في ترميم السد وإعادة بنائه في كلا الانهيارين النقش (م – ٥٤٦) (س ٩٢ – ١١٤). وهذا يعني بطلان إن يافع نزحت إلى الجبال من جراء انهيار السد كما زعم المؤرخ المرحوم (حمزة لقمان).

يافع) على استتباب إعادة أهم المصادر الغذائية، لكي يتجنبون أزمة المجاعة المميتة في الأرجاء اليمنية، فعمدوا فعل الآتي:

١ – العمل على زيادة الرقعة الحقلية لزيادة الانتاج (بناء المصاطب).

٢ – العمل على تقنين وإيجاد مصادر المياه الجوفية للاحتياج الزراعي والشرب (زيادة عدد الآبار المحفورة).

٣ – إيجاد وصياغة أعراف تحث على مايسمى (المعون) أي التعاون في العمل وفي كل الميادين.

٤ – العمل على صناعة وتوفير الأدوات المساعدة في الإنجاز اختصاراً للجهد والوقت وزيادة المنتوج.

ونتيجة هذه الخطوات فقد تمكن اليافعيون من البقاء والصمود على تلك المرتفعات الجرداء القاحلة واستطاعوا أن يؤسسوا مصادر انتاج للإعاشة في بيئة لايتوقع منها الرضوخ لمطالب كهذه، بل إن تلك المصادر استطاعت إعالة أجيالاً بما يحتاجون وعلى مر العصور دونما الحاجة للآخرون، مقننين لذلك كمية الصرف[1] ، والاستهلاك حتى بدت أسباب الهجرة والعسكرة كمصدرين آخرين فيما بعد جذبت الكثير من أبناء يافع على النزوح والمغادرة إلى مناطق عديدة في شتى بقاع العالم أشرنا إلى أسباب الهجرة ودوافعها في جنبات صفحات هذا الكتاب.

وحدة التعامل الاقتصادي:

تعتبر العملة ميزة من ميزات هيبة الدولة ونفوذها الاقتصادي في توجيه دفة التعامل التجاري بما يخدم مصالحها المتداولة.

[1] مقننين: تعني مقننين في المصروفات، بما يسمى عند اليوافع (الطريف والمدورة) لحب الطعام وعلف الماشية، ومما قيل إنهم كانوا يتبادلون (قبس النار) لكل دار الإشعال الموقد في القديم.

وقد سكت وحدات النقود النحاسية والبرونزية والفضية منذ عهدي دولة سبأ وحمير وعلى وجه التحديد زمن (كرب إل ينعم) (ثاران يعب) (شمر يهرعش) الحميري.

وظهرت على وجه العملة نقوشاً حميرية تحمل اسم (ريدان) ووجوهاً ظاهرة أو رؤوساً على طريقة تقليد الأنواع الأثينية (عملات اغسطس)[1].

ثم بعد نهاية الدولة الحميرية تدرج اليمنيون في استخدام العملة الاسلامية واستمر الوضع في زمن الدويلات اليمنية على استخدام عملة كل دولة تستطيع حكم اليمن سواء يمنية أو غازية.

ويافع جرت على نفس النمط في التعامل وإن تخللتها في فترات معينة التعامل بطريقة المقايضة (استبدال سلعة بأخرى) حسب الطلب والحاجة.

ولقد عدت الحبوب بشتى أنواعها وحدة تعامل مختلفة القيمة والسعر، مقرونة بالحاجة وضرورتها كذلك سخرت المواشي لنفس الغرض واستحكموا بأعلافها كطريقة من طرق المقايضة للحصول على مايتقصونه وإنما في فترات الإنضواء وتحت ألوية الغزاة كان يفرض عليهم نوعاً من وحدات النقد لإتمام التعامل عندئذ.

فمثلا وجدت بخرائب هديم بني بكر عملة يعود تاريخها إلى زمن السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف (٦٤٧– ٦٩٤هـ) (١٢٥٠– ١٢٩٥م) التي ضربت في فترة حكم هذا الملك لمدينة زبيد وتعز وعدن ويحتمل أن يافع خضعت اسمياً لحكم دولة بني رسول وبالتالي استخدمت هذه العملة الفضية في التعامل الفعلي بين الناس.

وتحمل في ظهرها كتابة [بسم الله الرحمن الرحيم – لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق].

وفي الدائرة الخارجية [ليظهره على الدين كله – ثم اسم أبو بكر عمر عثمان علي (معاندة للزيدية التي تتجنب ذكر بعض الخلفاء) في الدائرة الوسطى

[1] [illegible] نوع برونزي تقليداً لأقدم العملات الأثينية ويوجد عليها رأس أثينا ظهرت بعض دراسات عن العملات من قبل البعثة الفرنسية وقت بإشراف متحف عدن سنة ١٩٨٦ ١٩٨٨م.

ومن الجهة الأخرى يحمل : اسم السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور].

وفي الدائرة الخارجية لهذا الوجه (الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين) كذلك تعاملت يافع بعمله بني طاهر إلى وقت احتلال العثمانيون ثم ظهرت عملة حروف الذهب الإمامية[1] وفيما بعد العبدلية والتي انتشرت شهرتها في أرجاء الجزيرة العربية وقد كانت تسمى عند بعض شعوب الجزيرة العربية بعملة (الحسا) وهي أشبه بشبك الشعر كما أشارت إلى ذلك مجلة العربي العدد (٤٠٩) ديسمبر ١٩٩٢م ومما يعزز ذلك فقد وجدنا (سجل) بيع بهذه العملة عند الأخ محسن بن محسن الخولري يعود تاريخه إلى سنة (٩٩٥هـ) بنص بيع أرض بثمانية حروف ذهب، وكذلك صك آخر يعود إلى سنة ١٠٤٧ هـ بالحرف الإمامي فضه.

ومما يؤكد ذلك أيضاً وثيقة بيع بحرف الذهب ص ١٢٥ من كتاب (هدية الزمن) في منتصف القرن الحادي عشر الهجري لدولة العبادلة حتى نهايتها.

ويبدو من خلال ذلك بأنها أضحت عملة ثابتة القيمة في كافة الأرجاء اليمنية بما فيها يافع استمرت على هذا الحال حتى دخول القرش (ماريـاتريزا) أو مايسمى بالقرش (الفرنسي) وهو الآخر عم أرجاء الجزيرة العربية في التعامل إلى جانب عملة المتصرية في لحج.

ثالثاً : العلاقة الدينية :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ سورة النمل الآية (٢٣) وقال في سورة نوح (٢٣) ﴿... ويعوق ونسرا﴾[2] (آلة الحرب) استمر الوضع على هذا الوضع وعلى هذه الحالة، حتى ظهور الديانات التوحيدية (اليهودية – المسيحية – الاسلامية).

[1] هناك حرف فضة أيضاً إمامية السكة.

[2] عثتر يسمى عند الحميريون: (ذي الشارق) ويسمى ذي بهرق (المطر) ويعني أيضاً آلهة الحرب.

وكان من نتيجة ظهورها أن اعتنقها الحميريون وقتلوا وأحرقوا دعاة المسيحية (حادثة الأخدود) وعندئذ أضحت اليهودية مؤثرة على الأوضاع الاجتماعية والدينية لشعب حمير ماقبل الإسلام.

وبدى ذلك التأثير من خلال بقايا التسميات اليهودية لكثير من المناطق والقرى والوديان في اليمن.

حتى وقتنا الحاضر، ولازالت تلك التسميات ماثلة أيضاً في الجوانب الحرفية والاقتصادية لشعب (حمير).

ولربما قد ترافقت قصة الأخدود مع قصة (أهل الكهف) تلك القصة المتوائمة دينياً في ظروف الصراع المسيحي اليهودي على نشر دياناتها في اليمن والتي أشار إليها قرآننا الكريم بقوله تعالى في سورة الكهف الآية ٨ – ٩ – ١٠ ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ۞ إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ۞ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ .

ولقد اختلف المؤرخون الاخباريون عن تحديد الحادثة وزمنها فمنهم من يقول بتركيا، ومنهم من يقول ببلاد الشام وآخرون يقولون بأرض فارس واليمنيون الواقع يقولون بأرض يافع ببلاد السعدي وزيادة بالتأكيد فقد ذهبت بنفسي لأرى تلك الادعاءات فوجدت كثير من المؤشرات التي تنبيء بصحة ما يدعيه أهل يافع على الرغم من الخلاف في عدة أصحاب الكهف ﴿قل ربي أعلم بعدتهم..﴾ فقيل لي هذه القبور السبعة (ستة قبور) وسابعهم كلبهم. قبر الكلب اصغر حجماً وأشاروا إلى وجود وادي (رُقم)[1] ثم قالوا لي وهذه الخرابة تسمى (دقة يانوس) فقلت من (دق يانوس)؟ فقالوا لأني ملك يمني لربما (ذي نواس) وهنا أردت التحقيق من تلك التسمية والتي تكاد على الانتشار الكامل بين شيوع العوام ورجعت إلى كتب التاريخ والمراجع البحثية ووجدت الآتي: –

[1] وادي رقم غير الرقيم تفسيراً (المرقوم في اللوح) ابن كثير.

(دق يانوس)[1] ملك رماني حكم مصر واضطهد المسيحين سنة (٢٨٤م-٣٠٧م).

والعلاقة المصرية الحميرية علاقة تجارية ليس إلا... فهل تطورت إلى علاقة دينية (يهودية)؟ وإذا كانت غير ذلك فكيف إذن وجد باليمن؟ حتى يهرب أولئك المسيحين بدينهم إلى هذا الكهف بعد مطاردتهم مع إن الاحتمال الأول اقرب إلى الصح بدليل بقايا تسميات يهودية قريبة من مواقع الكهف ثم إن الزمن يقارب ماأشار إليه القرآن الكريم تقريباً وهنا لايعني الاجابة التخمينية بقدر مايهمني طرح بعض الاستفسارات كدليل ارشادي لمن اراد البحث والتحري مبتدئاً بالسؤال؟ هل ذلك التواجد اليهودي بتلك الوديان امتداداً ليهود مصر (أوقليديانوس)[2]

وهل له علاقة بالغزو الروماني لليمن سنة ٢٤ق.م؟؟ وهل كانت المدينة التي ذكرها القرآن مجاورة لذلك الكهف (كهف السبعه)؟ ثم الا يعتقد بان تلك المدينة هي (ارم ذات العماد) وبالنظر إلى بقية الاشارات القرآنية نرى بانها متطابقة تماماً مع مواصفات ذلك الكهف ليحل لغزاً حير المسلمين زماناً.

ولكي لانتوه عن مضمار العلاقة الدينية مع شعب حمير قبل الاسلام وبعده نود الاشارة إلى أن الديانة المسيحية لم تستطع البلوغ لما وصلت إليه الديانة اليهودية على الرغم من حملة الاكسوميين لحماية المسيحين وبدعم بيزنطة للإحباش في تنفيذ تلك المهمة وعلى الرغم من تفاني الاحباش من نشر المسيحية وبناء الكنائس والأديرة أشهرها (القليس)[3] بصنعاء والكنترائية بعاصمة الحميريون (ظفار ذو ريدان) مع إنها لم تفلح في تحقيق النجاح المنشود على أرغام الحميريون في الاتباع والتخلي عن دياناتهم.

---

[1] دق يونوس: يستخدمها أهل يافع للبعد الزمني وكلمة (دقق) أرض عليها بقايا أطلال وبيان قديمة سويت على الأرض.

[2] اشبه بطريقة صك العملة بالروبيه هو دليل يقتضيه الإثبات على مدى العلاقة الروبية (مصر) باليمنيه

[3] كانت من القصور الحميرية القديمة ثم حوله الأكسوم (ابرهة) إلى مقام كنسي سماه (القليس) حائلاً دون الحج لإلى العرب ذلك وعلى رأسهم اليمانيون. ويسمونه ابن عمرو الاكليل، ص١٠٣.

استمرت الحالة الدينية متذبذبة أمطاها الصراع بين المسيحية واليهودية زمناً ليس بالقليل حتى ظهور الديانة الاسلامية ممثله بنبينا الكريم (الرسول الأمي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) لتكتسح تلك الخزعبلات الوثنية وتطغى على الديانتين اليهودية والمسيحية وتلغيها باستثناء اليهودية ظلت معتكفة حتى زماننا هذا وبشكل ضئيل لايرقى إلى تهديد الديانة الاسلامية العظيمة.

رابعاً : العلاقة الثقافية :

نشأت علاقات بين الدويلات ما قبل الإسلام، وترسخت جذورها الثقافية بعمق الأصالة التاريخية لتلك الدويلات، ولاسيما اليمنية. وكان من أبرزها الخط (المسند) وتداوله حيث أحدث نقلة نوعية في طريقة التعامل وتسجيل الأحداث عبر ذلك التاريخ حتى ظهور الإسلام.

وعلى ضوء ذلك الخط أيضاً استطاعت تلك الدويلات أن تدون ألفاظاً ومصطلحات، وتعابير لغوية ونحوية خاصة بها، ولم يبق منها سوى بعض شذرات اللهجة الحميرية في عموم القرى والوديان اليمنية. وسراواتها الجبلية والتي كانت مواقع استيطان ومعايشة (حمير) آخر تلك الدويلات.

ونرى بأن تلك اللهجة قد سادت إنتشاراً في مخلاف (ذورعين) الحميري، وعلى وجه الخصوص في (سرو حمير) و(سرو مذحج) الذين يستخدمان بعض تعابيرها وألفاظها حتى الآن وفي بعض مناطق حضرموت.

اللهجة الحميرية (لهجة يافع):

قال الأستاذ المؤرخ بامطرف بأن لهجة دولة (أوسان) لايعرف عنها شيئاً أو يمعنى لايعرف عن خصائصها اللغوية، معللاً ذلك إلى قلة المرجعية في النقوش الاستدلالية وكما نعرف نحن بأن يافع جزءاً أساسياً من دولة أوسان تجاوزتها البحوث إلى مواقع بعيدة عن نشأتها ووجودها، مع أنه كان الأحرى القيام بدراسة خرائب (هديم) وخرائب (عوسان) في الحد ليستطيعوا الإجابة على اللغز التاريخي في وجودها وعاصمتها. وفيما يخص لهجة الأوسانيون والحميريون حدد

الهمداني خارطة اللسان الحميري وقال بأنها أقل عربية وفيها شيئاً من التحمير (حميرية) وقال أيضاً أن (سخلان، وجيشان، ورارح، حضر، صهيب وبدر تقترب من لغة وفجة) (سرو حمير) أما عن العدنيين فقال إنها حميرية (رديئة) وكذلك الشحرية والحضرمية بأنها ليست (بفصيحة).

ولأهمية اللهجة الحميرية فقد خاطب الرسول المصطفى وفد حمير بلهجتهم فعندما وفد الحميريون إليه قال أحدهم للرسول الكريم (أمن أمبر امصيام في امسفر) أي (أمن البر الصيام في السفر) فرد عليه (ليس من امبر امصيام في امسفر)[1].

فحرف (أم) عوضت عن (أل) التعريف وهي طريقة حميرية قديمة لازالت في اطراف يافع (الحد) وكذلك ببعض مناطق سرو مذحج حتى وقتنا الحاضر كان تقول (البيت) (أمبيت) وهكذا.

وهناك أيضاً حرف (ذي) اسم إشارة كانت تطلق على (الأذواء) في دولة حمير ولازالت بعض مكاتب الأذواء تحمل تلك الإشارة مثل (ذيصرا، ذي ناخب، ذي كلبه، ذي الشارق (تي الشارق)، ذي يهر، ذي جليد) ويكثر تداولها في مناطق المفلحي من يافع.

وتشابهما أيضاً حرف (تي) مثل قرية (حمد) (تي حمد) (كبابه) (تي كبابه) وتشابهها كذلك حرف (تل) بكسر التاء وسكون اللام مثل (اللُّب) (تلُّب) (تلخطي) (تلقراص) (تلعكوات) (تلعقر) أسماء حقول زراعية أدخلت عليها (تل).

ومن أهم ما يميز اللهجة اليافعية (كلهجة حميرية) استخدام حرف (ق) بطلاقة شديدة على عكس حرف (غ) الذي يعوض عنه باستخدام (ءآ) فيقولون لإسم (غالب) (آلب) و(غالي) (آلي) وبالغ (بآلاء)، وهلّم جرا..

وعلى عكسها حرف (ع) مثل (كلاع) (كلاء) و(رأيت) (رعينا) ويقولون (رعينه) أي (رأيته) خلاصة القول نلاحظ استبدال حرف (ع – غ) بالهمزة

---

[1] مصدر مجلة الاكليل لعدد الثاني.

ملاحظة: وردت بعض مفردات وشذرات عن اللهجة الحميرية في كتاب الهمداني (صفة جزيرة العرب) وكتاب نشوان الحميري (شمس العلوم).

لتصبح جزءاً مختصراً من هذين الحرفين (ء – غ) ولانستبعد من أن كلمة (ذي رعين) جاءت لتلك التغيرات الحرفية في اللهجة فعرفوا باسم ذلك المسمى. وفي اللهجة الحميرية اليافعية يتم اسقاط وادغام وإضافة بعض الحروف إلى الكلمة مثالاً على ذلك.

حرف (قد) عندما يضاف إلى (ذا) يصبح (قذّا) بكسر القاف عند الإشارة ويصبح (قد) (أنا) – (قنا) وللمؤنث (قد) (هي) – (قهيه) وفي المفارقة بين حروف (ش – ت – ك) مثل (شربت الماء) يقولون (شربكالماء) للمذكر و(شربش الماء) للمؤنث، ويستمر الوضع بهذه الطريقة فإذا سؤل أحدهم (بأين سرت) يقال (أين سركة) ومثالاً على ذلك للمؤنث. (تعيشك) – (تعاكش) من كلمة (تعي) وإذا ما استخدمت حرف (لا) يقولون (لمه) بكسر الميم وفي بعض القرى يقولون (نمه) باستبدال حرف اللام – بنون. واستبدال كسر الميم إلى فتحه فتصبح (نمه) مثل: نمه فعلت ذلك. فيكون الرد (فلمه) أي لادخل لك وهنالك مصطلحات كثيرة لايسعنا حصرها في هذا الحيز الضيق وإنما للتدليل مثل (أني يلك) و(فيش آلا) فالأولى تعني (لايهمني بشيء) والثاني تعني (زيادة على ذلك) ويصاحب الأولى نوعاً من اليأس والخضوع وتصاحب الثانية نوعاً من الكبرياء والتشفي وتستخدم للمؤنث وعلى العكس المذكر، وهناك كلمات حميرية لاحصر لها لازالت تستخدم بكثرة في اللهجة اليافعية مثالاً على ذلك (كرود) أي يعجن وهي مأخوذة في استمرار حركة اليد (كرور) و(ردود) لتختصر في كلمة (كرود). وهناك كلمة و(ثن) أي استحلفك با لله (الأوثان) أي أصرّ عليك بالبقاء وتعني (تثيت) الشيء مثل علامة معينة توثن بها أرض زراعية.

وتكثر في اللهجة اليافعية الحميرية كثير من الاشتقاقات والتصغير إلى درجة شمولية الإحاطة بكل ما يودون تسميته.

ومع أن اللهجة اليافعية كانت حميرية صرفة إلا أنها خصّبت فيما بعد بكثير من مفرداتها: وهجنت بلغة القرآن الكريم مثالاً على ذلك يسمرن (الوجه)

وهي خزنة صغيرة يتم وضعها بجدران المنزل أخذت واشتقت من آية (يولج الليل في النهار) أي ادخال الشيء وإيلاجه في هذه الخزنة.

وكلمة (استرط) بمعنى أبتلع الشيء عبر مجرى البلعوم المستقيم وكلمه (فادة) أي إضافة من القرآن (أفئدة) ومفردها فؤاد.

أي أن موقع الخوف لايكون إلا بالفؤاد.

وتستخدم كلمة (ماأسطأ) أي لاطيق قبوله (لايسطأون) ومن الكلام الدارج في اللهجة الحميرية كلمة (تقنبس) أي جلس (يقن) وجاءت كلمة (قمبوس)[1] من طريقة الجلوس لعزفه.

وعلى كل حال فاللهجة اليافعية نـزّت مع مرور الزمن واندثرت مفردات كثيرة من قاموسها، ونحن في هذا الصدد لايسعنا الخوض أكثر من ما ينبغي في هذا الموضوع، ولقد تجنبنا الغوص أثناء عرضنا لهذا الجانب من اللهجة الحميرية، واكتفينا بإيجاز بعض الملاحظات المستشفة من خلال السمع وبحكم تواجدنا.

وأردنا أن تكون هذه بداية لمن أراد البحث والتعمق في جانب اللهجة اليافعية، الحميرية المنشأ، ودراستها كعلم لغوي ثم ربطها بعلم الأجناس وعلاقتها الاجتماعية في منطقة يافع.

حتى يتمكن من اكتشاف بنيتها الحميرية ومصطلحاتها اللغوية التي قد تفيدنا في توسع الاستخدام اللغوي للأشياء.

وبعد هذا الشرح الموجز للنظم والمؤثرات الاجتماعية، ينبغي علينا بيان وضع دويلات ماقبل الإسلام في اليمن ومدى صلتها بالكيان اليافعي المبني على تلك الأسس العريقة والتقليدية، والتي ما برحت ماثلة للأجيال حتى وقتنا الحاضر.

---

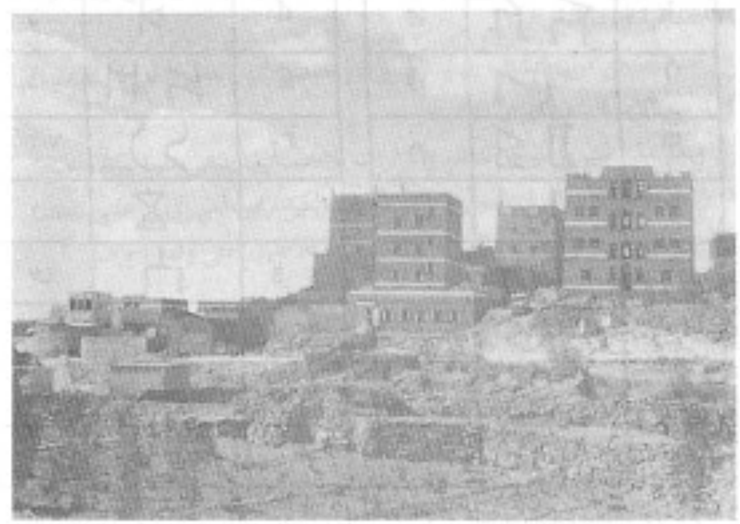
[1] قمبوس: عود النغم بوترين وكان عندما يراد الدق والطرب يحتضن الفنان على ركبته (طريقة الجلوس).

ابجدية حروف المسند وما يقابلها من الحروف العربية الشمالية واللاتينية

عربي	مسند	لاتيني
أ	𐩱	ʾ
ب	𐩨	b
ت	𐩩	t
ث	𐩻	ṯ
ج	𐩴	ǧ
ح	𐩢	ḥ
خ	𐩭	ḫ
د	𐩵	d
ذ	𐩹	ḏ
ر	𐩧	r
ز	𐩸	z
س	𐩪	s s^1
ش	𐩦	š s^2
ش	𐩯	ś s^3
ص	𐩮	ṣ
ض	𐩳	ḍ
ط	𐩷	ṭ
ظ	𐩼	ẓ
ع	𐩲	ʿ
غ	𐩶	ḡ ġ
ف	𐩰	f
ق	𐩤	q
ك	𐩫	k
ل	𐩡	l
م	𐩣	m
ن	𐩬	n
هـ	𐩠	h
و	𐩥	w
ي	𐩺	y

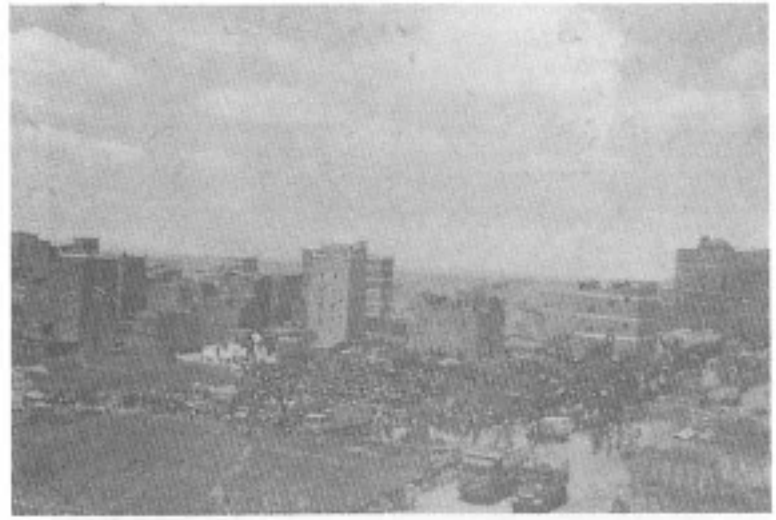
أخذت من كتاب د. أسمهان الجرو

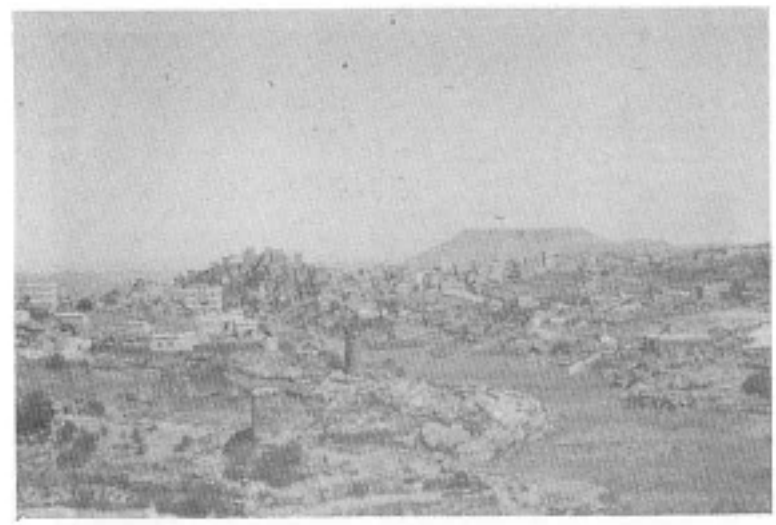




قرية الموحس

مدخل ثاني





قرية هجر لبعوس عاصمة الظباعي

مفهوم الدولة قديماً :[1]

كما أسلفنا فإن أهم مرتكزات الوضع السياسي للدولة اليمنية هي وحدة القبيلة وتماسكها (United Tribes) ، وهذا ما جرت عليه العادة في اليمن، وما تلك الدويلات التي نشأت قبل الإسلام، سوى تجمعات قبلية من هذا النوع، ربطتها عوامل مشتركة سبق وأشرنا إليها، إضافة إلى روابط العرف والنسب والوحدة الجغرافية، والعصبية القبلية والروابط المادية والمعنوية تبرز وتشتد عندما يكون هناك خطراً يهدد تلك التجمعات نتيجة لإكتمال كافة العوامل المبينة في كتابنا هذا، فيشكل تنظيماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً ودينياً ليكوّن مفهوم الدولة فبدت أنماط من الدويلات اليمنية كانت لها صولة وجولة في تيسير دفة التاريخ عرفت منها (دولة سبأ – دولة معين – دولة قتبان – دولة أوسان – دولة حمير).

وفي هذا الصدد سنشير إلى ما يهم بحثنا من علاقة يافع بتلك الدويلات باعتبارها تجمعاً مهماً في المناطق الجنوبية لليمن استطاع أن يؤسس كيانات تنظيمية، وأن يحدد ملامح الشخصية اليافعية في كثير من تلك الدويلات الناشئة.

دولة سبأ :

نشأت دولة سبأ من مجموعة قبائل يمنية اختلف المؤرخون في أصولها العرقية، فبعضهم وصل به الحد إلى اعتبارها قبائل مهاجرة من الحبشة. ودولة سبأ تعتبر المرجع الأصولي في الأنساب، لبقية الدويلات والقبائل اليمنية، ذكرت في الكتب السماوية (التوراة – القرآن) وعرفت في النقوش الآشورية إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وتحدث عنها الكلاسيكون كثيراً فقال عنها (بليني Pliny) بأنها أشهر من

---

[1] تناولت في كتاب عادات وتقاليد يافعية في الكتاب المسمى (يافع بين الأصالة والمعاصرة اليمنية) عن فشل قيام دولة يافعية عرفة مثلها مثل الدولة الزيدية وبيّنا الأسباب مع الإيضاح من أن يافع كونه دولة خارج حدودها الجبلية (حضرموت). وهنا نرى بأن تغير مفهوم الدولة قديماً يختلف عنه في القرون الوسطى، ويختلف تماماً في العصر الحديث.

عرف من القبائل العربية أما (سترابو) (Strabo) فقد وصفهم بأنهم أغنى القبائل إلخ..

وأقدم مكرب سبائي عرف يدعى (سمة علي) (Glaser 1147) ويعود تاريخ ذلك النقش إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

ولايعني هذا كونه أول العهد السبائي بل لربما يعود تاريخهم إلى أبعد من ذلك.

وقد ازدهرت تجارتهم أيما ازدهار، وعرفت بأنها دولة تجارية، لادولة فتوحات، حتى ظهور المكرب (إل وتر)، والذي دخل في حالة صراع وحروب قبلية كانت سبباً مهماً في إضعاف الدولة السبائية، وسقوطها فيما بعد لقمة سهلة بأيدي الحميريون (الريدانيون)، وكانت من أشهر حروبها عرفت مع الدولة الأوسانية، فيما بعد والتي كانت (دهس يافع) أحد الفروع الأوسانية، والخصم اللدود لتلك الحملات ستتطرق لها في باب الدولة الحميرية.

دولة قتبان:

نشأت في الجنوب الشرقي من دولة سبأ واتخذت عاصمتها (هجر كحلان) (تمنع) وعن عمرها اختلف المؤرخون، وباحثي الحفريات فمنهم من يذهب إلى أنها وجدت متزامنة مع الدولة (السبأية)، ومنهم من يقول بأنها أبعد من ذلك بكثير، ومنهم من يرى بأنها عرفت في القرن (٣٥٠ ق.م).

وأخيراً استطاعت البعثة الأمريكية بقيادة العالم (W.F.Albright) م حسم موضوع الخلاف بأن أقرت فكرة التزامن مع الدولة السبئية على الرغم من وجود تحريشات فخارية يعود تاريخها إلى الألفين قبل الميلاد وبقايا عمرانية تنم عن استيطان قديم لايعني تاريخ نشوء الدولة القتبانية فحسب، بل لربما وجوداً بشرياً منظماً.

ولقد ورد ذكرها في ألواح النصر لكرب إل وتر (Res 3945) (Glaser 1000) محددة زمن المشاركة كشريك أساسي للسبأيين ضد الأوسانيين الملقبين (بأولاد عم) والتي كانت مقاطعتهم المسماة (بدثينة – ودهس يافع – وتبنى «تبن لحج») قد سقطت مع القتبانيين.

وفي القرن الثاني قبل الميلاد يصف المكرب القتباني (يدع أب ذبيان بن شهر) بأنه مكرب قتبان وأولاد عم (أوسان – وكحد – ودهس يافع وتبنى) تأكد من الوصف من النقشين (ف. ٣٥٥) و(٤٣٢٨) وركمانز (٣٩٠).

منذ القرن الثاني قبل الميلاد ظهر الحميريون وأخذوا يقتطعون أجزاء من الأراضي التابعة لقتبان ولم يأت نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلا والشريط الساحلي قد أصبح مع الحميريين، وبذلك فقدت دولة قتبان مصادر استمراريتها لتسقط نهائياً مع الدولة الحميرية في بداية العصر المسيحي.

الدولة الأوسانية :

التكوين الجغرافي والسياسي :

امتدت حدودها في زمن ملكها (مرتع) من المعافر غرباً (الحجرية) إلى وادي حبان ميفعه شرقاً، ضامة إليها:

دهس يافع، تبنو (لحج) ودثينه واقليم (الدمر) (نصاب) ووادي (شيم) و(جردان) إضافة إلى السواحل البحرية من عدن حتى (قنا) بعد انتزاعها من حضرموت بما فيها السواحل الافريقية المقابلة لعدن (سواحل أوسان) وقد ذكرها المكرب السبأي (إل وتر) في نقوش النصر والتي أشارت إلى عديد حملاته على الأوسانيين في القرن الخامس قبل الميلاد وفي النصف الأخير منه على وجه التقريب.

ومن خلال النقوش القتبانية ونقوش النصر تمكن الباحثون من تحديد رقعتها الجغرافية والسياسية أيضاً. وبيّنا أيضاً نشاطها الاقتصادي، والعسكري ممثلاً بالقبائل التابعة لها. فالتحالف الأوساني استطاع أن يلقن السبائيين هزائماً ذكرت في معابدهم، بل وتمكن الأوسانيين من أسر ارتال من عسكر سبأ جعلت السبأيين يفكرون في الانتقام ولكن لن يكون ذلك إلا بالتحالف مع الحضارمة والقتبانيين اللذين هما أيضاً أصبحا يخشيان الأوسانيين المتوسعين على حسابهم في الأراضي والموانيء التجارية، ولهذا فقد شن السبأيون ثماني حملات سنشير إلى بعضها في مضمار ذكر الدولة الحميرية.

الدولة الحميرية:

كانت دولة (حمير) آخر دويلات اليمن ظهوراً في العهد القديم لقد ظهرت أواخر القرن الثاني سنة ١١٥ ق.م.

وقيل بأن ظهورها ترافق مع ظهور التقويم الحميري آنذاك (تأسيس الدولة) وتعد هذه الدولة من أشهر الدويلات اليمنية وأكثرها ذيوعاً في الأرجاء المجاورة لليمن.

فقد أشار (بليني) سنة ٧٩م من أنهم أكثر القبائل اليمنية عدداً وأنهم اتخذوا حاضرتهم (ظفار ذو ريدان)[1] مقراً لملكهم.

كما ذكرت عند المحدثين والكتاب والمؤرخين (الكلاسيكيين) ففي القرن الأول ق.م ظهرت (حمير) بخريطة (بطليموس) وأفادنا مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) بأن للحميريون أنشطة بحرية واسعة امتدت على سواحل البحر العربي ووصلوا أيضاً إلى سواحل البحر الأحمر وسواحل افريقيا المقابلة للشواطيء اليمنية.

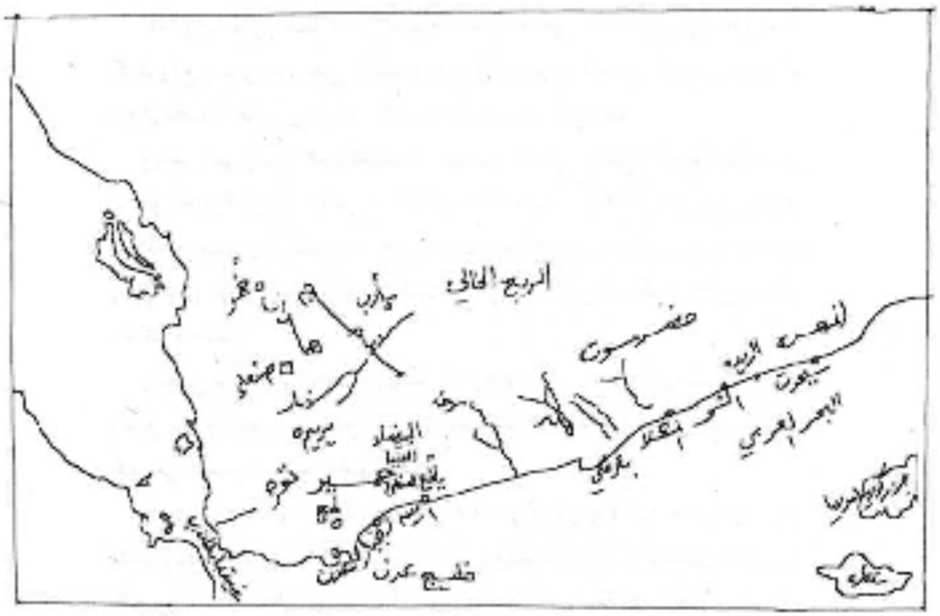
ووفقما أشار المؤرخون بأنهم استوطنوا (يافع) سرو حمير وسرو مذحج بما فيها بريم وذمار مروراً بالمناطق المحايدة ليافع حتى حضرموت.

وقيل بأنهم نزلوا من هضبة (سرو حمير – يافع) إلى وادي (بناء) وزحفوا باتجاه الشمال حتى تمكنوا من إقامة حاضرتهم حسبما أشار (بليني) وكما أوضح (الهمداني) بحدود السرو والذي يدعى (حمير) بأنه [الغر – وثمر – وحبه – حطيب – يهر – ذي ناخب – ذو ثاوب – وسلفه – وشعب] قرى ومساكن يافع الحميريون.

وهذا ما أكدته أيضاً البحوث الحفرية في أكثر من المناطق اليمنية كشبوه ومأرب وخرائب بني بكر والتي أشارت إليها النقوش [Ja 675-675-580] و [CIH 14014] بأنها الأرض الحميرية المعروفة (سرو حمير) (يافع) وتعد موطناً أساسياً لمؤسسي دولة حمير.

---

[1] ريدان: تعني سفحي جبل وريد سفح جبل واحد مثالاً على ذلك قرية (ريمة) بيافع وهي كلمة حميرية.



سروحمير :

بفتح أوله وسكون ثانيه علـى وزن (غزو) وغزوات وعلى وزن (سروات) وتعني الجبال المتتالية بقراها، والهمداني أشار إلى أن السرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل.

كما وإن السرو عند البعض باللهجة الدارجة تعني (الكتان) وسرو يافع تعني كتان يافع والسروات بمعنى (المشاة) أي (الكتائب) أو فصائل الجيش وهذا قد يؤدي بطبيعة الحال إلى تعريف كتائب الحميريين في الغزوات.

ويطلق على (سرو حمير) قديماً بما يسمى حاضراً (يافع) مع ميكاذيها من المناطق المجاورة [يريم – ذمار – الضالع – الشعيب – ردفان وخبج وأبين ولودر وبلاد الواحدي وآل فضل – أجزاء منها] ويافع تعتبر جزءاً رئيسياً بمخلاف (ذور عين) الأكبر الحميري وهو مخلاف مترامي الأطراف يكاد يغطي المناطق المذكورة سلفاً.

وتسمى يافع أحد أبناء قاول بن زيدوهم (حجيراً – وشرحبيل – ونغيل ويافع السرو) ومن أبناء يافع السرو [جحيملان – وبلده] واللذين تنتمي إليهما كثير من القبائل اليافعية والمجاورة مثل:

الأزيون – وأذان – والتراحن وبنو قاصد والاعمور (ردفان) حبيل جبر، وبنو مليك (يافع) وبنو صالح وكلد – وبنو سمى) وتنقسم يافع إلى قسمين أساسيين: يافع بني قاصد – يافع بني مالك أخوين و(قاصد) تعني بلغة أهل الجنوب القديمة (القائد العسكري) لقبائل الجيش غير النظامي.

ثم تنقسم إلى فخائذ (الموسطه – الضبي – بني قاصد) وأردافها وتسمى في الأشعار الشعبية فيالق عسكرية على غرار تسمية بني (الحاور) وقد عرفت يافع (بسرو حمير) أيضاً نسبة إلى كتان الحميري المشهور حمير (العرفج) جد التبابعة[1] وملوك اليمن في الدولة الحميرية.

---

[1] التبابعة: مفردها تبع وفي الأكليل ص ٧٦ قيل بأنه لم يكن يسمى تبعاً حتى تبعه حضرموت وقد تسمى حمير لا تبع الشمس من الفيء.

والذي قيل إنه أول من وضع التاج على رأسه واستمر حكمه خمسون عاماً.

وعلى درجة الخصوص فإن يافع عدت من أكبر القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية وقد كانت ملاذاً لكثير من الملوك والقادة اليمنيين في فترة الصراع بين الدويلات اليمنية، ومجيراً قوي الشكيمة، لم تجعلها بمأمن عما يدور في الساحة اليمنية من احتدام في الصراع، مما أدى إلى تحالفها مع بقية القبائل اليمنية المجاورة، كما أشارت بعض النقوش وتحت مسمى (حرم) أو حمير أي (التحالف القبلي).

ولقد جرى بينهم وبين الدويلات المتزامنة معهم حروب عديدة أودت في نهاية الأمر إلى تقويض دولة سبأ وقتبان وأوسان مما حدا بهم الأمر إلى تأسيس دولة شبيهة بدولة (سبأ) ظلت تدول حقبة من الدهر اختلف المؤرخون حول تقدير عمرها مابين ستمائة وسبعمائة سنة قبيل ظهور الإسلام وعلى وجه التقريب كانت نهايتها سنة ٥٧٦م زمن الأحباش ونرى بأن أسباب النجاح لدولة حمير ترافقت مع أسباب وهن لدولة (سبأ) ساعدت الحميريون على الوصول إلى العرش السبأي عن طريقة التحالف حيناً ثم الاستيلاء الكامل على مراكز الدولة السبأية وبقية الدول الموالية أو المعادية لها بأساليب حيناً آخر النقش [م ٣١٥].

بزوغ النجم الحميري على مسرح الأحداث وتولي زمام القيادة كان نتيجة أفول النجم السبأي وفقدان السيطرة على مقاليد الأمور

من أسباب ضعف الدولة السبأية حروبها القبلية:

كان أهم سبب أدى إلى ضعف الدولة السبائية حملة (كرب إل وتر) على معظم القبائل المتمردة على الهيمنة السبائية والتي أعلنت عصيانها ومنها دولة أوسان ويافع المتحالفين على الرغم من تحقيق ثمار النصر المؤقت فقد أشارت أعمدة النصر أو النقوش الصرواحية إلى حملات الملك السبائي شيئاً من المبالغة والتحيز المفرط مما جعلنا نشكك بصحة تلك الانتصارات.

وقبل البدء بسرد تفاصيل الحروب بين دولة سبأ بقيادة المكرب (كرب إل وتر) وتحالف (أوسان) مع (دهس يافع) في نهاية القرن الخامس (ق.م) علينا الرجوع إلى تفاصيل النقوش لتكون هي التفاصيل الحقيقية والنقوش تلك عرفت بلوح النصر في معبد (المقه) بصرواح.

ومن خلال شرح المؤرخ بامطرف لأخبار حملات المكرب السبائي على مرتفعات المناطق اليافعية أوضح في النقشين (Res 3945) و (Res 3550).

خريطة انتصارات (كرب إل وتر) في دهسم يافع قائلاً يوم هاجم (دهسم) و(تبنى) وكان قتلاهم الفين والسبي منهم خمسة آلاف وإحراق مدنهم... تلف وخراب في النقش. ثم بعد هذا الخراب في النقش ذكر الإجراءات التي اتخذها في المناطق المهزومة فيقول:

وهب دهسم، وتبنى، ودثنت لالقمه ولسبأ أي (الدولة) ووهب (عودم) لملك دهسم؟!.

وانتزع من أوسان و(ود عودم)[1] لأنهم خالفوا (المقه) وسبأ تلف في النقش.. ثم عبارة كل أرضهم... والعم ومدنهم، وأذهبهم وأعررهم وسررهم ومراعيهم اقتطعها لنفسه.

وبعد عدة ألفاظ في النقش يشير:

... ومناطقها، وأذهبها[2] وعرها، وسرها[3]، ومرعاها اقتطعها وكل مناطق (بضع) حول منطقة نقض (أبين) باتجاه دهسم يافع والتي على البحر وكل البحار التابعة لهذه المناطق وكل أراضي أيلاي وشيعن.

وعبرت ولبنت كل مدنهم وحراثهم (محراثهم) مرعاهم، وأسررهم، وعرهم اقتطعها وكل ما اقتنى (مرتوم) بدهسم وتبنها...

---

[1] ولد عودم: صغير الآلهات (صنم) وعودم كبير الأصنام.

[2] أذهبها: ممتلكاتها. عرها: جبالها.

[3] سرها: سرواتها ومواقع مسراها (وديان).

... إلى أن يقول وتملك (كرب إل) قسط (كحد) أحرارهم وعبيدهم وأولادهم، ومقتنياتهم وكل جند وقسد يلاي وشيعن وعبرت وأولادهم ومقتنياتهم الطاعية لالقمة ولسبأ.

الإجراءات المتخذة في المناطق التابعة لأوسان من قبل سبأ:

بدا لنا من خلال الإجراءات. وبعد تحقيق النصر اختصاص المكرب السبائي (كرب إل وتر) بلاد دهسم (يافع) ببعض الإجراءات القاسية بعكس (دثنت. وتبنى) ولربما كانت ردة فعل حاقدة من جراء هزائم سابقة أحدثتها (دهسم) بالملك السبائي، وهذا ما جعله يركز على إخماد جذوة الأوسانيين بهذه المنطقة قبل غيرها من المناطق الأوسانية الأخرى.

وهذا ما حرى بنا إلى التأكيد من أنهما مقراً للملك (مرتوم)[1]. ويعني هذا أنها العاصمة بدليل الخرائب المتناثرة في أطراف (الحد) (ومسورة الحد) والتي أثبتت البعثات التنقيبية من أنها تعرضت لحرائق هائلة في الزمن القديم ومن خلال أعماله القاسية (كرب إل وتر) فقد عمد على الآتي:

١ – أعطى (دهسم) وتبنى، ودثنت للالقمه ولسبأ.

٢ – احرق مدن دهسم وصادر ممتلكاتهم (لاحظ الحرائق).

٣ – انتزع الأراضي الحضرمية من تحت يدي أوسان وأعادها لأهل حضرموت.

٤ – أعاد آلهي قتبان (وور – وإل) من تحت ذي أوسان.

---

[1] جاء بالنقوش اسم (مرتوم) وذكر بكتاب الإكليل الهمداني (مرتوم) أو (مرثر) ابن منوب بن يريم ذي رعين. ص ٣١٨ الجزء الثاني.

وفي ص ٣٢٣، ذكر بأن أولاده لقبوا بالمكارب. وكما ذكرنا انه من أولاد منوب (قرن) والحارث. وأورد الهمداني. ص ٢٢ – ٣٢٣ الجزء الثاني إن من أبناء الحارث زيداً وعديا وينسب إلى الأول (آل يزيد) وإلى الثاني العدويون (عديون) كما ينسب إلى منوب (المنوبة) في الحجبة ووادي نويب في بهر والذي حل فيه اليزنيون.

٥ – انتزاع (ولد عودم) من الأوسانيين بسبب تحالفهم (القه وسبأ) وهناك هبة يتيمة لاندري لماذا خص بها ملك دهسم وهي اعطاءه (عودم). ومع تلك الإجراءات لم تنته دولة (أوسان) ولم يقتل ملكها (مرتوم) بل ضعفت وظلت على هذه الحال حتى استردت عافيتها ونشاطها التاريخي بعد زوال (كرب إل وتر). (ف – ٣٥٥٠ – ٤٣٢٨) والغريب في الأمر ما ورد في القرن الثاني ق.م لمكرب قتبان الملك (يدع أب ذبيان بن شهر يصف نفسه بأنه مكرب (ولد عم، وأوسان، وكحد، ودهس يافع) على الرغم من تفاوت الفترات الزمنية بين ما يدعيه ملك قتبان بسيادته على أوسان ويافع وبين حرب (كرب إل وتر) في القرن الخامس. إذ كيف نفسر أن تؤول إلى قتبان بعد تدميرها النقش (ف ٣٩٤٥) وانتزاعها من قبل الملك السبائي، إلا على سبيل الاحتمال أن يكون السبائيون قد منحوها هبة للقتبانيين مع أنهم عند تقسيم غنائم الحرب لم يشار إلى ذلك غير أنها أعطيت (دهسم، وتبنى، ودثنت) لالقمه ولسبأ، دون قتبان كما وأننا لانعرف الفترة الاحتلالية لأوسان، وكم دام بها الوجود السبائي ولم نستطيع أيضاً أن نفسر ظهورها المفاجيء كخصم عنيداً للدولة الحميرية، فيما بعد – أي قبل مائة وخمسة عشر سنة (ق.م).

عندما ظهر جلياً من أن الهجوم الذي قام به القيلان الحميريان (مرتدم) و(ذوحدن) قيلا الشعب يهعبل بقيادة سعد شمسم (جام – ٦٢٦) قد كان مركزاً على حصون وقلاع (مصانع) الشعب الأوساني وعلى المدينتين (منوم) و(شبعن) المذكورة في النقش (٣٩٤٥).

وهذا يؤكد أن الأوسانيين عاصروا الأحداث آنذاك بشكل مستقل واستطاعوا مقاومة السبائين والقتبانيين بمرونة عالية بل إن سقوطهما النهائي جاء على يد الحميريين في الوقت الذي تساقطت فيه قتبان وسبأ وان كان سقوطها النهائي أكثر فجائية من دولة سبأ.

وإذا عدنا قليلاً إلى التدقيق في نتائج الحرب المفتعلة من قبل السبأيين ضد الأوسانيين وما صاحب تلك الحرب من بشاعة سنجد بأن من صور تلك البشاعة السبيء والاحراق والتدمير والتقسيم وتوزيع الغنائم.

لذا فإننا نلاحظ من خلال النقوش من أن الحرب كانت شرسة ولا يستبعد أن تكون (دهسم) معقلاً أساسياً لمملكة أوسان شبه المجهولة، نظراً لمصادرة ممتلكات (مرتوم) بهذه المنطقة (مسور الحد) وانتزاع (ولد عودم) من هذه المنطقة، يبدو عملاً انتقامياً.

وهذا ما أكده المؤرخ (بافقيه) بقوله ان له أسباب، أوجدتها أوسان وهي:

١ – التنقيص والتقليل من شأن ما يقوم به (الكرب إل وتر) وكتابة ذلك التنقيص تجاه العبادات للسبائيين.

٢ – الانتقام الرهيب والخراب المتعمد، وقتل رؤساء الطبقات العليا (المسؤد) كانت نتيجة تصفية حسابات سابقة، وربما قد تكون هزائم الحلقت من الأوسانيين ودهس يافع، للسبائين.

٣ – يلاحظ من خلال حملات كرب إل وتر من أن أنظاره اتجهت فيما بعد إلى الطرف الغربي الأقصى للبحر الأحمر، ولعله أراد بذلك أن يوجه ضربة شديدة للإقتصاد الأوساني.

٤ – يلاحظ بأن (كرب إل وتر) من خلال حملاته قد استغل فتور العلاقات بين الحضارمة والقتبانيين من جهة وبين الأوسانيين من جهة أخرى وخاصة بعد اقتطاع أجزاء من تلك الدولتين من قبل دولة أوسان الناشئة وهذا بطبيعة الحال سيجرنا إلى التأكيد من أن أوسان قد انفصلت عن دولة قتبان في وقت مبكر، وأضحت مملكة مستقلة لاملحقة قتبانية، مخالفين بذلك الفترة التاريخية للنقش. (ف ٣٥٥٠).

ثم سيستمر (كرب إل وتر) في وصف المعارك المتعددة في اماكن كثيرة من اليمن خاصة (بيحان – شبوه – حضرموت – والجوف – ونجران)[1] وكثير من المواقع عرفت فيما بعد بالأرض الحميرية (نسرو حمير وتوابعها).

ففي وصف حملته على (مها مرم – وأمرم) يذكر أيضاً بأنه استولى على (يفعت ورياشها...)؟! فهل هذا يعني مفعه؟ أم أن يفعت على وزن يمنت،

[1] نجران: قال الأعشى في الاكليل (٢) فنجران فالسرو من حمير، فأي أمره ماله لم يرم.

ودثت في اللغة الحميرية وتعني (يافع). أو أن ذلك يعني إمتداد لحكم أوسان ممثلة بيافع.

لأننا كما نعرف من طبيعة الدول اليمنية ذات التكوينات القبلية توزيع مكتسباتها العسكرية كغنائم بين القبائل المشاركة في الحروب، وبالتالي منحها خصوصية في حكمها مكافأة، وعلى قدر المشاركة وبذل التضحيات. لكننا لن نستطيع الجزم بوجهة نظر دونما استناداً علمياً ممثلة بنقوش وحفريات جديدة تمكن الباحثين من إعادة الترتيب التاريخي لبعض الأحداث، ووضع الحقائق الملقاة في مواقعها الصحيحة.

وقد استمرت تلك الحروب لاتخمد أوارها مابين زمني (كرب إل وتر) منتصف القرن الخامس (ق.م) وشمر يهرعش قبل نهاية القرن الثالث الميلادي وبدت تلك الحروب أكثر شراسة منذ ظهور الحميريون كخصم لاهوادة فيه أمام السبئيين، ومن حينها لاح جلياً من أن الأمور تتحول وترجح كفة دولة حمير.

وعلى الأخص منذ بداية العصر المسيحي كما قال المؤرخون حيث أخذت قتبان في الضعف تحت ضربات الحميريون، وآلت أوسان إلى السقوط النهائي وأضحى ذلك الكيان السياسي الجديد (دولة حمير ذي ريدان) يهدد الدولة السبائية في مواقع نشوؤها إذ أشار النقش (Ja644) ونقش (روبان بني بكر) إلى أن سبأ دخلت في حروب وصدام عسكري في عهد الملك الحميري (يهقم بن ذمار على ذريح) في الأرض الريدانية بل ذهبت الدكتورة الباحثة (أسمهان الجرو) إلى تحديد أرض المعركة بأنها في مواقع الأرض اليافعية (سرو حمير يافع) وفي تفسير هذه الحرب قالت بأن الحميريون حققوا أول انتصار عسكري على (السبأيون)[1] في تلك المعركة.

وقالت إن من بعد ذلك الانتصار توافرت لدولة حمير كل المناخات الملائمة لبروزها على الخريطة الجغرافية ككيان سياسي مستقل.

---

[1] قال جلازر بأن انتهاء دولة سبأ الحقيقية جاء سنة ١١٥ ق.م ومن حينها بدأت دولة حمير في الظهور.



نقش حميري مع رسالة

وفي تفسيرها على سؤال: متى تلقبت الملوك الحميريون بلقب ملك سبأ وذي ريدان أشارت في كتابها (التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية) بأن ذلك اللقب المركب، وعلى الأرجح أطلق بعد انتصار الحميريون في هذه المعركة. لكنها أفادت بأنه وأثناء الحرب مع السبأيون كان المكاربة الحضرميون يحصنون أوديتهم الجنوبية تحسباً لأي هجوم حميري مباغت. ومن هنا نرى بأن الحميريون وإزاء ذلك الانتصار أخذوا يتوغلون في المناطق الشمالية الغربية بعد اخضاعهم لذو رعين والمعافر واشتبكوا مع السبائيين في صراع دامي دام ردحاً من الزمن.

وكما أشرنا حتى زمن (ياسر يهنعم) وابنه شمر يهرعش اللذين تمكنا من الوصول إلى سدة الحكم بمأرب وتحقيق الحلم الكبير للحميريين.

وأطلق الأسم الموكب الملكي من عندئذ:

(سبأ وذي ريدان ويمنت وحضرموت) ليصبح لقباً حقيقياً على دولة حمير بعد صراع ونضال قاسياً بدا منذ أول سنة ميلادية، وكما أوضحنا في أن القرار منذ ذلك التاريخ كان حميرياً أو بالكاد، وعندما نقول (بالكاد) هو نتيجة لوقوعنا على نقش (ك٨) المشير إلى وحدة تحالف مع حضرموت تستلبنا الجزم النهائي. بخصوصية القرار الحميري المنفرد.

لكننا لانشك البتة في أن القرار ومنذ ظهور (شمر يهرعش) أضحى حميرياً صرفاً في الفترة (٢٤٠ – ٢٩٠م) على الرغم من أن بعض المؤرخين ذوي الشطحات اللا معقولة يقولون بأن سبأ استمرت بالقرار حتى (٤٠م) وهذا لايعقل أن تستمر للاثمائة سنة تصارع من أجل البقاء وهي في مراحل الاحتضار النهائي وخاصة بعد تساقط دولة قتبان وأوسان وحضرموت وانتزاع مصادر دخلها الاقتصادي في الموانيء وغيرها إضافة إلى زعزعة أوضاعها السياسية والأسرية داخل مراكز حكمها.

وفي تفسير عما لماذا بدأ اللقب الملكي بدولة سبأ ولم يبدأ بدولة (حمير)؟؟ أشار المؤرخ الألماني (فَان ويزمن) (H.von. Wissmamann) سنة ١٩٣١م من أن

ذلك يرجع إلى المكانة الدينية والتاريخية لدولة (سبأ) التي رأت دولة (حمير) إنه من الضرورة بمكان الحرص والمحافظة على ذلك الإرث.

ومن وجهة نظرنا نرى بأن الدولة السبائية والحميرية على نقيض في الأمور الدينية، وقد يكون نوعاً من الاسترضاء ولأشعارهم بأن انتهاء الدولة السبائية ليس احتلالاً وتقويضاً بقدر ماهو دخولاً لإرضاء الطموح اليمني في التوسع خارج إطار الحدود الجغرافية لدولة سبأ وتحت هذه المظلة المشهورة.

وبعد هذا الموجز التاريخي لدولة حمير تستطيع القول إن ومن خلال تلك الحروب المشار إليها يمكننا الاستنتاج من أن الواقع قد لعبت دوراً تاريخياً بارزاً أثبت جداوه في تغيير كثير من الاتجاهات التاريخية بما يحافظ على كيانها كوحدة قبلية متماسكة مؤثرة ومتأثرة عبر المراحل التاريخية.

ولقد تعزز وجودها التاريخي وثقلها القبلي في نسبها وإنتمائها إلى (سرو حمير) ذلك السرو الذي كان ضلعاً ودعامه لتحقيق حلم الدولة الناشئة (حمير) على امتداد طول عرض اليمن والجزيرة العربية.

وتلك الحروب كانت بلاشك أهم أسباب أفول الدولة السبائية إضافة إلى أسباب أخرى ساعدت على ظهور الدولة الحميرية قوية.

منها :

١ – تحويل طرق التجارة لصالح الحميريون من جراء الحروب القبلية مع دولة سبأ

٢ – تدفس حكام سبأ فيما بينهم واعتمادهم على الحميريين في المناصرة.

٣ – الحملة الرومانية بقيادة اليوس جالوس سنة ٢٤ ق.م.

٤ – الصدام مع الأحباش أخيراً.

ظهور الأحباش على حلبة الصراع

دخل الأحباش في صراع مع الحميريين منذ سنة ٥١٧م حيث نزلوا بميناء (المخا) ثم ساروا بجيوشهم لاسقاط العاصمة الحميرية (ظفار) بمساعدة أنصارهم من المسيحيين اليمنيين.

ثورة ذو يزن الحميري[1] :

وذكر في التاريخ تفاصيل كثيرة حول الحروب التي خاضهـا الثائر سيف بن ذي يزن بن معدي كرب بن يريم الأكبر بن شرحبيل بـن يـافع السـرو الحميري الكنى بأبي (مرّة) ضد الأحباش حادثة الاخدود سنة ٥١٧م على وجه التقريب.

ثم توغلوا ليهددوا الأراضي الحميرية في السروات والتي كانت على خلاف ديني معهم حتى وصلوا عاصمة الحميريين (ظفار).

وقد استطاع الأحباش أن يتربعوا على سدة الحكم مع الابقاء والمحافظة على الأصالة الحميرية (سبأ وذي ريدان، وحضرموت ويمنت) إلا أن ذلك التخفي لم يمنعهم عن إثارة المشاعر النضالية. عند الحميريون، فبدأت الانتفاضة وعمت أغلب العشائر الحميرية منذ سنة ٥٤١م بقيادة (يزيد بن كبشه) مع نفر من الاقيال الحميرية حتى تمكن (أبرهه) من الانتصار عليهم وإنهاء تمردهم.

وبعد عام الفيل توفي (أبرهة) وتنفس الصعداء القيلان اليزنيان الحميريان، وأخذ بالبحث وطلب المساعدة الخارجية بعد تجربة الفشل في الانتفاضة الأولى، وكانا (معدي كرب بن مره وابنه سيف بن ذي يزن) يرومان على المساعدة عن الملك الفارسي (الخصم اللدود) ليزنطه مؤيدي الأحباش حتى تمكنا من الحصول على تلك المساعدة سنة ٥٧٥م. رغم النزول العسكري على السواحل اليمنية وبقيادة اليزنيين النشر[2] الفرس لمطاردة الأحباش في المواقع الكثيرة المتواجدة منهم.

---

[1] قال الهمداني إن اليزنيون ينتمون إلى أسرة (أزان) وموقعهم بين لحج ومرخه ومنهم الأبزون، ومنهم الأصنوع بوادي (نوبه) ووادي نوبه في يافع على غرار قرية (النوبة) وقد عرف سيد اليزنين حاكماً بلحج وأبين واسمه محمد محمد بن اسماعيل اليزني، ص ٢٤٢. ومنهم أسرة يزأذ ينعم بن الحارث بن شمر ذي الجناح الأكبر ذو يزن بن ريم بن يافع.
وينتمي سيف بن ذي يزن إلى يريم الأكبر بن شرحبيل بن يافع بن قاول ولقب بأبي (مرة) قاهر الجود. وعرفت منهم أسر سميت اشراف يقع في صنعاء قيل لهم:
بنو أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن زائد بن عاصم بن مرثد بن يفضل بن ذي جناين النضير بن يزيد الأصغر بن عمر بن مره ذي يزن بن يريم الكبر بن شرحبيل بن يافع بن قاول.
ومما يؤكد ذلك مؤازرة الخنفريين لآل ذي يزن في حروبهم من أنه يرجع إلى القرابة وانتماء العشيرة، ص ٢ – ٢٤٣ الاكليل، وص ٣٠٦ الاكليل.

[2] قائل القادة الفرسيين (وهرز) لتلك الحملة الموجهة لطرد الأحباش من اليمن.

وعندما أضحت مقاليد الأمور بأيدي الفرس ولي سيف بن ذي يزن لفترة بسيطة، اغتيل بعدها وتحولت الأمور للفرس وحينما شعر الحميريون بالخطأ الفادح أخذوا منذ نهاية القرن السادس الميلادي في تجميع قواهم مرة أخرى، وعقدوا حلفاً مع المذحجين والنجرانيين لطرد الفرس من البلاد اليمنية، إلا أن الفرس تحالفوا هم أيضاً مع المنافس الآخر[1] من الهمدانيين (بكيل وحاشد) على مواجهة المذحجين والحميريين أودت تلك التحالفات إلى نشوء صراعات جديدة ومعارك دامية، أشهرها معركة (الرزم) بمنطقة الجوف بقيادة فروة بن مسيك المذحجي الحميري.

وفي عشية ظهور الاسلام وانتقاله إلى اليمن كانت الأوضاع السياسية مؤدية يعتريها التمزق في ظل تسلط الغرباء الفرس على أجزاء كثيرة من اليمن.

مثال على ذلك تناحر الاقيال الحميريين فيما بينهم على منافذ السلطة وصراعهم مع الفرس من ناحية أخرى.

إضافة إلى مواجهة (عبهلة بن عوف الأسود) ضد دعوة الإسلام في السنة العاشرة للهجرة.

كل تلك أوجدت نوعاً من الفوضى الضاربة في الأرجاء اليمنية ازدادت حدتها[2] بعد وفاة الرسول الكريم.

مما حرى الأمر بخليفة رسول الله (أبو بكر الصديق) إلى تعزيز الجيوش الاسلامية تواجداً في اليمن وإزاء ذلك وقف الاقيال الحميريين موقف المترقب المتعاطف مع المسلمين دونما التدخل في الصراع الدائر بين المسلمين بقيادة فروة بن مسيك وبين المعارضين لدعوة الإسلام بقيادة (عبهلة، وقيس بن المكشوح، والأشعث) مما أدى بطبيعة الحال إلى تقويض تلك المعارضة ووئدها في المهد،

---

[1] قبائل مراد ومذحج ضد قبائل همدان (موقعة الرزم في بلاد مراد) وقد قيل بأن هناك ست حروب وقعت بين الهمدانيين والمذحجيين منذ الدعوة المحمدية إلى السنة الثانية للهجرة.

[2] الارتداد عن الإسلام وعن دفع الزكاة (الأشعث) ومصدر الاكليل، ص ٤٠١ (الجزء الثاني) أشار إلى أن أيام (الرزم) من أعظم أيام العرب في الجاهلية انتصرت فيه همدان على مذحج في الجوف وقد صادف اليوم الذي وقعت فيه معركة بدر .

وانجلت الأمور لصالح الاسلام في اليمن وجمع المسلمين وأضحى الملك الفارسي (باذان) عاملاً لدولة الإسلام في اليمن سنة ٦٢٨م وبدخول اليمنيين الاسلام تنجلي مرحلة الصراع الدامي ويضحى الفرس المحتلون دعاة لدين الإسلام ومن حينها تنتهي الدولة الحميرية للأسباب الآتية:

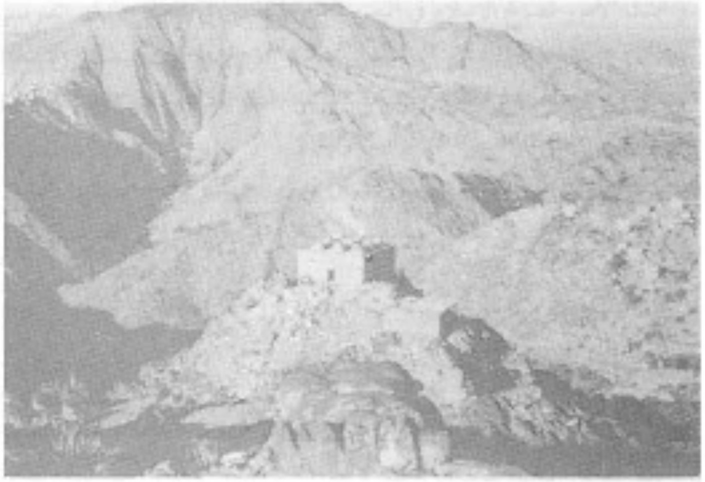
١ – انهيار المملكة الكندية[1] ٢ – الغزو الحبشي ٣ – صراع الأقيال والأذواء الحميريين في نهاية عهد أسعد كامل ٤ – الاحتلال الفارسي ٥ – صراع الأديان ٦ – ظهور الإسلام .

دعوة الإسلام :

وانتقال المبشرين بها إلى البلاد اليمنية أحدثت انقلاباً فكرياً ودينياً عظيماً جعلت القبائل اليمنية تهفو في طلب الاستزادة من منبع الرسالة المحمدية وبدأوا بمراسلة وإرسال الوفود كان من نتيجتها إرسال كتاب الرسول المتضمن كثيراً من السنن التشريعية إلى حمير .

(1) المملكة الكندية قبيلة يمنية مشهورة نسبت إلى كندة وهو ثور بن مرتع بن معاوية وبها بقية بحضرموت، الإكليل الجزء الثاني، ص ٨٨ .

مدخل ثالث



مسجد الحقب من مخلفات الأئمة بيافع



(مسجد الخيري) كانت بجانبه سقاية ماء ردمت السقاية ولم يبق سوى المسجد

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أقيال حمير
مبيناً الفرائض والسنن والتعامل مع أهل الذمة
أرسله مع عمر بن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى :

شرحبيل بن عبد كلال – الحرث بن عبد كلال – بن عبد كلال قيس ذي رعين – ومعافر وهمدان .

أما بعد ، فقد جمع رسولكم وأعطيتم من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من العُشر من العقار وما سقت السماء أو كان سيماً أو كان بعلاً ففيه العُشر إذا بلغت خمس أوسق، وما سقي بالرشا والدالية ففيه نصف العُشر إذا بلغ خمس أوسق، وفي كل خمس من الإبل سائمة شاة إلى أن تبلغ أربعاً وعشرين فإن زادت واحدة على أربعة وعشرين ففيها بنت مخاض، فإن لم توجد ابنة مخاض فابن لبون ذكر إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين، فإذا زاده واحدة على خمسة وثلاثين ففيها ابنة لبون. إلى أن تبلغ خمساً وأربعين ففيها حقة طروق الفحل إلى أن تبلغ ستين فإن زادت واحدة ففيها جذعة إلى أن تبلغ خمسة وسبعين فإن زادت واحدة على خمسة وسبعين ففيها ابنتان لبون إلى أن تبلغ تسعين فإن زادت واحدة على تسعين ففيها حقتان طروقتا الفحل. إلى أن تبلغ عشرين ومائة فما زاده على عشرين ومائة ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة طروقاً لفحل .

وفي كل ثلاثين بقرة تسع جذع أو جذعة وفي كل أربعين بقرة بقرة وفي أربعين شاة سائمة شاة، إلى أن تبلغ عشرين ومائة فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أن تبلغ مئتين فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى أن تبلغ ثلاث مائة فإن

زادت فما زادت ففي كل مائة شاة، ولاتؤخذ في الصدقة الهرمة ولا العجفاء ولا ذات عوار ولاتيس الغنم إلا أن يشاء المصدق، ولا يفرق بين مجمع خشية الصدقه ومااخذ من الخلطين فإنهما يتراجعان بالسوية وفي كل خمسين أو احد من الورق خمسة دراهم ومازاد ففي كل أربعين ديناراً ديناراً.

إن الصدقه لاتحل لمحمد ولالآل محمد إنما هي زكاة تزكى بها انفسهم والفقراء والمؤمنين وفي سبيل الله، وابن السبيل وليس في رقيق ولا مزرعه ولاعماها شيء إذا كانت تؤدى صدقتها من العشر، وإنه ليس في عبد مسلم ولا فرسه شيء.

وإن اكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الشرك وقتل النفس المؤمنه بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمي المحصنات وتعلم السحر وأكل الرباء وأكل مال اليتيم وإن العمره الحج الأصغر ولايمس القرآن إلا طاهر.

ولاطلاق قبل إملاك ولاعتاق حتى يباع ولايصلين احدكم في ثوب واحد وشقة باد ولايصلين احدكم عاكص شعره ولايصلين أحدكم في ثوب واحد ليس على مكبه شيء منه.

وكان في الكتاب أن من أعتبط مؤمناً من بينه فإنه قود إلا أن ترضى أولياء المقتول. وإن في النفس الديه مائة من الأبل وفي الأنف الذي أوعب جدعه الديه وفي اللسان الديه وفي البيضتين الديه وفي الذكر الديه وفي الرجلين الديه والواحده نصف الديه وفي المأمومه ثلث الديه وفي الجائفه ثلث الديه والمنقله خمس عشر من الأبل وفي كل أصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي خمس من الأبل وفي الموضحه خمس من الأبل، وإن الرجل يقتل بالمرأة وعلى أهل الذمه المفرد دينار.

ثم قال: وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لايرد عنها وعليه الجزية، على كل حالم ذكر أو أنثى حراً أو عبد ديناراً وفي أعوضه ثيباً فمن أدى ذلك إلى رسول الله فإنه له ذمة رسول الله ومن منعه فإنهى عدو الله وعدو رسول الله...

في هذه الرسالة نلتمس بان الحميريين أبدوا رغبة في تعلم الإسلام وأحكامه وسننه ولربما كانت هذه الرسالة رداً على أستجابه سابقة من الحميريين في حب الاطلاع على سماحة السلام وشرائعه وطلباً في تزويد الرسول لهم ببعض الأسس والقوانين التشريعية تريحهم من أنتشار الفوضى القبليه بنظم اسلامية محكمة تلزم إتباعها.

وفي الوقت ذاته أراد بها الرسول أن يهيأهم لدخول الأسلام بعد معرفتهم لما يدعو إليه بتكوين القناعة المطلقة والرضاء التام. وتمثلت إستجابتهم لهذه الدعوه المحمدية بتواكب وفودهم على البيعه والدخول في الأسلام أفواجاً تلبية لدعوة الرسول الكريم. وبهذا الصدد لايسعني إلا الاشارة إلى إسلام الحميريين لأقتصاري على بيان دور الحميريين في الفتوحات الاسلامية وصلة هذا الدور بالمواقع على أعتبارهم جزءاً مهماً وأساسياً من بنية التكوين الحميري.

اسلام حمير :

عندما ارسل الرسول الكريم إلى زرعة ذي يزن أوصى بمالك بن مرارة الرهاوي، وأمر بحمير خيراً.. وهنا الربط الثاني يؤكد أن مالك الرهاوي هو رسول الرسول إلى الحميريين ومقنعهم على دخول الأسلام على الرغم من أن هناك كثيرون بعثهم الرسول للإرشاد وهداية القبائل اليمنيه.

امثال (المهاجر المخزومي - علي بن ابي طالب - الاشعري - ومعاذ بن جبل - وقتادة الرهوي - وعبد الله بن زيد. وغيرهم)

وبلغ من حرص الرسول الكريم وحبه للحميريين أن ذكرهم بكثير من الأحاديث النبويه فقال: -رحم الله حمير، أفواههم سلام وأيديهم طعام أهل أمن وإيمان (حديث مسند) الحميريون كما أفاد التاريخ مقوضي دولة (سبأ) وهم أول ملوك تتوجوا من بعد لقب المكاربة السبأيون وتشبهوا بالملوك واطلق عليهم تابعة (تبع) كما اشار وبين القرآن الكريم ذلك وقد برعوا في الحكم والاداره والتجاره ومما عرف عنهم تجزئة الاداره والسكان تحت إمرة الاقيال والأذواء واسموها مخاليف ولكثرة تلك المخاليف اتيحت فرصة أخذ الريادة والقيادة

(سياسياً وعسكرياً) لأعظمها وأوسعها حجماً حينها بما يسمى (مخلاف ذورعين الأكبر) ونظراً لسعة ذلك المخلاف وعتداده المترامي قسم إلى قطاعات شاسعة (محافد وقصور) وبطون قبلية عديدة وسروات كثيرة أشهرها (سرو حمير يافع) موطن الحميريين الأصل ثم إلى مكاتب كما عرف بنظام (الثامنة) في زمن الدولة الحميرية وقد أوضحنا ذلك في بداية الكتاب.

ويافع جرت على نفس النمط الحميري من حيث التقسيم كما أسلفنا وضمت بمجملها مخايذ ومكاتب وعشائر في إطار واسع أسموه (بطن) يلم عدة قطاعات (اقتصادية وعسكرية) وفروع عشائرية ومن تلك الفروع ما عرف في فجر الإسلام بعشيرة (الرهويون)(1) وهي فرع من بطن (سرو حمير) المعروف آنذاك، ولها فرع داخل سرو مذحج أيضاً.

ولقد قيل بأن هذه العشيرة تعود بأصولها: إلى (سرو مذحج) دون حمير وتناقلت ذلك بعض المصادر التاريخية، كخطأ لم يدرك تصحيحه وإيضاحاً لما قيل عن تلك العشيرة المشهورة يمكنني الإفادة كالآتي:

أولاً: إن المؤرخين نقلوا ما كتب بنزاهة من نقلوا عنهم لاعتقادهم بصحة ما كتب وبنزاهة من نقلوا عنهم.

ثانياً: من المفيد حقاً إن سلالاتهم لازالت تعيش (بسرو حمير) حتى وقتنا الحاضر وهذه السلالة لم تنقرض ولا زالت عامرة لذا فإن علينا واجباً تاريخياً حتى لانكرر الخطأ بأن نشير إلى موقع تواجدهم في يافع أيضاً علاوة على مداخل السرو الذي عداده يافع.

إذ يعيش رهطهم بمنطقة (كلد) أحد المكاتب اليافعية الحاضرة وقراهم لازالت قريبة من مواقع نشوء الدولة الحميرية قديماً.

بل وتطل على مجرى ذلك الوادي (بنا) الموقع الحقيقي لازدهار الحضارة الحميرية تاريخياً، وهذا يعد تأكيداً ثالثاً لايقبل الشك إطلاقاً وعن تاريخهم

---

(1) قال الهمداني في صفة جزيرة العرب بأن الرهويون (رهاء) على ميمنة طريق السرو (يافع) والرباحة، وجبل يفرق منه أودية يسكنها رهاء وبنو أرض (تقع في بيحان) وبني مسلية وهم من (علة) وهذاك (علة) بفتح العين بيافع.

(الرهويون) أشارت كثير من المصادر الإسلامية عن قدوم وفدهم لمبايعة الرسول الكريم من قراهم اليافعية عبر (الجند) بإذن داعيتهم معاذ بن جبل ولقد برز من أولئك (الرهويون)(1) من حاز على ثقة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بحسن الإسلام فمن قادة الرهوي (رضي الله عنه) قال: لما عقد لي الرسول على قومي الرهويون أخذت بيده، وودعته، فقال لي (جعل الله التقوى زادك، وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث سرت. ثم عاد بعد السفر ومعه خمسة عشر (رهوياً) أرادوا دراسة القرآن وملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم لينهلوا منه الحديث والسنة، وليقتدوا بسلوكه القويم حتى وافاه الأجل وهم مقربون إليه، متمين معه العمرة وحجة الوداع. ولقد توافقت استجابتهم للرسول الكريم وتزامنت مع اندفاع القبائل اليمنية نحو الإسلام وبالذات قبيلتهم الكبرى (ذورعين) التي ما كانت لتدخل الإسلام، صدفة واعتباطاً أو خوفاً بل بعد يقين وقناعة مطلقة بأنه الدين الحق الذي لامناص منه.

ولهذه القناعة بعثوا برسولهم (مالك الرهوي) وهو يحمل كتاباً من ملوك حمير يعتقد بأنه رد على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم والذي يعلن فيه (ملوك حمير) دخولهم الإسلام طالبين اللقاء برسول الله.

وتشير الرواية إلى أن ذلك اللقاء تصادف مع عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من معركة (تبوك) في السنة التاسعة للهجرة (عام الوفود) متوافقاً إسلام (بني تميم) فكان النصر نصرين.

إذ اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم مع ملوك حمير ومنهم ملك قيل (ذورعين) الأكبر الحارث بن كلال، والملك النعمان اللذين أتيا للرسول، وكان بانتظارهما مع رهط من الصحابة (عليهم أفضل الصلاة).

---

(1) الرهاويون: بتشديد الراء المفتوحة وكسر الواو نسبة إلى (رها): أحد المكاتب الكلدية القريبة من (الجند) أرسلها معاذ بن جبل لإعلان إسلامها ومعها وفود يافعية وليست نسبة إلى «رهاء بن منبه بن حرب بن مذحج على قول ابن حزم (الجمهرة ٤١٦)؛ وهناك وثائق تاريخية ذكرت في كتاب صلاح البكري (شرق اليمن)، ص ٨٩ من أن الرها أحد أجزاء يافع سلمت للإمام الحسين بن الحسن بن القاسم سنة ١٠٧٥هـ.

ومما قيل في ذلك الموقف إن الرسول الكريم حدثهم قائلاً: سيدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين، صبيح الخدين، فدخل عليه الحارث وسلم فاعتنقه رسول الله وفرش له رداءه والقبائل اليافعية كانت تسمى قبائل بني الحارث وخاصة الفاتحين والمجاهدين في الإسلام ومما ذكر إنه قال صلى الله عليه وسلم مبجلاً: (جاء الله بحمير أعواناً وأنصاراً) وليس هناك ما يؤكد متى قيل ذلك أهو حين قدومهم (وفد حمير) أم عند حلول غزوة الخندق ومشاركتهم فيها والرسول الكريم لم يقلل من شأنهم، ولم يبخسهم القيمة التاريخية التي كانوا يتمتعون بها، بل أشاد بهم وميزهم عن بقية القبائل اليمنية: والعربية على السواء فهو الذي سماهم (رأس العرب ونابها) سماهم بما يليق بمكانتهم عند دخولهم الاسلام ليشعرهم بعز المقام الذي قد لايرضي قبائل العرب المنافسة في الجاه وعلو المقام.

فها هو ذا (ظبيان الحداد)[1] رسول مذحج يقول للرسول الكريم:

نحن سراة (مذحج) من مخالر بني مالك توقلت بنا القلاص من أعالي الجوف ورؤوس الهضاب.. ثم يتدارك مستحسراً وشماتاً لما آل إليه الحميريون قائلاً:

يارسول الله إن حمير ملكوا معاقل الأرض وقراها، كهول الناس وعمارها، ورؤوس الملوك وغرارها فكانت لهم البيضاء والسوداء وفارس الحمراء والجزية الصفراء.. وكأن لسان حاله يقول: وهاهم اليوم يهيمون في الأرض شتاتاً أو كما قال: (يضربون بعضهم بعض) ومما قيل عن قوة وبأس الحميريون، وتفانيهم في نشر الإسلام: ماذكره رسولنا عليه أفضل الصلاة في الحديث: (يخرج المهدي من قرية في اليمن يقال لها (كرعه) ومعروف بأن كرعه في الأرض الحميرية وعلى مكرعة وادي (بناء) للمزارع الأبينية هكذا عرفت عن العامة وقال في حديث آخر وكأنه تأكيد للأول ()يخرج من عدن إثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله وهم خير من بيني وبينهم وقال المعمر اظنه قال عدن وابين. وعدن وأبين تأتي في مركز الدولة الحميرية ذورعين الحميري.

---

[1] ظبيان بن كداده المرادي في قدومه على الرسول من جراء تنازع مراد بن مذحج وقيس بن معاوية الاكليل صفة الجزيرة، ص ٣٣٠ .

فكيف لا!! وهو الذي ميز وفدهم بهبة أوصى بها عند موته بأن لاتقطع على الرهويون الماكثين في بيت رملة بنت الحارث (بمائة ومائة وسق من خير شأنهم شأن الأشعريون ذلك ما أكده ابن اسحاق.

وهو الذي أجاز برفع ماتجزيه الوافد، وذلك ما أكده أبي طلحة التميمي.

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال أبو الوليد عن محمد بن يوسف ثابت البناني عن أنس بن مالك أن أبي بكر أوفده إلى اليمن داعياً للجهاد، وحاملاً كتاب أبي بكر الصديق للقبائل اليمنية فقال:

أتيت أهل اليمن جناحاً جناحاً. وقبيلة قبيلة، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر وكلما قرأته على قبيلة يحسنون الرد بقولهم نحن سائرون إلاّ ذي الكلاع الحميري ملك ذي رعين، فلما قرأت عليه الكتاب دعا بفرسه وسلاحه ونهض بقومه من ساعته، فما برحنا حتى عسكر معه جموع كثيرة من أهل حمير (ويقصد يافع وماحولها والعدين وما حولها).

وقيل إن أبا بكر قال: يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله يقول إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فأبشر بنصر الله على أهل الشرك قال نعم:

وقدر القادمون مع جيش المسلمين لفتح بلاد الشام بأربعين ألفاً من الحميريين فقط ثم تابعت القبائل اليمنية، وجموعها لمساعدة أبي بكر الصديق على فتنة الردة وحرب الفرس (القادسية) وحرب (اليرموك) الروم وعند وفاته تولى عمر بن الخطاب زمام قيادة الدولة الإسلامية ولم تتوان تلك القبائل في الاستمرار لمشاركة بعظيم الفتوحات الاسلامية نحو بلاد الشام والعراق ومصر والاسكندرية والفيوم وجيزة (الفسطاط) التي أبلى بها الحميريون (اليوافع) على وجه الخصوص بلاءً حسناً. ذكرته مصادر التاريخ بالقول المشهور (أسوارها صدورنا).

ذلكم كان عندما أشار عمرو بن العاص ببناء سور لحماية معسكر المسلمين من هجمات البربر والروم طارحاً رأيه للتداول والموافقة عليه بين رؤساء القبائل والقادة العسكريين المشاركين بهذه الحرب مع الروم.

لقد جاء في التاريخ إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استنفر عرب الإسلام للحاق بجيش عمرو بن العاص الإسلامي لإسناده في حرب الروم على أرض بلاد الشام ومصر. قد لبت القبيلة اليافعية نداء الخليفة والتحقت بصفوف الجيش الإسلامي.

وقد كان ذلك بعد طلب من قائد الجيش الاسلامي عمرو بن العاص بمدد من أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما كان لرد الخليفة إلا أن بعث مجاميع قليلة لاتفي بالطلب وكان على رأس تلك المجاميع قادة من يافع منهم حسان بن زياد[1] اليافعي ومبرح بن شهاب اليافعي[2] وعندما وصلا المعسكر. تفاجأ عمرو بقلة العدد لكنه كظم غيظه وأمر اليوافع بأن يبنوا سوراً لحماية المسلمين من هجمات الروم الليلية.

وتشير المصادر التاريخية بأن القرعة رست على أهل يافع إلاّ أن اليوافع وقبائل يمنية أخرى (كهلان – مذحج – أصبح) قالت ياعمرو دعك من هذا فإن (أسوارها صدورنا) وكانت تتناوب حراسة جيش المسلمين تلك القبائل مع قبيلة يافع ليلاً.

فما أن أشرقت الشمس حتى وجدوا ساحة حول المعسكر ملأ بالقتلى من جيش الروم.

ومع أنه كان مترددا أي (عمرو بن العاص) في المبادرة بالهجوم، إلا أنه وعلى ضوء تلك النتائج قرر اجتياز الجيزة ومواجهة الروم بالرغم من قلة المسلمين، وقد اختط لليوافع خطتان:

الأولى: كان موقعها على الميسرة للجيش الإسلامي وعندما اجتازوا الجيزة ركزوا العلم بالضفة الغربية لنهر النيل.

[1] حسان بن زياد بن حسان ذا الشعبين، ص ٣٣٢، الإكليل، ج ٢.

[2] مبرح بن شهاب بن الحارث بن ربيعة بن سعد بن شعب بن شرحبيل بن حجر بن عمرو بن شرحبيل بن عمر بن يافع الرعيني الصحابي وهو أحد وفد رعين، ص ٨٠ شرجه اليمن للكروي.

أما الثانية: فقد كانت لهم بالفسطاط بين بكيل وحجر رعين غربا.

وهناك رواية أخرى أكدها بامطرف في كتابه الجامع من أن روح البداوة كانت مستحكمة في اليوافع، فإنه لما أراد عمرو بن العاص بناء (حصن) في وسط الجيزة لتقيم فيه القبائل المعسكرة بالجيزة رفضت يافع وساندتها بعض القبائل اليمنية في هذا الرفض ومن هذه القبائل (همدان – خولان – أصبح) فبنى الحصن بخططهم، فخرجت طائفة منهم من الحصن أنفة وتحدياً للعدو. ومن أبرز الشخصيات اليافعية عند الفتح:

عيرح بن شهاب أحد رجال الوفود اليمنية إلى الرسول الكريم والذي أضحى أحد قادة ميسرة الجيش الإسلامي في مصر. وحسان بن زياد اليافعي، ومنهم أيضاً الصحابي اليافعي عمر بن مسعود، ودرع بن يشكر والذين استقروا مع مجاميعهم في مصر وعرفوا (بيافع بني حارث)[1]. ولم يقتصر دور يافع في فتوحات مصر وبلاد الشام بل امتدت أدوارهم إلى شمال افريقيا (المغرب العربي – والأندلس) وكانوا يشكلون جزءاً كبيراً وقوياً من القوة الحميرية الضاربة في جيش موسى بن نصير اللخمي، وكما بقوا في مصر، أيضاً استوطنوا المغرب. وفي وقت متأخر اندمجت قبائل يافع مع (صناهجة الحميرية الحضرمية) وصاروا ينسبون إليهم. وفي كتاب صليل السيوف (حبيب جاماتي) إشير إلى قصة (القبطية) المعتدى عليها أثناء الفتوحات الإسلامية والذي هرع لإنقاذها أحد اليوافع الفاتحين بعد أن سمع صراخها (وا إسلاماه) فصرع الجنديان الرومانيان ومن هول المفاجأة أغمي عليها ولم تصح إلا وجثتاهما ملقيتان أسفل الخيمة.

واليافعي يهدىء من روعها ويطمأنها على سلامة الحال.

وأننا جمعنا تلك الملاحظات والشتات المتناثر لنظهر مدى مشاركة اليوافع في الفتوحات الاسلامية إلى جانب القبائل اليمنية في كثير من الأمصار.

[1] كان يطلق على يافع في مصر (يافع بني الحرث) نسبة إلى أمير مصر مالك بن الحرث المعروف (بالأشتر النخعي) والنخعيون قوم من اليمن وهم على أطراف ذي ناخب يافع ومن الوفود التي وفدت على لرسول الكريم في السنة الحادية عشر للهجرة بعد مبايعة معاذ بن جبل.

الفتنة بين المسلمين :

بما أننا بصدد كتابة دور يوافع التاريخ فإننا بقدر الإمكان[1] سنتجنب الخوض بأسباب الفتنة الإسلامية ونتائجها ولكننا سنشير إلى اليمانيون بانه كان لهم دوراً بارزاً في تلك الفتنة سواء في المعركتين (الجمل – وصفين) أو في التحكيم بين الفئتين.

– ولقد كان من نتائج حرب (صفين) إن أنشق اليمانيون أيضاً كانشقاق المسلمين إلى نصفين، أحدهما مؤيداً لعلي بن أبي طالب تحت قيادة (الهمدانيون). (حاشد وبكيل) والنصف الآخر تحت قيادة ذي الكلاع الحميري لقبائل ذي رعين (حمير اليمن – حمير الشام) وعلى رأسها (حمير سرو يافع) وحمير سرو مذحج) إلى جانب صفوف الفاتح الاسلامي (عمرو بن العاص) والذي أعلن تأييد معاوية بن أبي سفيان ضد (علي)، وتحت شعار الاقتصاص من قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولكي نعرف دور الحميريون في المواجهة ضد (علي) علينا معرفة موقف ذي الكلاع الحميري الواضح من خطابه بجمع الحميريون وقبل البدء بالقتال، قال «إنا لنعلم إن فيهم قوماً كانت لهم مع رسول الله سابقة ذات شأن وخطر، ولكني ضربت الأمر ظهراً وبطناً فلم أر يسعني أن يهدر دم عثمان» ونلاحظ بان الإستعداد للقتال لم يكن عن هوى ورغبة. ولكنه دفاعاً عما رآه ذي الكلاع وتأكد بانه حق.

وإن كان يخشى مواجهة (عمار بن ياسر) المقاتل بصفوف جيش (علي) رضي الله عنه خوفه من أن يكون ضد الفئة الباغية.

وذلك لأنه قد سمع عن عمرو بن العاص وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر (تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها صاع لبن) فلما رأى ذي الكلاع عماراً يقاتل مع علي بن أبي طالب، إرتاب وخارت قوته، وأخذ يقول لعمرو ويحك، ما هذا ياعمرو، فيقول: إنه سيرجع إلينا، ولكن ذي الكلاع مات وقتل عمار ولم يعرف أيهما الفئة الباغية.

[1] مصدر : اليمن في صدر الإسلام : الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع .

وأعتقد بأني لم أجانب الصواب في صحة اختياري. ولم يكن اختياري عشوائياً، للدرايتي الأكيدة من أن هذا الرجل وقومه الحميريون كانوا بمثابة الأس الذي غير مجرى الاتجاه الاسلامي، وظهرت من جراء ذلك دولة الإسلام العظمى والتي تمكنت من إيصال الرسالة المحمدية إلى كافة شعوب الأرض.

ومع ذلك كانت لتلك الحرب إفرازات سيئة ونتائجاً لاتقل خطورة عن ذلك الانشقاق في (صفين) وهي دونما شك الكفة الموازية لمكاسب النصر عند الأمويون تلك هي ظهور الشيع، والفرق. والطوائف الإسلامية التي ما فتأت تفت بعضد الأمة الإسلامية حتى زماننا هذا ومما يهمنا في اليمن بيان تلك الإفرازات اللاحقة وعلاقتها بتوجيه دفة التاريخ لخدمة أغراضها المذهبية وما ترتب على ذلك من صراع جعل اليمن تعيش في حالة شتات دائم لايقر لها قرار.

ظهور فرقة ومذهب الزيدية :

بعد خروج الأمويون من هذه المعركة وهم منتصرون. تعززت قوتهم ولاحقوا اشياع علي بكل مكان بغرض استئصال شأفتهم.

وهذا ما جرى بالعباسية أيضاً أن يفعلوه. بالأمويين والعلويين (أتباع علي) على حد سواء مما أدى بطبيعة الحال إلى تخفي ما تبقى منهم في المناطق النائية. ومنها اليمن تنفيذاً لوصية (الحسين بن علي) عندما نصح الأتباع بأن اليمن خير ملاذ لسببين اثنين:

مناعة الأرض الجبلية في البلاد اليمنية، ولأنهم أنصار أبيه منذ الحرب الأولى (بصفين والجمل) وقد فعل الأتباع ذلك وتواروا هناك متحينين تكرار المأساة ومتحينين للفرص المواتية إذا ما جدت. وقد صحت توقعاتهم.

إذ بدأ يدب الخلاف والوهن في مفاصل الخلافة العباسية، وبدأت تنسلخ إلى دويلات هنا وهناك، وتعلن استقلالها عن الدولة العباسية صراحة.

ومن تلك الدويلات في زمن الأفول والضعف العباسي ظهور فرقة الإمام الرس أو (الهادي) سنة (٢٨٤هـ) في البلاد اليمنية شأنها شأن كثير من الدويلات والفرق الإسلامية المتحررة من السطرة العباسية آنذاك.

وقد ترسخت أوصارها في منطقة (صعدة) مكونة الدولة الزيدية الثانية والأولى كدولة يمنية بعد صراع وحروب قبلية دارت بينها والقبائل اليمنية (بالحارث – ويام)[1] في نجران. ومن أسباب تلك الحروب قدوم بعض عناصر الفرقة أو الطائفة القرمطية التي تصادف نشوءها في نفس الفترة الزمنية.

وتمكنها من جذب واستقطاب بعض المؤيدين لها من تلك القبيلتين، آنفة الذكر، لكنها لم تستحوذ على تأييد أهل نجران. مما جعل الفرصة مواتية عند فرقة الزيدية. للقضاء على أولئك، ووئد دعوتهم في بداية نشأتها الأولى، وكان من جراء ذلك النصر المبدئي أن أعانها على استجذاب دعم القبائل اليمنية وبنفس الوقت، على استتباب الوضع بمركزها السياسي والديني. مكناها من تثبيت معالمها الأولى بنجاح تام.

ومما لاريب فيه أنها حظيت بدعم غير محدود، وانتشرت بين الأوساط اليمنية بعد معرفة لعدالتها، من خلال مبادئها الستة في الأصول المذهبية والتي عرفت عند التابعين من الزيود (العدل – الوعد والوعيد المنزلة بين المنزلتين – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإمامة)[2].

والأخيرة جعلها الإمام نصب عينيه بل وعمل على تثبيتها بشتى الوسائل مستغل شهرته الطارئة بين القبائل.

على الصعيد المعاكس لم يخيب حماس القبائل. ووقوفها معه إذ شرع في ترتيب الأوضاع الداخلية فيما بين القبائل، فأصلح بين النصارى والمسلمين، وأمن قراهم.

وعندما تحقق هذا النجاح تهيأ لإعداد العدة لمواجهة الخطر الأكبر الذي رآه موسوماً بالحركة القرمطية المنتشرة في الجنوب من صعدة بقيادة منصور اليمن (ابن حوشب) وعلي بن الفضل الجيشاني. اللذين لن يغفرا له زلته بإعلان الحرب على أتباعهما بمركزه: (صعده).

---

[1] الإمام الرس (نسبة إلى جبل الرس بالحجاز) وهو الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٢٤٥هـ.

يام: قبيلة من حاشد لايوجد لها ذكر اليوم وينسب إليها جبل يام، ص ١٥٤ صفة الجزيرة.

[2] الإمامة: هي محك الاختلاف بين المعتزلة والزيدية وبين أصحاب الحقيقة الذين يقحمون العقل من أهم ما يبرر الاجتهاد والقياس في التشريع الإسلامي.

وخشيته من ذلك الخطر الجاثم قريباً من دياره فقد عمد على تأليب القبائل المناصرة له، وسارع إلى عقد التحالفات مع (اليعافرة وآل الدعام) مكثلاً جهود القبائل لصد شيوع الدعوة القرمطية وكبح انتشارها، عسى ولعله يحافظ على دعوته الزيدية بين مؤيديه من دونما مساس يمسها ومما لاشك فيه بأن هذه الأسباب ساهمت بطريقة أو بأخرى على بقاء ونجاح الحركة الزيدية في الاستمرار وأدت إلى تنامي قوتها حتى دانت لطاعتها جميع القبائل العارضة في اليمن الأعلى والأسفل واليمن قاطبة في فترات وتمكنت في حال ضعفها من المراوغة والنجوء إلى البيات الشتوي وعلى مر القرون والمرور للدويلات اليمنية حتى مطلع الستينات من قرننا هذا وبالرغم من فترات البيات بين آونة وأخرى إلاّ أنها عاصرت أحداثاً جسام أعطتها دافعاً قوياً لتوسيع رقعة الهيمنة الإمامية، وهيأتها للأخذ بزمام الأمور وتوجيه دفة التاريخ لصالحها في فترة الدويلات المتزامنة معها والتي لم يكتب لها النجاح على البقاء لأسباب عدة منها:

١ – لم تكن يمنية الأصل (توابع سياسية وعسكرية).

٢ – افتقارها إلى الخليفة والسند القبلي (بعكس الزيدية).

٣ – الصراع الدائر بينها البين وبين القبائل اليمنية.

٤ – الخروج على العقيدة كما فعل القرامطة.

مدخل رابع

الفرق الثلاث (القرمطية - الزيدية - الصوفية)

إن الصراع الدائر في اليمن ما هو سوى ناتج من الخلاف المذهبي لتلك الفرق متخذاً وسائلاً قبلية لتحقيق أمر الصراع ثم اقتناص فرص النصر والإنفراد بصياغة التاريخ وفقاً لما تقتضيه حاجة المنتصر مذهبياً.

وإذا ما أردنا أن نتناول البحث المنهجي بخصوصية تلك الفرق فعلينا دراسة كل حالة منها على حدة لاستبيان دورها التاريخي والتأثيري في حياة المجتمع اليمني منذ القدم.

ولكي نستطيع ذلك علينا بتسليط الضوء على الجوانب الفلسفية منها كي نتمكن من تحديد هويتها التاريخية، وبالتالي تقييم دورها التأثيري في توجيه عجلة التاريخ، بغية تحقيق أهدافها المأمولة في اليمن (سياسية - عسكرية - مذهبياً) لكن ذلك التسليط لن يعوزنا هنا، ولايمكننا الولوج فيه لتشعب الأهداف عند تلك الفرق، ومن ناحية أخرى إلى صعوبة اختراق الحاجز السري في مبادئ التكوين والبناء المذهبي لها.

مع أننا مدركون بأن لكل فرقة آنفة الذكر أهدافاً مرسومة، قد تكون أهدافاً يدركها الكل ويعمل على تنفيذها كل المنضوين في الإطار التنظيمي لتلك أو تلك الدعوة، ويقدر تلك الأهداف المرسومة ودقتها تعيّن مدى النجاح المحقق لأي منها والعكس صحيح.

ولكي نكون منصفين فقد أثبتت التجارب بأن الفرقة الزيدية كانت أكثر الفرق الإسلامية نجاحاً في اليمن وإيعازاً منّا في أسباب ذلك النجاح أرجعناه إلى الآتي:

١ - لإستمساك بمنهج الزيدية كمذهب.

٢ - الإبتعاد الجغرافي عن مواقع الصراع الدولي والمحلي.

٣ - الانضواء تحت أجنحة القبيلة (همدانيون).

٤ - التكيف مع الأوضاع اليمنية واغتنام الفرص.

٥ - الطموح المتجدد، وعدم اليأس في مواصلة بسط النفوذ.

٦ - القضاء على الحركات المنافسة كالحركة القرمطية.



منظر عام للقرى بالقعبة تبدو حديقة البيان

٧ – الارتكاز في بداية التأسيس على مؤيديها من الأبناء[1] من الأصول الفارسية والتي كانت تعيش في (همدان) والقرى المجاورة لصعدة.

لكن ذلك لايعني إن هذا النجاح جعلها بمنأى عن المواجهة بين حين وآخر مع الفرق الأخرى آنفة الذكر، أو مع الدويلات المتزامنة معها والتي أعاقت طموحاتها فترة زمنية خلالها تتريث منكفئة على نفسها وتاركة عامل الزمن يأخذ فعله في الاختيار.

وعلى سبيل المثال إذا ما أخذنا النقطة السادسة من هذه الأسباب سنرى ونلتمس ونتبين وجهة العلاقة فيما يسمى بالفرقة القرمطية وعلاقتها بفرقة الزيدية كعلاقة عدائية تقوضت من جراءها الأولى نتيجة للتطرف الديني والخروج عن أسس الشريعة الاسلامية.

ولكون ذلك من صلب مانود الاستطراق إليه في هذا المبحث فإننا سنضيف طرفاً ثالثاً (الفرقة الصوفية) لتكتمل عندنا رؤية ووضوح العلاقة بين هذه الفرق في فترات زمنية محددة.

ومما لاشك فيه بأننا قد وضعنا في الاعتبار حدود الرؤية تلك وجوانب الإحاطة، واقتصرنا على بيان الصلات التاريخية للفرق الثلاث و(بدافع) ساعين لإظهار بعض الحقائق وتصحيح بعض الرؤى في تلك الجوانب بما يفيد الاتجاهات التاريخية في البحوث القادمة للمؤرخين والتي ستقودنا طواعية إلى ترسيم الثوابت في مواضعهما هذا إلى جانب إيضاح المضامين الأساسية لحركة القرامطة.

فمن هي تلك الحركة القرمطية...؟!.

[1] الأبناء : بقية الجيش الفارسي الذي قدم مع سيف بن ذي يزن وهم بقية في الريق (الفرس): والأبناء من بني حشيش خولان وفي بيت بوس وبني بهلول وسنحان. الأكليل، ص ١٠١، ج٢.

القرامطة :

عندما آلت الأمور لبني العباس بدت الأهداف الحقيقية بأنها لاتتفق مع مايراه أشياع علي، وهم الذين أوصلوا جعفر الصادق إلى الخلافة العباسية وساعدوا العباسيين في القضاء على بني (أمية).

وعندئذ حدث الخلاف حقيقياً مما أدى إلى انشقاق فرقتين عن الصفوف العباسية كلاهما في الهم واحد، أي متفقتان في القضاء على الخلافة (العباسية) التي ألقت بهما خارجاً ومختلفتان في الأسلوب وفي الاتجاه العائلي لآل البيت.

فالأولى تؤيد (فاطمة) والثانية تؤيد (علي) رضي الله عنهما فسميت الأولى بالحركة الفاطمية، وسميت الثانية بالحركة (الإسماعيلية) نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق.

ثم أخذت هاتين الحركتين تنشران دعوتيهما بطريقة سرية يصعب على المقربين حينها على الاطلاع في أسس هاتيك الدعوتين ومواقع انتشارهما بغية الوصول إلى سدة الحكم بشتى الوسائل وخلف ستار ديني يبعد كل شبهة تحول دون نشاط الحركتين سياسياً في فترة الأفول لدولة بني العباس خلافياً.

وذلك ما التمسناه، إذ تزامن ظهور تلك الحركتين على الواقع مع إنهيار الخلافة العباسية.

ومع أن الحركة القرمطية الناشئة في اليمن، تعد فصيلاً للحركة الاسماعيلية والفاطمية من دون شك، إلا أنها أي تلك الحركة قد حاولت الاستقلال في هذه الظروف والانفصال عن التبعية وخاضت حروباً تحررية، أودت في النهاية إلى سقوطها سنة (٢٨٤ – ٣١٠ هـ).

فمن هي الحركة القرمطية وماذا تعني؟ يقال انها تنسب إلى (حمدان بن قرمط) وهناك من يقول بأنها تعني (الفكر الناضج) من كلمة تقرمط أي (علي ونضج).

وكيف انتقلت إلى اليمن؟ عندما نسأل هذا السؤال يمكننا الإجابة من خلال معرفة: من هو علي بن الفضل؟!!

الهــوية :

تداخلت التسميات والصفات حول هذه الشخصية، وأطنب الكتاب المؤرخون، فمنهم من قال إنه علي بن الفضل اليافعي من أصل خنفري[1] ومنهم من قال الجدني وآخرون قالوا (الجيشاني) وفي مصنف الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إمام الزيدية قال، بأن علي بن الفضل مولده (الجند) وأصله من رحبة صنعاء.

وأشار صاحب (كتاب الفرق والتواريخ) قائلاً: كان أهل بيت هذا الرجل أهل تشيع، فرغب في علم الأدب وكان لسناً جريء القلب صبوراً نظاراً فانتحل الاثنى عشرية.

وهناك مصادر يمنية متعددة تشير بأنه ارتحل إلى مكة لتأدية فريضة الحج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومن ثم هاجت أشواقه لزيارة قبر أمير المؤمنين (علي) وابنه الحسين (بكربلاء) رضي الله عنهما.

وقيل لكثرة بكاءه عند الزيارة لفت أنظار رجالات الاسماعيليين هنالك (بالكوفة) ورأوا بأنه خير من يوكل إليه بنشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن فأوفد معه منصور بن حسن بن حوشب الكوفي، اسماعيلي المذهب لدعوة أهل اليمن إلى الإمام المهدي الفاطمي سنة ٢٦٦هـ وعند خروجهما إلى اليمن تفرقا واتخذ كل منهما اتجاهاً.

إتجاه عليٌ بن الفضل:

وصل عن طريق الحجاز ثم إلى ميناء (غليفقه) على ساحل البحر الأحمر ثم قيل بأنه اتجه إلى الجند في بادىء الأمر، ثم ذهب إلى عند صاحبه بمسور حراز للاستزادة بالنصائح والتوجيهات، ثم انتقل إلى أبين جيشان[2] الحميرية ويقال بأنها مسقط رأسه من أصول يافعية .

[1] خنفري نسبة إلى مسمى أحد التبابعة الحميريين وتعني النبع المتطرس (خنفر) أي متجهم الوجه.

[2] هناك جيشان (مخلاف جيشان) مابين الضالع وبريم وهناك جيشان قريباً من خنفر أين موقع اعتكافه ولايبعد إن أصله يرجع إلى جيشان خنفر وليس رحبة صنعاء كما أشار الهادي، أو جيشان قعطبة. وفي

وبعدها تحول إلى قرية (صناع الزين) في (الحد) طارقة يافع ناشراً دعوته ولم يطل به الأمر حتى تحول إلى (شكع) احد مناطق المفلحي اليافعي واستقر به المقام إلى خنفر جزء من يافع السفلى وهناك اتخذ صومعه في جبل خنفر ثم اعتكف زاهداً متقشفاً متخلوياً بعيداً عن الناس. لينزل منه فاتحاً حتى استقر به المطاف بالمذيخره عاصمة له فيما بعد.

ويذكر (البهاء الجندي) نتفاً من حياته بانه خرج إلى يافع فلقيهم رعاعاً فجعل يتعبد في بطون الأودية ويأتونه بالطعام فلا يأكل إلى مايحقق حاله. فاعجبوا به وهم يسكنون برؤوس الجبال فسألوه ان يسكن معهم فلم يكد يجيبهم إلا بعد مدة حتى الحوا عليه بالنزول.

فذكر أنه لايمنعه من مساكنهم إلا إمتناعهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرب الخمور والتظاهر بالفجور فحلفوا له على الطاعة وإلا يخالفوا له أمراً وفي هذه النتفة مبالغة كبيرة لإن أهل يافع لم يعرفوا الخمر ولا الفجور على الاطلاق لسبب بسيط وهو أن المجتمع اليافعي مجتمع فلاحي نشأ على العفة والغيرة ولم يكن مجتمع مدينة، إضافة إلى ذلك فهو مجتمع متماسك وقوي ولو أن به تلك الصفتين لما كان بهذه القوة وهي السمة الباقية حتى الآن لذا فإننا نعتبر ذلك تدليساً وتشويهاً تاريخياً ليس إلا.

وبعد هذا العرض الموجز لخروج علي بن الفضل، نستطيع السؤال لما اختيرت اليمن موقعاً لنشر الاسماعيلية؟ ربما تحط ذلك أسباب عديدة منها:

١ – اليمن بيئة خصبة لكل فكر سواء فلسفياً أو دينياً.

٢ – الموانع الطبيعية وصعوبة التضاريس سيجعل أية حركة بمأمن.

٣ – انتقال الفرق الاسلامية والتشيع جعل اليمن محطة تنافس فيما بينها على ايجاد الاتباع والمؤيدين بسهولة جداً.

٤ – الصراع بين القبائل اليمنية سيجعلهم بعيدين عن المواجهة بل إن الصراع ذاته قد يتبنى أفكاراً في قبول دعوة المعارضة للزيدية ضد الشوافع.

صفة الجزيرة، ص ٢٢ ذكر بأن مخلاف جيشان لم يعد منه شيء ودخل في عداد العود، وحجر، وبلاد قعطبة اليوم وينسب إلى جيشان ابن غيدان بن حجر بن ذي رعين.

ونعيد السؤال نفسه لماذا إختيرت (خنفر)[1] موقعاً لبدء الانطلاقة؟

نستطيع أن نتبين بأن الدافع الاساسي للإختيار جاء لأسباب عديدة منها:

١ – اللجوء أو الهروب بعيداً عن الثأر ولاة الدولة العباسية في اليمن وعيون (بنو زياد اليعافره والزيدية) المترصده لهم بكل مكان (أي الفارين).

٢ – اختيار خنفر جاء للميزه التي تحظى بها من حيث موقعها المتوسط بين المناطق الساحلية والجبلية على مفترق طرق قريبه من أبين ولحج وعدن تلك اللواتي كن الطعم الأول في هجماته.

٣ – جانب سياسي موازنة مع صعدة في الشمال اليمني. ولو قورع خنفر بحوض حماية قبائل الجنوب والقادره أيضاً على حماية الملاذ بها.

٤ – لكون الموقع قريب من معظم الإشارات الدينية بصدد ظهور المهدي (المنتظر) من قرية (كرعه) الموجودة كما يقال على مكرعه وادي بناء قديماً (ابين) ثم لتأكيد حديث الرسول الكريم (سيخرج من عدن أثنا عشر الفاً ينصرون الله ورسوله وهم خير من بيني وبينهم، وقيل إنه قال من عدن ابين) وعلي بن فضل لم يكن من الغباء أن يفوت هذين الحديثين دونما الاستفادة واستغلالهما دينياً لخدمة مأربه. وكان كفيل بهذين السببين إيجاد أتباع المؤيدين لما يدعيه من ولاية وإمامه تبشيرية في خنفر بالغ الساحل بما فيها ابين.

٥ – أختيار جبل خنفر للاعتكاف لتأكيد صدق مايدعو إليه وإيهام الناس بيقين ذلك الصدق، فكان الزائرون يرون فيه الإمامه، وطهارة السريره. ومن خلالها إستطاع أن يمرر شروطه سالفة الذكر (الإمامه والطاعة، ترك المعاصي..).

٦ – أوهمهم بأنه المبشر بقدوم المهدي المنتظر وانهم سيملأون الأرض عدلاً إن هم أيدوه فيما يراه ويعتقده.

[1] خنفر: في صفة جزيرة العرب ذكرت بلقب قبل الله حنفر وهي مدينة الربا وقد حلت محلها مدينة زنجبار في وادي ابين.

ومن هذه الخالصة يمكننا الادراك بأن علي بن فضل قد لعب على الوتر الحساس بذكاء شديد فاستولى على إفئدة الناس ناشراً بينهم الخزعبلات والشعارات البراقة التي تقترب في صياغتها إلى الشعارات الثورية الاشتراكية في وقتنا الحاضر وهذا ما أوقع المؤرخون في خطأ الربط بينها وبين الأشتراكية.

ولقد لعبت تلك الشعارات في ترسيخ القناعات وتثبيت الإمامة إلى حد الإيقان بأن الإمام الداعي للمهدي والإمام المستوجب اتباعه. وهذا ماجعل المتحمسين من البسطاء يغيرون خلفه دونما التفاته لمراجعة ذلك الاندفاع، لانشغالهم بجني ثمار الانتصارات المذهلة.

وكما أوضحنا سابقاً بأن اليوافع قد اتبعوا هذه الدعوة ساعين إلى المثل التي دعا إليها (كالعدالة –المساواه – وتحرير الانسان من الاضطهاد والخضوع) وهذا مايبرر الاجماع من عامة أهل اليمن لمساندة دعوته (الخنفري) إذا إن ذلك الاجماع ماكان ليكون إن هو توار عن الصفات النبيلة وليس كما يقول بعض المؤرخون من إنه أي الاجماع جاء نتيجة لتمرد القحطانيون على العدنانيون وعلى سلالة بني هاشم بالذات صاحبة شرف (النبوة).

كما وأننا وايضاً لانستبعد سبباً وجيهاً كدنا على تجاهله ألا وهو الاعتقاد بخوارق (الأولياء) عند عموم العوام من الناس قاطبة مما عزز القناعة المطلقة بقدوم المهدي المنتظر كما أكدته الأحاديث النبوية التي اضحت فيما بعد إرثاً صوفياً.

وبهذا نكون قد أوجدنا العلاقة (الديناميكية) بين يافع ككيان متفاعل مع الحدث وبين هذه الحركة المتمكنة من توظيف ذلك التفاعل في خدمة أهدافها وصيرتها الفلسفية.

رؤيتها السياسية الدينية:

قال المؤرخون بأن هذه الحركة (قرامطة اليمن) لم تكن لديهم رؤية سياسية واضحة أو منهج دولة ذا أسس ثابتة وهذا ما عجل بسقوطها.

في حقيقة الأمر نستطيع الإدراك بأن قرامطة اليمن قد أرسوا دعائم وأسس ثابتة تتلخص في البنى (الاقتصادية - الاجتماعية - السياسية - العسكرية) والبعد الاقتصادي لهذه الحركة يبدو لنا من شعارهم (لايموت الانسان جوعا وجاره متخم) وهي تساوي ما قاله أحد دعاتهم حسين الأهوازي عن فحوى ما يدعو إليه قال:

(أمرت أن أروي هذه القرية، وأغني أهلها وأن أنقذهم من الفقر وأضع بأيديهم ثروة أسيادهم. وبدت من شعارهم (الغلال تعود ملكا لمن يزرعها) ويساوي هذا الشعار الشعار الاشتراكي (الأرض لمن يزرعها) كما وأن هذه الحركة تزامنت مع ظهور الحركة الزيدية بصعدة وهذا التوقيت في الاختيار يعد سياسياً بدقة من قبل الإسماعيلية في حين الأساس الديني[1] ارتكز على هدفين الأول: إن لكل ظاهر باطن - الثاني الاعتقاد بظهور الإمام السابع (المهدي المستتر) أو المنتظر كما يسمى (محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) على اعتبار إن اختفاؤه يعد بحد ذاته سراً عظيما لأتباعه ويبقى كتمانه حتى الظهور قبل الساعة ونشر العدل وإنهاء الفساد على وجه الأرض.

ومن أسسهم لنشر الإسماعيلية إعلان الجهاد في الربوع اليمنية واعتباره اليمن كاملة (دار هجرة) للفرقة الاسماعيلية إلا أن ذلك لم يمنحهم فرصة إدارة تنظيم ما ملكوه من اليمن.

أسباب المناصرة :

لاشك بأن إجماع اليمنين على مناصرة علي بن فضل القرمطي هو لغز يستحق التساؤل والوقوف قليلاً :

[1] الأساس الديني لم يكن أساساً صحيحا ومسجما مع ديننا الحنيف عند أولئك القرامطة فهم فقد تخبطوا وحاولوا الاتيان بالنقيض وتعدوا الحدود والشرائع حتى أتت دولتهم إلى السقوط السارع.

هل هي ثورة فلاحية ضد الاقطاع والإضطهاد كما قيل عند بعض المصنفين الاشتراكيين؟! أم أنها تمرد القحطانيون على العدنانيون؟! أم إنها شطحات فلسفية أوقعت علي بن فضل الورع (بتهمة الزندقة) (--) وذلك من ما أخذ عليه من أنه كان مقتديا بأبي (سعيد الجنابي)[1] لكن كل هذا التساؤل لايخفي الواقع من إنهم وقفوا مع هذه الدعوة وساندوها حتى حققت من النجاح ما أهلها للانتشار السريع والاتساع في الربوع اليمنية إنما السؤال الأكثر إلحاحا. ما سر التوافق العجيب بين القرامطة كحركة شيعية وبين الشوافع (السنة) الممثلة بالأتباع في المناطق اليمنية وعلى الأخص يافع؟!.

وللإجابة على هذا السؤال: سنوجز ما نراه إجابة على النحو الآتي:

١ - الجهل التام بأمور الدين والشريعة المحمدية كان ضاربا أطنابه بطول اليمن وعرضها وبالأخص المناطق الجبلية منها.

٢ - ميول يافع لمناصرة القرامطة والوقوف مع هذه الحركة في حروبها لانخداعها بالظاهر دون معرفة بواطنها الفلسفية. فظاهرها:

يعد من الأسرار لايدركه الجند ولا العامة المؤيدين وقد اعتمدوا على دقة إختيار دعاة (القرامطة).

٣ - قبولهم بقيادة علي بن الفضل لم جاء في الوقت الذين هم يفتقرون به إلى القيادة على أمل إحياء أمجادهم الحميرية العابرة. في ظرف التداعيات للدولة العباسية ونحو دافع تكوين دولة يمنية الأصل.

٤ - كان بدافع الخروج من الصراعات العشائرية والقبلية في اليمن عامة ويافع خاصة .

٥ - كان بدافع تصديقهم لدعوة (الحنفري) بأنهم سيكونون جيش المهدي المنتظر الذي بشر بقدومه الامام علي بن فضل. كما استدركوا.

٦ - كان بدافع تردي الأوضاع المعيشية (البؤس - الفقر) والقهر الاجتماعي، واستجابة لدعوة بن الفضل وإشاعة (المساواة للفقراء بالأغنياء).

[1] أبي سعيد الجنابي: مؤسس فرع القرامطة بالاحساء.

٧ – ما كان ليدرك اليوافع بأن هذه الحركة (الشيعية) لاتمت لهم بصلة على الإطلاق، نظراً لتمويه داعيتهم علي القرمطي متظاهراً بأنه ولياً صالحاً ينبغي اتباعه ونصرته، ودونما إظهاراً لمذهبه.

وهذا ما عجل بالأمور نحو النجاح المتسارع دونما تعقيد يذكر قد (يفرمل) ما اجمعت يافع على إسناده، ومؤازرته في ميادين الحرب.

وهذا لانشكك البتة في أن يافع غدت (العنصر الحاسم والمهم في نجاح هذه الحركة ودفعها لاكتساح اليمن في فترة قياسية.

كما وأننا لانستبعد أيضاً في أن اليوافع وعندما تكشفت لهم الحقائق للقرامطة الالحادية، كانوا السبب الأكثر أهمية والأرجح في التعجيل بزوالها النهائي، وسقوطها في ظروف قياسية أيضاً مقارنة بظهورها وما يؤكد وجهة نظرنا هو الخلاف الناشب بين قادة القرامطة كالخلاف بين ذي الطوق وعيسى اليافعي ومقتل الأخير غدراً لهو دليل على أن الخلاف مبدئياً وليس قيادياً بحكم سكوت علي بن فضل عند تلك الفعلة بين صفوف قواته.

وفي سنة ٢٩١ – ٢٩٢ هـ سنة المجاعة بيافع خرج علي بن الفضل من صومعته في الجبل رافعاً شعار (لايموت الإنسان جوعاً وداره متخم) وكانت الحرب.

حرب القرامطة :

استغل علي بن فضل فرصة وجود النزاع بين محمد بن أبي العلا وبين كاتبه جعفر ابن ابراهيم المناخي حاكم أبين واتفقا وإياه على التحالف والقتال ضد ابن أبي العلا فجمع المناخي والخنفري كل منهما جيشه وكان غالب جنود علي بن فضل من مناطق يافع. وفي سنة ٢٩٢ هـ دارت الحرب في خنفر وكان النصر حليفاً لهما وغنم ابن الفضل من خزائن ابن أبي العلا سبعين (بدرة) ساعدته على ترتيب أموره العسكرية واستمالة بقية القبائل المذحجية إلى جانب الحميرية ودخلت معظم القبائل تحت طاعته من جراء ذلك النصر المباغت .

وعندما طلب جعفر المناخي من علي بن فضل نصيبه من الغنائم أعطى سفيره نصيبه من الغنائم بشهادة الحضور قائلاً بأنه لايطمع بمال وإنما جاء لنصرة الإسلام ثم قال للسفير (انصرف إلى صاحبك ليلتك وقل له يستعد لحربي)

واصحبه كتاباً إلى المناخي قال فيه: (بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين، وأخذ أموال الناس بغير حق، وأنا قمت لأرد الحق لأهله، وإن أردت إتمام مابيني وبينك فرد الظلامات إلى أهلها وادفع لأهل (دلال)[1] دية ما قطعت من أيديهم.

وفي النصف من شهر ربيع الأول ٢٩٢هـ شن هجوماً على المذيخرة ودارت الحرب بين الفريقين سجالاً أظهر علي بن الفضل دراية وحنكة بفنون القتال فعلى الرغم من هزيمته إلا أنه عاد ليلاً ليلحق بعدوه شر هزيمة محتلاً المذيخرة وحصن التعكر ومضطراً خصمه للفرار إلى زبيد إلى موضع يقال له (القرتب) محاولاً من ابراهيم بن محمد أن ينصره فلم يوافق. ثم عاد إلى بلاده خشية وإتقاء، فلما انكشف أمره في وادي (نخلة) حارب علي بن فضل بمن كانوا معه وهناك روايتين حول قتله فمنهم من يقول إنه انسحب وتحصن في حصن فدخلوا عليه الحصن فهزم وقتل هو وابن عمه أبو الفتوح بن أبي سلمه ورواية تقول إنه قتل في نفس ليلة الهجوم بوادي نخلة ومع كل ذلك استطاع علي بن فضل من إزاحة عدوه نهائياً فعظمت شوكته وطال باعه وإذاعة شهرته لهذا النصر ثم سار إلى سلطان (الدملوه) الأمير احمد بن منصور المفلس وسلطان المعافر الأمير محمد بن اسماعيل فقتلهما واستولى على بلديهما. وفي مستهل محرم سنة ثلاثة وتسعين ومائتين خرج علي بن فضل اليافعي بأهل المخاليف وممن صار معه حتى وصل (منكث)[2] وبالقرب منه دارت حرب بينه وبين حاكم ذمار: عيسى بن المعان اليافعي لكنه استأمنه بأبنه ثم سار الجيشان قاصدين صنعاء فنزلا (بضبوه) وخرج إليهم أسعد بن أبي يعفر فحاربهم وقيل بأن جيش علي بن فضل أربعون ألف لاطاقة لأبي يعفر على مقاتلتهم البتة .

فعاد إلى صنعاء في الوقت الذي كان الجيش القرمطي بقيادة علي بن فضل اليافعي يتجه نحو التمركز بجبل (نقم) فمكثوا فيه ثلاث ليال حتى يوم الجمعة من

[1] أهل دلال: ورد في ص ٣٠٠ من الاكليل من أن أهل دلال ينتمون إلى ذي رعين لوالعة عزائهم بمخلاف بمدان.

[2] منكث: ورد في الاكليل ص ٨٠ الجزء الثاني بأن منكث تقع في أعلى قاع الحقل (يريم) ولها باب واحد وفيها نبع ماء ساخن كان يرتها الأمراء والقواد عند تحصيل الضرائب .

ذلك الشهر، خرج علي بن فضل بخمسة آلاف مقاتل، فدخل صنعاء من سكة الشهابين ويقال بأنه ساعدهم (مهلب الشهابي).

فاشتبكوا مع أسعد اشتباكاً شحيحاً حتى يوم السبت حيث غادر صنعاء مع أنصاره من أهل صنعاء إلى مدينة (شبام) وقد أخذ اليافعي في مطاردة الفارين حتى بلد (القدم) وشمر في حصارهم خمسون يوم لم يتحقق له نجاحٌ في ذلك .

تهامـــة :

خرج علي بن فضل مع عساكره سنة ثلاث وتسعين ومئتين متجهين (تهامة) ومخلفين بعض الحراسات البسيطة على مدينة صنعاء وقيل بأنهم أي العساكر عندما وصلوا لقيل (السود) تخلف عنهم ابن كياله وعاد إلى صنعاء طالباً المساعدة من محمد بن الحسين على أن تكون الدعوة للهادي فساعدهم الدعام والهادي مع كثير من العشائر المؤيدين فتمكنوا من احتلال صنعاء في نهاية جماد الآخر سنة ٢٩٣هـ في الوقت الذي كان به جيش القرامطة يتجه نحو تهامة حتى وصلوا جبل (رواق) يحاربون فيه ابراهيم ابن علي حتى هزم ابن علي فتقدم علي بن فضل إلى بلد (حكم) وفي نفس شهر جماد الآخر دخل (الكدراء) و(المهجم) فقويت شوكة القرامطة هناك.

وفي شهر ذي الحجة ٢٩٣هـ خرج ذي الطوق اليافعي مع عيسى بن المعان اليافعي لمحاربة أبو العشيرة أحمد بن أحمد الروية في رداع (ثاث) فقتلوه وأخذت رداع.

ثم سار القائدين إلى مخلاف بني عياش إلى منطقة (حضور) ودخلت قريتي (عجيب، ومسيب)[1] فخرج إليهم عساكر صنعاء حلفاء ابن كياله فقاتلوهم حتى

[1] ورد بصفحة ٣١٣ الاكليل بأن (عجيب ومسيب) قريتان بمخلاف عياش في حدود حضور بن عدي واشتهرت بالوقعة التي نشبت بين القرامطة والصنعانيين تحت قيادة الحسن بن كياله وأسفرت عن مقتل خمسمائة من الصنعانيين سنة ٢٩٤هـ.

هزموا فقتل في هذه المعركة أربعمائة من أهل صنعاء وغيرهم وظل القرامطة في المغرب وعاد ابن كيالة مع مؤيديه مهزومين.

وبعد هذه المعركة في (المغرب) من بلاد حاشد.

ذي الطوق اليافعي يقتل عيسى ابن المعان اليافعي فلربما مردها خيانة من الأخير مذهبياً وانعكاساً لهزيمته في ذمار جعلت عساكره يلجأون إلى حلف ابن كياله في صنعاء وسببت هذه الفتنة استياء علي بن فضل فخرج من المذيخرة مرة أخرى لتحرير صنعاء من الحلفاء سنة أول رجب ٢٩٤هـ فتحرك الجيشين لذي الطوق من (المغرب) وجيش علي بن الفضل من المذيخرة باتجاه صنعاء فهرب المتحالفين مرة أخرى إلى (القدم) ببلاد حاشد وأقام القرامطة ثلاث سنين في صنعاء لم يبرحوها .

وفي هذه الأثناء أعلن استقلاله عن عبيد الله المهدي ابن ميمون القداح واعتبر ذلك تمرداً وخروجاً عن طاعة العباسيين الذين دبروا فيما بعد طريقة اغتياله .

حرب زبيد : (من كتاب أخبار القرامطة)

فلما كان صفر سنة سبع وتسعين ومئتين نهض القرمطي من المذيخرة ونهض ابن ذي الطوق اليافعي يريدان زبيد فظفرا بابن حاج وانهزم عنهم الى (المهجم)[1] واستباحوا زبيد وقتلوا بها خلقاً عظيماً وسبوا منها فيما بلغن خمسة وثلاثين ألف امرأة (وهذا مبالغ فيه) ولايعقل وأقاموا بزبيد سبعة أيام ولم يدم طويلاً حتى عادت لابن حاج.

المواجهة بين الشريكين في المذهب:

تدهورت العلاقة بين الشريكين منذ سنة ٢٩٧ هـ وازدادت سوءاً بعد قدوم (فيروز)[2] اضطر من جراءها علي بن فضل للخروج في مواجهة صاحبه بجيش

[1] المهجم: ورد في صفة الجزيرة ، ص ٩٧ من أن المهجم كانت مدينة عامرة عاصمة تهامة وقد لعبت دوراً مهماً في التاريخ وبها حينئذ أكثر من ثلاثمائة معصرة لم يبق منها شيء وهي اليوم أشبه بالخرابة.

[2] فيروز الفارسي داعي دعاة الفرقة الإسماعيلية .

قدر بعشرة آلاف جندي من يافع ومذحج سنة ٢٩٩هـ وحاصر صاحبه حصاراً شديداً لم ينفك إلا بإيداعه ابنه رهينة عند علي بن الفضل كشرطاً لطاعته.

مقتل ذي الطوق اليافعي :

قيل بأنه قتل في شهر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومئتين للهجرة (٢٩٩هـ) عندما خرج لمواجهة عبد الله بن أبي الغارات والذي ألحق بجيش القرامطة هزيمة نكراء لم يستطع علي بن الفضل من احتوالها على الرغم من تعزيزه لقوات ذي الطوق في شهر صفر سنة ٣٠٠هـ وبمقتل ذي الطوق فقد الجيش القرمطي قائداً عسكرياً فذاً أخل فيها على القدرة العسكرية للقرامطة .

خروج علي بن فضل في شهر شوال سنة ٣٠٠هـ للقتال في بلاد مذحج ثم سار إلى السرو (يافع) ونزل في قلعة (صناع) بها حيث كان مقامه الأول وحارب (رزام المذحجي) ثم عقد صلحاً معه على أن لايطأ لهم بلداً وفي سنة (٣٠١هـ) عاد إلى المذيخرة لمواجهة (ملاحظ) وفي المذيخرة توفي بعد إصابته بمرض خبيث من جراء فصد وحجامة دمه على يد دكتور جاء لاغتياله ونتيجة لسم دس له سنة ٣٠٣هـ في منتصف شهر ربيع.

ومما قيل بأن العملية مرسومة من العباسيين. ثم آل الأمر إلى ابنه محمد بن علي ويومئذ وبعد التأكد من موته هاجم أسعد بن أبي يعفر (المذيخرة) سنة ٣٠٤هـ يوم الخميس من شهر رجب واستولى عليها ونهبها وقتل بقية أفراد الأسرة وبعث برؤوسهم إلى العراق.

ويقال بأنهم عشرون ونيف، ومنها بدأت شوكة القرامطة بالزوال والانهيار وكانت آخر حروب خاضتها القرامطة بشهر رمضان سنة ٣١٠هـ تسمى معركة (نقاش) في الظاهر بمسور ضد الإمام بن يحيى بن الحسين الذي هزم القرامطة وطلبوا من بعدها الهدنة مع همدان سنة ٣١٠هـ من شهر شعبان.

كان ذلك مع فرع قرامطة ابن حوشب الذي لم يكل تماماً إلا بتكالب القبائل اليمنية عليهم.

مدخل خامس



قرية آل بن صلاح



قرية الخلوه

الامتداد والرؤية الفلسفية لصوفية يافع:

بعد انهيار الحركة القرمطية في كافة الأنحاء اليمنية بدت وبشكل جلي الحركة الصوفية تبرز في مطلع القرن الرابع الهجري في اليمن متمكنة من الإرث القرمطي كبديل مقبول ولا أعني إنها أخذت كل المساوىء المأخوذة على القرامطة بل أنها عملت جادة على تطويع بعض المآخذ بما يلائم رؤية العقلية اليمنية (المطبعة قبلاً) وأبعدت منها كل الشوائب الإلحادية التي كانت قد علقت بها أيام القرامطة. وألبستها عباءة الصوفية لتصبح ملائمة لكل البؤساء العائدين إلى الله بعد قرن من الزمن ونيف من سنة (٢٨٤هـ) تحديدا. وعلى الرغم من أن صوفية الوجه الواحد لم تعد ممكنة. لاختلاف المناهج والمدارس والاتجاهات الفلسفية فيما بعد. إلا أن هناك من تراكب مع تلك المتغيرات وبدت فرقها منتشرة في المدن والوديان وأعالي الجبال. بعضها من مخلفات عهد الصليحيين وبني رسول والبعض الآخر من ورثة بني طاهر والعلويين والحضارم لاحقا والذين كانوا أقل حدة من الميول حيال الجوانب الفلسفية وأكثر تقربا إلى الغناء التهليلي و(الموالد) وبما وأن يافع كانت مسرحا وأرضاً لمثل تلك البذور ذات المنهجية. لذا فقد غدت متأثرة بالغ التأثير بحكم الجهل الضارب أطنابه وسلكت تتخذ في طرقها المنهجية:

المنهج الأول: المائلين حينها إلى مايسمى (أصحاب الحقيقة)[١].

(حقيقة الكينونة) كفلسفة (ميتافيزيقية) بحتة تتبنت منهج (الظاهر، والباطن).

والمنهج الثاني: بخصوصية حقيقة (الروح والغاية).

وقد سلكها الحايين الصوفية (العلويين)[٢] الحضارم متوشحين بنكهة الصالحين وروح الأولياء (أبي بكر بن سالم – أحمد بن علوان – العيدروس..) ومن الجدير

---

(١) أصحاب الحقيقة لاتتفق مع القرامطة لسببين الأول: القرامطة فرع شيعي وإن كانت مخالفة مع الاثنا عشر والزيدية. الثاني: ميولها إلى سنة الشوافع عملاً وهي أقرب إلى فرقة المعتزلة والأشعرية.

(٢) أصحاب الحقيقة لاتتفق مع القرامطة لسببين الأول: القرامطة فرع شيعي وإن كانت مخالفة مع الاثنا عشر والزيدية. الثاني: ميولها إلى سنة الشوافع عملاً وهي أقرب إلى فرقة المعتزلة والأشعرية.

ذكره من ان هذين المنهجين أو الاتجاهين يكادان على الالتقاء في طريق واحد يقال له (المتصوفة) حسب المفهوم الدارج عند اليمنيين واليوافع خاصة.

إلا أن المتصوفة المتحدرين من الفرع الفلسفي يتميزون بتسميات يطلقها عليهم عامة الناس، إذ يقال لهم (أصحاب الحقيقة) أو (الطريقة) وتعني الأولى حقيقة الوجود والثانية الطريقة في الوصول إلى هذه الحقيقة (أي بالفقه) وكذا بأنه قد يخيل للقاريء بأنهم أحد الفرق القرمطية بيد أن هذا لا أساس له من الصحة على أنف اشتراكهم ببعض الصفات القرمطية كالاعتقاد بأن لكل (ظاهر باطن).

ولعل الأخيرة جاءت منها تسمية (الباطنية) كما عرفت ببعض الأقطار العربية.

اما أصحاب الحقيقة فهم اقل حدة من القرامطة على الأقل مبدئياً وفلسفياً.

نشوء الصوفية في يافع (قوى العلويون الحضارم):

يعود تاريخ الصوفية إلى أيام مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ثم انتقالها إلى الخلفاء الراشدين زهداً وتقشفاً وتجلت مظاهر النزعة الصوفية تطفو أيام الخليفة الخامس (عمر بن عبد العزيز) وحلت كما سمت بصفوة الناس من البشر أشهرهم:

رابعة العدوية المتوفاة سنة ١٣٥هـ ومن منتصف نهاية القرن الخامس الهجري تحولت من اتجاه روحي إلى اتجاه فلسفي له مدارسه في الوطن العربي قاطبة.

وقد ظهرت في اليمن منذ بداية عهد دولة بني رسول وعرفت مدارسها في جبله وزبيد وتريم - والجند - وعدن... الخ.

وأضحى للمدارس مناهج ورؤى، واجتهد تعالج كافة الأمور الدينية ومتعلقاتها الفلسفية ولكم تخرج من تلك المدارس رواد كثر عرف منهم القضاة والفقهاء والمحدثين، فانتشروا في عموم اليمن، واستحدثوا المجالس ومواقع العلم كالمساجد والأربطة والحوط لايصال ما تعلموه إلى تلاميذهم. ومن أولئك المحدثين والفقهاء والقضاة برز اليوافع بعباءة صوفية ناصعة البياض تمسحها الزهد

والتقشف بعيدة كل البعد عن أي مطامح سياسية شأنهم في ذلك شأن قطاس الفقهاء المتمكنين من علم الحديث اشهرهم.

١ - قاضي قضاة صنعاء أبو بكر بن عبد الله بن ابراهيم اليافعي توفي سنة (٥٥٢هـ) الذي كان الملوك والأمراء لايردون له شفاعة.

٢ - عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (قطب الحرم المكي الملقب بعفيف الدين المولود في عدن (١٢٩٨م - ١٣٦٦م).

له مسجد في حوطة حضرموت وله مزار في حالين توفي في مكة ودفن في (المعلاة) وله ما يربو على عشرة مؤلفات، وكثير من المخطوطات.

٣ - الفقيه (رضي الدين) أبو بكر بن محمد بن اسلم القراع اليافعي عاش في القرن السابع الهجري وكان إماماً في النحو كتب (التسهيل) وشرحه لابن عقيل و(مغنى اللبيب) بخط يده وجمع كتاب (الموحد الجليل في بهجة الحاوي لابن الوردي.

٥ - الفقيه (عماد الدين) عيسى بن عمر اليافعي توفي في أواخر المائة الثامنة للهجرة كان مدرساً صالحاً ومفتياً وقاضياً.

٦ - الفقيه أبو حفص (عمر بن عيسى اليافعي) ولي القضاء في نهاية الدولة الرسولية وتوفي (٨٢٠هـ) خلفه ابنه عيسى المشار إليه.

٧ - أبو الوليد عبد الملك بن محمد بن ميسر اليافعي عارفاً بطرق رواية الحديث عرف بالشيخ الحافظ قير (بلندلوه) سنة ٤٩٢هـ. وهناك كثير من مشايخ الصوفية اليوافع لايسعني ذكرهم كان لهم الأثر البالغ في نشر الدين الاسلامي خارج قطر اليماني.

تأثير الصوفية في حياة المجتمع اليافعي :

منذ القرن السابع الهجري والدعوة الصوفية في تنامي مضطرد بين العامة في المجتمع اليافعي حتى كادت أن تجعل حياتهم مرتبطة (بمدد الأولياء) إلى درجة إنك ستجد في كل قرية مسجد وضع فيه قبر استبراك بالولي (فلان) وحددت الزيارات له للاستبراك. ولربما نرجعه في الأسباب إلى الخوف من المجهول وإلى رهبة الجبال والوديان في يافع من جهة ومن جهة أخرى لما نسج حول هذا الولي أو ذاك من خوارق تفوق التصور لأولئك المقطوعين في تلك النواحي والمرتفعات المخيفة و لله شان في أضعف خلقه.

وعلى الرغم من ضررها الغير مدروك في خصوصية التوحيد الالهي عند التوسل إلا أنها أعادت بعض النفع على (سيكلوجية) الفرد في الاستقرار النفسي وشعوره بالأمان والقوة في حال مواجهته للأخطار المحدقة به من كل صوب، فإنه كان يرى الصوفيون بأن الدعاة لله في الخير والشر وما التوسل إلا التشبه بالصالح أمام الله .

لذلك فقد تربى الإنسان اليافعي إلى عهد قريب على هذا الاعتقاد ولم يبرحه قط وظل تواق في مصاحبة الأولياء حتى تعاهد في القرن التاسع الهجري مع الولي الصالح أبو بكر بن سالم ولي عينات في تحصين يافع بما يسمى (الصروف) لأبعادها عما يهددها آنذاك من الأخطار ومنحت له بالمقابل (الطاعة) دون (الولاية) على أن يعطى له حصة (العشور) لمنتوج المحاصيل الزراعية في نهاية مواسم الحصاد فيطرح جانباً لايمس ولا يؤخذ حتى وإن وصلت حدود الفاقة والاحتياج أوجه لحين استلامه من قبل (السادة) الموكلين باستلامه.

ولقد قسمت مناطق الإثمار في يافع لورثة الأولياء بعد وفاتهم وأولئك الورثة يسخرونها لخدمة نشر العلم التصوفي وقراءة القرآن عبر أربطة مخصصة لذلك[1] و(حوط) في مناطق مختلفة من يافع وما حول يافع وخصصت النذور للقائمين على المساجد وقبور الأولياء .

[1] الأربطة مثل : رباط العبادي بلعبوس ورباط العبادي بأبهر ومثل : حوطة لحج .

ونتيجة لهذا التأثير تخرج الكثير من الشعراء الصوفية في منطقة يافع عبروا عن هذه الدعوة بقصائد صوفية أظهرت بعض من فلسفة التأمل عندهم ومعالجة الأمور بطريقة الروح والخلود مستبعدين المؤثرات الدنيوية فيما يحدسونه. كما أوجدت هذه الدعوة أفذاذ القادة الذين هم لايعيرون الموت إنتباهاً ثم شقوا طريقهم دفاعاً عن المستضعفين في الأراضي اليمنية وتهيأوا للصراع الذي لابد منه .

وتبين ذلك من تلبية يافع لاستغاثة بدر المردوف بهم، والمدفوع من سادة وشيوخ الصوفية التي رأت بأن معاقلها في حضرموت باتت في خطر داهم وخاصة بعد فرض حالة التشييع وإدخال (حيا على خير العمل) في الآذان للمناطق السنية الحضرمية.

وحسب الموروث فإن يافع سعت لإعادة الهيكلية للقيادة الصوفية وحققت ما راه (السادة العلويين) أتباع أبي بكر بن سالم في تثبيت الكيان الصوفي.

وهبت في استجابة المردوف والولي الصالح علي بن أبي بكر بن سالم وأرسلت ستة آلاف مقاتل من مناطق يافع لإزاحة مذهب الزيدية من مواقع الصوفية، بعد أن كادت تربع نحو البقاء الدائم مما جعل (الصوفية) تخرج من هذه الأزمة قوية إذ قادها التفكير الفعلي في الاستفادة من التجربة التي مدت بها وبدأت من وقتذاك في ترتيب أوضاعها وإعادة حساباتها بما يتلائم وأهدافها وطموحاتها في اليمن وخاصة بعد تدهور الأوضاع بين الأئمة إثر الهزائم المتلاحقة بهم وبالجيوش الإمامية من جراء طردها من المناطق الجنوبية ثم خطت الخطوات الآتية:

- الانتشار في المناطق المتاخمة حوطها وأربطتها الموزعة في كثير من الأرجاء اليمنية (شمالاً – جنوباً) كمرشدين ومصلحين وداعين للدعوة الصوفية الحضرمية.
- رص الصفوف وتوحيد القبائل في المناطق السنية أمام مد الزيدية والعمل على تحجيمها في مواقع النشوء إن أمكن ذلك.
- إعادة تقسيم مواقع الصوفية إلى محاور وأرداف ومكاتب[1] لدعم الحركة الصوفية قبلياً ثم تعيين واختيار وتزكية المشايخ والسادة والقادة في المخارج العسكرية.

[1] المكاتب طريقة حميرية (قائمة) جددتها الصوفية على أسس جمع المحاصيل والعشور

- إنشاء بيوت المال لتقسيم مناطق السنة إلى مقاطعات اقتصادية تدفع الزكاة والعشير والنذور إلى المكلفين من قبل أقطاب الصوفية. وإزاء هذا الترتيب في الأوضاع نرى بأنها خرجت من الإطار الديني إلى الإطار الإداري والتنظيمي والعسكري وأثبتت الدعوة الصوفية بأنها حركة قيادية لها دوافع سياسية مبطنة لاتقل عن دوافع الحركة الزيدية الظاهرة شيئاً وإن كانت تبدو أشد حذراً في مثل هذه الأمور عن قرينتها.

فهي لاتريد أن يغلب الطابع العسكري الكامن تحت لحاف الصوفية على منهجية تصرفاتها البيّنة أمام الملا بل تداري وتحين إتاحة الفرصة المواتية لتنقض على خصومها المذهبيين فجأة.

وإلا بماذا تعلل تقسيم المهام وتوزيع الأدوار منذ القديم وحتى يومنا بين أقطاب الصوفية ودعاتها !!

لقد عمدت الصوفية بيافع على إنشاء نظم دقيقة ترتقي إلى مستوى نظام الدولة منذ بداية القرن التاسع الهجري، واستطاعت أن تمثل الأعراف القبلية بما يخدم مصالحها، وإن وجدت فيما بينها أوتاد وروابط محكمة تجعل من اليسير توجيه دفة القارب البنيوي للمجتمع اليافعي في تلك الفترة الجهة التي تراها، بغية منشودة لأهدافها، وخلاصة القول :

لانخطىء إذا قلنا بأن يافع كانت بمثابة القاعدة العسكرية لأهل السلف (العلويين) (الصوفية) وهي التي أودت بلا شك رفع درجة التنظيم العسكري والإداري في مناطق يافع وأضحت تديره بشكل متواز مع القيادات القبلية لتحقيق ما تصبو إليه. لكن الأئمة أدركوا خطورة الصوفية .

ولهذا ظلوا يهاجمون مواقعها في المناطق الجنوبية سابقاً على أساس أنها إرث تاريخي ومخلفاً قرمطياً ولم يظهروا العنت الطائفي بشكل واضح لكي لايؤلبوا قبائل الجنوب عليهم بل استخدموا في وسائل هجوماتهم دعوة إسلامية وقومية يمنية أوقعت الكثير من القبائل آنذاك في فخها باستثناء يافع التي كانت على حذر شديد لتجربتها الطويلة. ولم تكن سهلة الاصطياد فغدت خصماً لدوداً ينبغي استدراجه مع المدى وهذا ما حدث وعلى الرغم من ذلك إلا أنها أوجدت قاعدة

استراتيجية عسكرية ظلت تقارع جيش الأئمة لفترة طويلة لم تساعدها الظروف على الصمود أمام مد الزيدية المتصاعد بوتائر تفوق كثيراً وتائر الصوفية .

وإن كانت تلك البنى في القواعد العسكرية للصوفية لازالت قائمة حسب النظم المعتادة في القديم ولم تتدلو بتغير الظروف .

وفي مضمارنا هذا نود الإشارة إلى بقايا وآثارها الماثلة في النظم العسكرية القبلية للمناطق اليافعية والتي كانت مكمن المواجهة في التصدي المرير لقرون خلت.



قرية عنز



قرية مسجد النور



قرية الجزبة

مدخل سادس



صومعة السعيدي



برج مراقبة

العسكرة اليافعية :

عرفت يافع عند المؤرخين بأنها (مرهوبة الجانب).. شديدة المراس.. الخ فلماذا قيل عنها هكذا؟!

نستطيع أن نلخص تلك الرهبة بما يلي :

١ – رجالها أشداء ذوي بأس لايهابون عظائم الأمور مهما بلغت .
٢ – جبالها منيعة، تضاريسها وعرة، ليست سهلة الاجتياز .
٣ – حصونها قلاع حربية يصعب اختراقها من أي غاز .
٤ – يملكون العدة والعتاد إذا ما فرض عليهم أمر واقع .

بهذه الخصال قيل عنها مرهوبة الجانب . إذ تصدت لأعتى الجيوش وكانت ملاذاً لكل مستجير من الأمراء والملوك والقادة على مر التاريخ للدويلات اليمنية وحتى اليوم .

مع كل ذلك رأت يافع الرهبة والمناعة لاتكفي لدحر الجيوش المنظمة من مهاجمتها.

إن لم يكن هناك تنظيم عسكري وإداري واقتصادي وقبلي فحري بها للبحث عن هيكلية تصون ذلك الكيان، وتجعله مترابط الأوصال والأطراف تحت لوائح ونظم ذات طابع قبلي ترجع في الأصول إلى العوائد والتقاليد اليافعية الأصلية المنشأ.

فكان أن أخرجت نظم توزيعية تضم وتعم منطقة يافع كاملة مبتدأة بالتقسيم الإداري الداخلي على أسس عسكري (مكاتب وأرداف) أو بمعنى أصح (محاور وألوية) ثم تقسيم وتوزيع المهام وتحميل كل مكتب جزءاً من مسؤولية الإدارة في السلم وأثناء الحرب .

وتحميله أيضاً ما يلحقه من تبعات (المخصم والمغرم) القبلي كذلك يعطي لكل شيخ مكتب جزءاً من فوائد (جباية العشور) بعد فصل عشر العشر للحبيب أبو بكر بن سالم ولي عينات .

نظام الجيش القبلي :

وعليه قسمت يافع كما أسلفنا إلى عشرة مكاتب وتعني بالمفهوم العسكري القبلي (عشرة ألوية) وكل مكتب إلى عدد من الكتائب.

إذا كانت قادرة على تعبئة خمسون ألف مقاتل إذا ما تطلب الأمر لذلك في فترة وجيزة من التحضيرات المنسقة بين يافع وحلفاؤها وكانت يافع عبارة عن ثلاثة (محاور) وفيالق عسكرية وهي (العلبي – الموسطة ، القاصدي) وكل محور كفيل بحماية حدود المواجهة بينه وبين من يسعى للعداء في زمن الصراع القبلي وما كانت لتترك أية ثغرة تمكن الآخرين والمعادين على اختراقها لا في زمن السلم ولا الحرب ولا حتى في خضم التناحرات القبلية فيما بين المكاتب عينها، مثالاً على ذلك ما قاله المترمل:

سلام يا حيد الفلاحي والجبل	من عاقل الى عشر ملم القبلقين
جينا بزهرة وأنت أحسن من قطف،	ولايفيد الفرك بين المكتبين:

وبذلك التقسيم المكتبي الجاري إتباعه كشكل إداري وعسكري منظم أظهر دراية غير عادية في فرز القرى والمكاتب وجعلها متداخلة بشكل دقيق يبعث على الدهشة وعندما تحرينا وجدنا القرى أيضاً متحوصلة داخل أطر حدودية تحددها علامات متفق عليها في الزمن القديم ومتعارف عليها قبلياً لايجرؤ أحد على الإخلال بأسسها المحيطة بالبناء المتداخل الأركان، ولذا فهي تعد بنية متكاملة وطوق عسكري شامخ.

ونتيجة لتنظيم الأرض بدت الحاجة ماسة لتنظيم فعلي لجيش القبائل اليافعية للدفاع عن تلك الأرض .

وقد لاحت بوادر ذلك التنظيم بعد سقوط ونهاية الدولة الطاهرية ودخول الأتراك عدن ولحج سنة ٩٥٢هـ.

لأنه في هذه الفترة شعر اليافعيون وهم الجند الأساسيون لبني طاهر بأن الخطر التركي سيطلهم بلا محالة إن هم تواني أو أهملوا في ترتيب وتسوية أوضاعها الداخلية على المستويين الإداري والعسكري على الأقل لإيقاف ذلك الزحف الذي عم المناطق اليمنية حينها .

وعندما طرد الجيش التركي سنة (١٠٤٥هـ) من اليمن بدأ الزيود المنتصرون وهم في عنفوان قوتهم يفكرون بتوسيع دائرة ممتلكاتهم ونفوذهم.

إلى المواقع التي كانت مع الأتراك في عدن ولحج وأبين ولكن هناك من سبقهم في الوصول إلى تلك المواقع منذ سنة ١٠٣٨هـ وباتوا يشكلون حواجز من العثرات التي ستحد من ذلك الامتداد التوسعي ومن تلك العثرات بروز الدولة أو الإمارة السليمانية اليافعية وكثرة القبائل اليافعية المتضامنة معها[1] .

فكيف السبيل إذن.. لاقتلاع تلك الإمارة الناشئة ومواجهة يافع؟! إنها السبب المباشر لأسباب الحروب، وتعد أول شرارة في الحروب الضروس التي دارت بين يافع والأئمة القاسمية فيما بعد:

وقد بدت الخصومة الزيدية ليافع منذ زوال الدويلات اليمنية عندما برز كخصم لدود لها لم يمكنها من فرصة التفرد كوريث لمخلفات تلك الدويلات الزائلة.

وهذا ما حدث !!.

أسباب الحروب :

١ – هيمنة قبلية من قبل الزيود تسعى لفرضها على يافع وحلفاؤها.

٢ – أسباب مذهبية (المذهب الزيدي – الصوفي) وما قبل حرب القرامطة.

٣ – أطماع اقتصادية كالأطماع مع حسين عبد القادر السليماني في عدن والاستيلاء على الثروات الخاصة بمملكة (عدن).

هنا يكون الفريقين المزمعين الحرب قد أعدا لها من الخطط والتموين ما يكفي لاستمرارها ردحاً من الوقت دون توقف على أكثر احتمال .

ويكون الفريقين قد جمعا من المعلومات عن بعضهما عبر (العيون) والجواسيس المرسلين من كلا الطرفين للاستطلاع. ويقال لهم بيافع (المراصدة) أخذت كلمة (رصد) عاصمة السعدي واشتقت من (الرصدة) وتساوي الآن ما يسمى بالاستطلاع عند الجيوش .

---

[1] المتضامنة معها في بداية التأسيس والظهور .

وهؤلاء الرصدة يستطلعون قدوم الجيش الغازي ليرون مقدار عدده وعدته وطريق إتجاهه، ومن هم قادته، وهم منتشرون على الأطراف المطلة وعندما تصل هذه الأخبار إلى يافع يتداعى السلاطين والمشايخ والعقال لتدارس الأمر برؤية (مشكلين مجمع قيادة) ثم يعدون الخطط السريعة للمواجهة ومن بينها تحديد واختيار مواقع القتال، والتموين وأعداد العدة والعتاد وتوزيع المهام بين المكاتب والأرداف وتشكيل عمل المحرضين بدءاً من الحقل يبدأ التحريض باستلهام التراث وتطبيقه. وإعادة الموروث وتطويعه لخدمة الحرب وتاريخ القبيلة باتجاهين متوازيين.

الاتجاه الأول :

يعد التراث موروثاً حقيقياً للتاريخ العام سواء للقبيلة أو الدولة ولايمكننا فصلهما عن بعضهما، لكون الموروث يترجم التاريخ (أفراحاً – وأتراحاً) إلى واقع معاش على مر العصور ومتجدد مع الأجيال.

مدركين أن الحروب جزءاً من التاريخ عند الشعوب يتغنون بها وبأمجادها، بحلوها ومرها على افتراض أن حلوها النصر ومرارتها ليست (الهزيمة) وحسب بل أشد وأنكى مرارتها كما يرويها موروث اليوافع على لسان الحميد بن منصور.

أول الحـــــرب حـــــالي	وتـــالي الحـــرب مــــراره
مرارتـــه قتـــل لجـــواد	وغـــــارة بعـــد غـــارة

كما وانهم يؤكدون من خلال استنطاق الموروث الشعبي والتاريخي ليافع بأنه إذا ما فرضت عليهم حرباً لايريدونها فإنهم يعدون العدة وكأنهم يعدون أدوات الحرث والزراعة مقارنة بما يرافق ذلك من جهد وقوة:

الحـــرب والعطلـــة أرداف	ومـــا تصلـــح إلاّ بـــالرداف[1]
بالعطلـــة اردف ســـحوبك	والحـــرب رادف لـــه أصفـــاف.

وعلى لسان الحميد يقولون:

البـــاطل اشـــلي[2] مـــن الحـــق	والحـــق لـــه يـــوم ثـــاني

---

[1] الأرداف : المضاعفة.

[2] اشلي : أخف وطأة .

هاتين المقولتين تبينا تأثير الموروث في توجيه دفة السياسة والحرب وحسن الاختيار إلى درجة اختيار الباطل لازاحة الباطل نفسه إذا ما حل بالمجتمع القبلي.

ومن هنا نستنتج مدى قوة الربط بين التاريخ والموروث على اسس كل منهما تأكيد الآخر .

وما تلك المقولات والتي لازالت تصدح في كل حقل عند المزارعين والفلاحين يمولون بها فما هي إلا دليل على عمق الرابطة الأزلية والمميزة بالنصح والإرشاد في وسائل الحرب وما يترتب عليها من مضاعفات حينذاك ولقد كانت بمثابة الرسائل التحريضية المتنقلة على تحفيز وتهيئة الإنسان اليافعي لمواجهة ما يقض مضجعه .

إذ كان لايهدأ له قرار على قبول ما تأتي به الدسائس من خارج إطاره دونما يكون قد تهيأ واستعد على المواجهة .

ولذا فقد كان الفلاح عسكرياً بالحقل وفي الميدان وهي صفة رسمت وطبعت الإنسان اليافعي الذي لم يكن لديه معسكر يتدرب فيه ولا حكومة يدين لها بالطاعة والولاء في أي زمن كان إلا نادراً

مما عزز في نفسه حب الحرية والولاء للقبيلة على طريقة عرفت (بالمخصم – والمغرم) عند القبائل.

وتعني له مالها وعليه ما عليها (خصم ، غرامة) في كل المحافل بما فيها المحفل العسكري الذي كان يتحمل عبء مصاريفه (الفرد ذاته).

ثم الأخذ بالاتجاه الثاني (تراث الفنون القبلية) لماله من تأثير فوري على مجرى التحريض والتحضير للحرب عبر الزوامل والقصائد الشعبية في المناسبات وغيرها من الأفراح والتي يستدعي توحيد وتوجيه الرأي وتأليبه على المواجهة في مضامينها حسبما يرسمه الشعراء تمشياً في الاتجاه العام للمنطقة .

الاتجاه الثاني :

التحريض على الحرب والتحضير لها :

وتكون بإثارة النعرة[1] القبلية كالآتي :

يعزز التهييج بتبادل القصائد والزوامل الشعبية بين الأطراف المقدمة على الصراع وتكون على مرحلتين الأولى تكبير حجم كل منهما لتهويل الآخر .

وتصغير العدو والمرحلة الثانية التفاخر بما حققه كل منهما ميدانياً كالانتصار مثلاً وبخصوص التهويل هناك مثالاً نقدمه كالزامل الآتي :

قال (بداع)[2] وأسيلة سُلب جاش   مااليوم ذي ما قط جاش

جاش أمر المكاتب كلها   ذي يتحدق على أبطان الحناش

❁❁❁

يالمصو حاطه بك أمورك لأونه   ما اليوم نجمك زال من بين النجوم

من يوم حاربت الدول والقبيلة   ولادريت إن القيامة بالقوم

وعندما تقرع طبول الحرب (المرافع) في كل مكتب من مكاتب يافع تدعو القادرين على الإنضمام للجيش القبلي بالمسارعة لتلبية نداء الواجب ويكون هذا (الداعي)[3] ملزماً قبلياً تروجه وتطلق له بعض الإشاعات تحث العزائم عند أبناء القبيلة ، وتشبه الحرب الإعلامية في عصرنا مع فارق في الأسلوب لما هو أهم في التوجيه :

فمثلاً تكون الإشاعة على النحو الآتي : أولئك أصحاب المذهب الخامسي[4] الرافضي (إنهم سيقاسمونكم دهنة البقرة) (وسيأخذون عشير الأولياء) وسيسبون نسوكم.. ولسان حالهم توجزه في هذا الزامل:

[1] النعرة: التعصب .

[2] بداع (باديهم) طريقة تحويل الهمزة إلى عين (حميرية).

[3] الداعي : دعوة الحرب .

[4] المذهب الخامس طريقة مبتكرة للرد على كلمة (زندقة) وتعني هنا المذهب الخامس الذي رفض المذاهب الأربعة بإضافة كلمة (رافضي)

الله يحمينا من احكام الدول   ذي لاحكم على الملك بايرجع سيل

والمام والخشان بالترجع قبل[1]   والضاحه[2] الهيماء بالترجع حيل[3]

وبالمقابل هناك احداث من الطرف الآخر إذ يشيعون خبر الجهاد العظيم ضد أولئك الزنادقة الخارجين على طاعة الإمام المارقين على ملة الإسلام ضد أولئك الذين هم أطوع من النعل إلى رجل أبي بكر بن سالم ولي عينات أولئك المشركون.

وهذا الأسلوب يعد جزءاً أساسياً في الحروب القديمة والتي عرفت فيما بعد بما يشبه نظرية جوبلز (اكذب ثم اكذب حتى يصدقوك الناس) منذ القديم سلكها مؤرخي الأئمة فارتكبوا خطأً فاحشاً بتصويرهم وتلفيقهم ألفاظاً نابية تبين اليوافع وكأنهم قرامطة معتبرين ذلك التدليس التاريخي حقيقة أقنعوا بها جنودهم على مدى التاريخ والحروب التي خاضوها مع يافع .

المخرج : وبعد التحريض يصبح الجيش القبلي مهيئاً للخروج على مواجهة العدو القادم .

ونستشهد على ذلك بقول الشاعر القايد السلطان سيف العفيفي :

أنا الذي لاقد عزمت المخرج   جاءت جنودي من عدن للسرين

على خويل اشقر مليح أسرّج   لحيف القامه رشيق الجطين

ثم يتقدمون إلى أطراف الحدود حاملين البيارق تتقدمهم المرافع وهم يسيرون زواملاً ويهزون بطولاتهم ومواضيهم الناصعة ثم ينتشرون لبناء المواقع والتحصينات في المنافذ المؤدية إلى يافع والأكثر احتمالاً كثكنات للبقاء حتى ظهور الخصم الغازي .

[1] ذليلة خاضعة .

[2] الضاحة : الجبل المرتفع .

[3] حيل : إملعب مباح.

ملاحظ : اشتهر وعرف من طبول الحرب (طبل النحاس في القارم).

وقد لايظهر الخصم من الموقع الأكثر احتمالاً تموهاً طريق (الحرب خدعة) لكن اليوافع يكونون قد وضعوا ذلك بعين الاعتبار مدركين فنون الحرب كما حدث في حرب خرفة (حالمين) وخرفة (خلاقه).

وعندما أوعز الإمام وقادته بأنهم سيخرجون من ناحية قعطبة فتجمع عدد كبير منهم وجيشوا هناك أظهروا بأنهم سيهجمون من هذه الجهة أيهاماً وحيلولة لكن عامر بن صالح قايد الجيش الإمامي تاق على مفاجئة يافع من جهة (خرفة خلاقه) وكان اليوافع قد تحسبوا لمثل تلك الحيلة ووضعوا قوة عسكرية لايستهان بها ألحقت بالجيش الإمامي هزيمة منكرة سنة ١١٠٢هـ في هذا الموقع وما كانت لتحدث تلك الهزيمة لولا بطولات الرصّادة المترقين ظهور الخصم والمستطلعين لحركات الجيوش الإمامية مع القائمين بمهمة إشعال النار وإضرامها في مواقع الإرسال والمراقبة لإيصال الخبر إلى كافة المناطق اليافعية بما فيها الوديان (والسيّل) عبر ما سمي بروج المراقبة (النوب – والحصون)[1] والتي يعتاد المناوبون البقاء فيها في السلم والحرب، وهذه البروج لا زالت قائمة وبكثرة على مشارف التلال وقمم الجبال تؤكد أهمية الاستطلاع والمراقبة عند اليوافع ودورها في احتواء المفاجئة وأساليب الخداع المتبعة في الحروب.

توقيت ساعة الحرب وانتزاع المبادرة:

ما كان ليكون توقيت الحرب مختاراً ليافع بل يترك ذلك الخصم المهاجم وغالباً ما يوقت أيام الانتهاء من مواسم الحصاد الزراعي، وقلة الأمطار حتى لايكون عائقين أمام الجيوش القبلية.

ومع كل ذلك كانت يافع تمتلك القدرة على انتزاع المبادرة في اختيار الوقت المناسب من العدو، وتباغته مستخدمة عنصر المفاجئة وخداع الحرب. كأسلوب عسكري بحت تطبعت به القبائل اليافعية من خلال تجاربهم العديدة في ميادين القتال ومع هذا فهي لاتخضع للصرامة المعهودة عسكرياً ولا للمركزية بل تتساور

[1] عرفت حصون قديمة في يافع السرو ذكرها الهمداني، ص ١٥٦ مثل (القبل – والقصر – وحصن البيضاء – والقجيرة هذه ملك الشيخ ثمر ذا داد بلد السرو (يافع).

مع الطابع القبلي بطريقة (الكر والفر) والغارة المباغتة بحيث لاتخرج عن الخطة الشاملة بالطريقة الآتية :

(الظهي) رأس الحرب – القلب (الموسطة) – الجناحان – الساقان – القدم – الرأس – الصدر (كبد) – ذراعان – الأرداف – المؤخرة – ميمنة – ميسرة.

وهذا إن دل فإنما يدل على أن اليوافع وحلفاؤهم كانوا يدركون خطط التكتيك العسكري، توارثوه قبلياً وأجادوه إجادة تامة، ونقلوه للأجيال.

توزيع القيادة : وغالباً ما كان يتخذ موقع (العُر) كقلب تدار من سفوحه عجلة القيادة ميدانياً بحكم إشرافه على المناطق الحدودية المحايدة للأئمة القاسميين ونظراً للأهمية فقد ضرب فيه المثل:

(لا عُر باقي ليافع بالوجود) ولذا فقد كانت تسند القيادة العليا إلى السلاطين ولمشايخ المكاتب والقيادات الميدانية، وإلى من عرفوا بالشجاعة من كل مكتب على حدة لخلق التنافس بين كتائب المكاتب.

التموين :

كان ذا ثلاث شعب : ١ – ذخيرة – ٢ ماء – ٣ غذاء ويسمونه (زاد وزواد) فبالنسبة للذخيرة كانت تعد مسبقاً بأوزان محسوبة كالآتي:

أربعة أخماس ملح + خمس كبريت + فحم بأي نسبة من شجرة (العَشر).

وطرق تحضيرها المتبعة آنذاك تستخرج من الموارد المحلية وقد يتخذ من الكبريت السدس لزيادة دفع الرصاص .

وكان اليوافع يميلون إلى العناية بجودة باروتهم إذ أنهم يفضلونه ذا لون رمادي مائل للبياض وفي حال أن يكون أسود فذلك يعني رداءات البارود. ومن انه سيكون كثير الدخان .

بالنسبة للماء أعدت مسبقاً (السقايات) و(المواجل) على طول خطوط التموين المؤدية لجبهات القتال وهي عبارة عن أحواض تستقبل مياه الأمطار من مصادر تغذيتها فتكون مقسمة حسب الاحتياجات: للشرب – للاستحمام والصلاة والغسيل لشرب الحيوان (القراش والماشية).

ومن ناحية ثانية ما كان نيكتفي بذلك بل كانوا يعسكرون بجانب آبار المياه تنقله إليهم النساء[1] المشاركات في تموين الجيش القبلي، أو بجوار مجرى مائي (كالعسكرية) بجانب وادي بناء .

الغذاء ذا احتمالين :

١ – قصير الأجل في الحروب القصيرة ٢ – طويل الأجل في الحروب الطويلة ففي الحروب القصيرة كان الجندي القبلي يتزود بتموينه بكل شيء كالمثي[2] – والرصاص – والكفن – والبقسه (الكسرة) أو القرص من الخبز المجفف اليابس لكي يقتات منه كل يوم قد تصل للأسبوع خلف متراسة (المحجي) فإذا ما طالت الحرب يتعاون الأهالي كلاً يطبخ من عنده وحسب مقدرته ليسدوا النقص الذي قد يطرأ للإطالة إلى درجة حسب قول الأولين إنه يصلهم حاراً، وكانت قرية)(مرفد) تقوم بكثير من الخدمات التموينية لذا سميت هكذا من كلمة (الرفد) و(الرفادة).

والغذاء لايعني الوجبة المتكاملة من مجاميعها إزالة لما قد يتبادر في الذهن من فهم خاطيء، وكذلك أنه يعني في القديم وجبة من الحبوب ومشتقاته على أكثر حال.

والقمح بهذا المعنى يعتبر العنصر الرئيسي في الغذاء، لذا فقد أتقن اليافعيون وتوارثوا طرق خزنة[3] وجعلوا منه احتياطاً دائماً في كل الظروف لكونهم بعيدون عن البحر ومحاصرون في الجبال ومعرضون (للجفاف – ومفاجئة الحروب) في الوقت الذي جعلوه احتياطياً لاينضب فإنهم ليسوا اقطاعيون ولا ملاك أراضي وإنتاجهم لايكاد يفي بحاجتهم، لكنهم توسعوا بطرق الخزن

[1] النساء اليافعيات شاركن في القتال وأشهرهن نور الخيفي وكن يقفن جنباً إلى جنب مع الرجل وغالباً ما كان يتكفلن بنقل الماء والغذاء إلى الرجال في ساحة الوغى .

[2] المثي: كيس يدخل فيه الجندي عند النوم (لصد البرد).

[3] كثرة المدافن بهذه القرية لقربها من عاصمة يافع (مسجد النور) آنذاك ومركز الدولة القديمة جنبها، ويعني هذا الوزن أي تجمع بالغذاء من هذه القرية (خزانة الدولة).

وانتشرت المدافن، ففي القلعة (القفنة) وحدها ما يربوا على الثلاثمائة مدفن لازال بعضها موجود حتى اليوم.

التحصين :

خلال أربعمائة سنة ونيف مضت كانت الحرب نارية فيها تستخدم آلة البندقية كأداة رئيسية ومن خلالها تحسم الحرب بنصر أو بهزيمة لصالح الطرف المتمكن من هذه الآلة .

فكانت تبدأ بحرب مواقع أعدت لهذا الأسلوب (المحاجي[1] – وحفر الخنادق) والصوامع واستخدمت الحصون والجبال الشاهقة كمتارس (آمنة وحصينة) وهذه الشواهد أيضاً لازالت آثارها ماثلة بجبل (الفَر) بما يسمى المحاجي أي متارس الحرب يختبيء خلفها المقاتل حتى تقادم الجيوش وتتقارب ليصبح الخروج عندئذ أمر في غاية الأهمية .

الدخيل :

ويفرض نوع آخر من الحروب يسمونه الدخيل عندما تحتدم المعارك وتتداخل الجيوش وبما يسمى (الالتحام) في المنطق العسكري وتطلق عندئذ بعض الزواجير والأهازيج الشعرية تثير حماس المتداخلين في القتال مثل:

وآمـــلامي يصـــل   مـــن قبـــل عانـــا توصـــل
مـــن رحيـــف النصـــل   لاحيـــث طلّـــع غبـــاره
مـــاتحوا مـــا نصـــر   مـــن جيـــش قـــاتل وتصـــر
عـــد ذاك الوصـــر[2]   مكريـــب يلصـــي بنـــاره

[1] المحاجي : المتارس الحجرية وكلمة تحجي أي تترس .

الحصون: حصن العيهي – حصن حير – حصن كليب – قرية الحصن – حصن جهور.

[2] الوصر: الدائرة المبنة من الحجر وغالباً ما تسمى الأوصار موقعاً لدرس الغلالة من القمح.

وآخر :

شـــده بـــرده والعـــول[1] رده   من ما حضر بين أخوته مغبون

لانـــزره الهرتيـــه[2] وامتـــنه   وانضاق فيها الجر والكيسون

ففي هذا الجو المكفهر والممزوج بالنساء المخضبة بين الملتحمين في ساحة الوغى، لايسعف المقاتلون فرصة تعمير بنادقهم بل يكون السلاح الأبيض (كالنمشة – والسيف والجنبيه – والحربة)[3] وسيلة رحى المعركة بها يستطيع المرء إظهار شجاعته وشدة مراسه: وصبره وجلده حتى يحقق النصر لبني قومه وقبيلته .

وهي سمة عرفت برجال يافع من قديم الزمان مكنتهم من خوض عدة حروب في آن واحد دون تقهقر: وأظهرت شرف القبيلة اليافعية وعزتها في مثل هذه المواقع، مثلاً على ذلك ما سنه العرف اعترافاً بحجم التضحية بأن أقر أول (برعة لصاحب حبه)[4] و(قرش بن قايد)[5] على كل مولود وزواجه وهاتين المكافئتين منحتا بإجماع المكاتب لمن تميز في الحروب وهي سابقة لم تعرف في مجتمع عدا المجتمع اليافعي .

مكاسب الحروب: بقدر ما تكون مكاسب الحرب عند (المنتصر) تكون خسائراً عند المهزوم، فإذا ما أعلن المهزوم استسلامه يفرض المنتصر شروطه كما حدث بمعركة الدرب سنة ١١٠٤هـ .

عندما تعاهد يافع مع الرصاص على حرب الإمام وتحرير (الزاهر) البيضاء من جيش الإمام: وتم لهم النصر بمطاردة جيش الإمام حتى نجد الجاح وإقام الإحاطة

---

[1] العول : مجموعة الرجال الأشداء المقاتلين ويقال للصغار أيضاً عويلة .

[2] الهرتيه : نوع من البنادق ذكره سيأتي .

[3] الحربة : نصلة متصلة بعود وقد يكون العود طويلاً تصبح رمحاً .

[4] برعة صاحب حبه أول برعا في كل المناسبات والحافل الشعبية ولازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر.

[5] قرش بن قايد: كان يعطى لبن قايد على عمل قام به أجداده وقد انقطع بدخول الجبهة القومية سنة ١٩٦٧م لمنطقة يافع .

بجيشه الهارب من كل حدب وصوب ثم اضطره أن يسلم نفسه على أن يخلى سبيله وترك كل ما لديه من أعتدة ومؤن وغيرها من الخيول كمكاسب حرب.

ومما قيل في الزوامل حينها .

تعـز خلذاهـــا وخلنـــا قعطبـــه   واب والراحـــه ونجـــد الجـــاح

ويريـم خلذاهـا وخلنـا مابهـــا   وأنتم بهـا وأمـــى لســمر مبـاح

ويأتي دور (قصاقصي الأثر) في المطاردة النهائية لفلول الجيش المهزوم وتصفية الجيوب المتبقية في الوديان والجبال وحول ميدان المعركة.

الغنائم :

وفي القديم الغابر وأيام الدولة السبائية ما كان ليكفي المنتصر بغنائم الجيش بل يتعدى ذلك إلى السبي والنهب (النساء – الماشية) وإتلاف المزروعات وحرق المحاصيل وردم الآبار ودك الحصون والمعابد وفرض الأتاوة وتعذيب الأسرى وقتلهم حتى الموت كما أشارت (مساند النصر) إنما يافع أخذت من تصوير (كرب إل وتر) المبالغ فيه عند اقتحام (دهس يافع) وإن كنا لانثق بذلك التصوير لكون المرجعية مشوبة بوتائر العصب الأعمى في سرد تاريخ انتصارات القائد السبائي متشياً هزيمته وهذا لايقارن بما جرت عليه الأعراف القبلية المتوارثة عند اليوافع والتي لاترى في المكاسب أو الغنائم غاية تسعى إليها بل كانت غايتها أسمى فهي إما أن تدافع عن مستجير أو تعيد حق لمظلوم (ربيح) سلبت منه ممتلكاته وطرد من دياره عنوة.

كما وإنها لاتنفك تذود عن حماها وكيانها من الاعتداءات المتكررة عبر التاريخ، وتتعدى لأولئك الحالمين ببلوغ المرام في حكم اليمن .

نوعية السلاح المستخدم في الحروب :

قال الذي من فوق بيضاء تسرج
صفراء عجيبة طالعة للسعدين
أنا المسمى بارق لعمج
سيف الحيفة مقشط ذو حدين

هذه الأبيات التاريخية تبين الاعتزاز بالنفس وبالسلاح.

فيما سبق من الزمن وبالتحديد ما قبل القرن العاشر الهجري كان اليوافع يستخدمون (النماش) والسيوف عند الاحتكاك، ويستخدمون الرماح الطويلة لإسقاط الخيالة، وقيل أنهم استخدموا النبالة وكذلك الحجارة في رميها بالمقلاع وكثير من الأدوات الحديدية حينها كالفؤوس والسكاكين حتى أدخل الأتراك نظام البندقية في اليمن، وانقلبت تلك النقلة النوعية في استخدام السلاح إلى يافع. وقد برع اليوافع بمتابعة الحصول عليه أولاً بأول وتباهوا به وباقتنائه وعند الضرورة لابد منه. ولم يعرف أن نزع السلاح من اليوافع غير مرة واحدة عند دخول الزيود ليافع عندما جعلوا العشرة من السكان على (شقرة) يذبح بها ويعلق كل بدوره حتى تحرروا سنة (١٠٩٢هـ) و(١٦٧٢م) وقد ورد ذكر السلاح كثيراً بأشعارهم وتغنوا به وبأنواعه وتغالوا به ولعاً على إمتلاكه ومما قيل في ذلك الولع :

وبندق رومي مظفر مدعج   مكتوب برسمه دقيق الحلسين(١)
وعتة صفراء وقفل ملحج   ومذخر أعوج عرقي بوقرنين

---

(١) انظر الرسم في مواصفات البندق الرومي.
الحلسين : الماسورة.

يا نعوة تشدي لبن عسكر علي   ولاّ تقاديش الجرامل(١) والفروت
ونعوه تقدة وأهلها كلاً شرد   والحرب تلي بالشوارع والبيوت
وآسلام الإلف قال الصلاحي   وأمه (الشرفه) تذخ ذليح

❁

ساحل أبين كان لبن العفيفي   عار يافع لاطرح به صحيح
شده بيرده والعول رده   من ما حضر بين أخوته مغبون

❁

لاتزره الحرتيه وأمتده   والضاق فيها الجر والكبرون
هده بهده والعول رده   ذي ما حضر بين أخوته مقهور

❁

يهوين على ذي يكسب العدة   لاتقابله بشلي وبونا ظور
يا مرحباً بذي ولهتوا عندنا   وما كظمت عوجاء الكراسي من شراب

❁

والدور به والشوامخ رحبه   رحب بكم مولى لقارين الصلاب
يا مرسلي قل لبن عثمان ويش أنت   صاقد مناولة وأكدوه

❁

عادها بيد مولى فوق سبع شدائد   ما هي برفل وعود
ياشيخ سالم كلم العاقل بذي سلب   من صنعة أمريكا

❁

ما عاد ليا الصوبه وبومحقن   ذي ما دريتا كيف تحريكه

بعد هذه النماذج من الزوامل لإظهار أهمية السلاح نرى بأنها كانت ولازالت بمستوى تلك الأهمية عند القبائل واليافعية منها على وجه الخصوص.

لقد عرفنا أقدم وثيقة بيع وشراء ذلك السلاح ترجع بتاريخها إلى سنة ١١٠٠هـ عندما بيع بندق (فطير) نوعاً من أبو فتيلة بمبلغ خيالي يقدر آنذاك بثلاث مئة قرش لربما قروش عثمانية .

ومن خلال هذا العرض البسيط نستطيع تصنيف السلاح حسب تاريخ استعماله كالآتي :

---

(١) قلت جرامل ، وقلت مازر .

١ – أبو فتيلة عربي　　　٢ – قطير

٣ – ريفيل　　　٤ – فرنساوي (أبو مسكه وأبو مسكين)[٢]

٥ – جرمل　　　٦ – هارلي (عوبته وعوبتين)

٧ – ميزر[١]　　　٨ – ققشي

٩ – سلطاني + صوبه[٣]　　　١٠ – عيلمان مضلع

١١ – شرفاء[٣]　　　١٢ – كنده

١٣ – توماتيك أبو ماسورتين أمريكي من الحرب العالمية الثانية .



١– أجزاء البندق (نصري)

(أنواع الأسلحة) أخذت من كتاب الأدب المحقق في معتبرات البندقية

---

[٢] دخل سنة ١٨٨٠ م عبر جيبوتي افضلة فرنسياً .

[١] دخل سنة ١٨٧٤م مع الجرمل الألماني .

[٣] صوبة وسلطاني وشيخان صناعة تركية دخلت أثناء احتلال الأتراك الثاني لليمن .

[٣] شرفاء ويسمونها (بوعشب) صنع انجليزي دخلت أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية.

مدخل سابع



وثيقة شراء بندق اسمه (فطير)

صراع الدويلات مابعد الدولة القرمطية مع حركة الدعوة الزيدية[١]

وبعد سقوط الدولة القرمطيـة لم يخل الجـو للحركـة الزيديـة بـالانفراد، فقـد ظهرت على أثر ذلك دولة الصليحيون، والتي اخذت على عاتقها مقارعة الحركة الزيدية وتحجيمها في صعدة. ثم تولت بعد ذلك دولة بني رسول، وكذلك دولة بني طاهر ثم الأتراك وعند الإنسحاب التركي تحول الصـراع بين الزيديـة ويـافع يأخذ مجرى المواجهة المذهبية. استمرت ردحاً طويلاً من الزمـن. فقـد من خلاف الجانبين كثيراً من القتلى بل الآلاف على مدى مراحل الصراع .

لكننا وقبل التطرق إلى ذلك الصـراع، علينـا استبيان علاقـة يـافع مـع تلـك الدويلات الناشئة .

[١] نسبت الدولة الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومؤسسها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين القاسم والمشهور بلقب (الرس) نسبة إلى جبال الرس بالحجاز ولد عام ٢٤٥هـ - ٨٥٩م وتوفي ٢٩٨هـ ٩١٠ م في صعدة .

تفاعل أهل يافع مع الدويلات اليمنية:

١ – الدولة الصليحية : ٢٦٨هـ – ٦٢٦هـ

كان من ابرز دعاتها الأمير عبد الله ابن معاذة ((المسية من بنات علي بن فضل الحميري اليافعي. وقد كان ذلك الأمير من أشد المتحمسين للعزيز الفاطمي راغباً على إصلاح ما أفسده جده مع الفاطميين .

وعند الإطلاع على تاريخ هذه الدولة ستجد بأنها ملكت اليمن قاطبة ووصل تاثيرها إلى مكة. وقد استفادت من أخطاء الدولة القرمطية، وسارت بهذه الدولة سيراً صحيحاً جنبها كثير من المزالق والهفوات السياسية والدينية على حدٍ سواء.

ودور يافع في تأسيس هذه الدولة تبين لنا من وقوف الحميريين ومناصرة دعوة الصليحيين في حراز وفي مشاركتهم الفعالة في الحروب والتي أرست دعائم هذه الدولة بدءاً بمعركة (الصوف – نجد الجاح – والفرابة – وتهامة) وغيرها من المعارك، وهذه الدولة هي بلا شك إرثٌ قرمطياً مع تصحيح المسار ونحن عرفنا من دراسة الحركة القرمطية بأن اليوافع كانوا من أشد أنصارها، وهذا ما يستدعينا إلى الإجزام بأن دور اليوافع في هذه الدولة لايقل شأنا عن سابقتها .

بدليل داعيتها، والوقوف الحميري في تأييدها.

في عهد بني رسول : سنة ٦٢٦ – ٨٥٨هـ

آلت الأمور إلى بني رسول بعد انهيار الدولة الأيوبية[1] في اليمن وقوية شوكة بني رسول بمساعدة القبائل اليافعية وعلى الرغم من طول فترة حكمها إلى أنها واجهت مصاعب جمة في استقرار الأوضاع اليمنية وترجع أسبابها إلى اضطراب الأوضاع الأسرية لهذه الدولة فقد نشب بينهم صراع حاد على مراكز النفوذ

[1] بنو أيوب حكموا اليمن من سنة ٥٧١هـ إلى سنة ٦٢٥هـ وكانوا يبعون ملوك مصر «اليمن الكبرى ص ٢٦٧ – ٢٦٨» .

والسلطة مما جعلهم بين فكي كماشة لقبيلة «آل أحمد[1]» وقبيلة كلد» فهاتين القبيلتين ملكتا عدن حتى نهاية زمن الدولة الطاهرية (٩٥٨هـ) .

وكانتا تلك القبيلتين تعطيان عدن لمن تشاء أو في حال اختلافهما كانتا تبحثان عن مناصر ضد بعضهما، وهذا ما حدا ببني رسول عند الاختلاف لاستنجاد بعضهما ضد بعض وقد تبين دور تلك القبيلتين جلياً في زمن ابن الدويدار حينما كان والياً على لحج وأبين وخادماً للمؤيد بن المظفر ثم وليهما لابنه المجاهد علي ابن المؤيد .

وفي شهر شعبان من سنة ٧٢٢هـ لم يرض الدويدار بوضعيته فخالف على المجاهد في لحج وأبين وخطب بهما للظاهر بن المنصور ثم لم يكتف ابن الدويدار بالخطبة بل سار إلى عدن فأخذها للظاهر باعانة بعض المرتبين من يافع بعد حصار دام عشرون يوماً. وكان الأمير حسن بن علي الحلبي والياً على عدن عندما قبض عليه وبعثه للظاهر (بالدملوه) إلا أنه أبقى على حياته وهذا بطبيعة الحال أزعل ابن الدويدار مما جعله يعيد النظر فيحاول امتلاك عدن لنفسه. وعندما هب لحصار عدن، عمد الظاهر على مراوقته وأشار عليه بالصلح .

ولكنه خدع بالصلح مع الظاهر فقتله عند استضافته.

أما اخيه فقد هرب إلى لحج فجهز ابن الصليحي جيشاً، وقبض لحج للظاهر مرة ثانية حتى قدوم المجاهد من تعز وفي شهر جماد الآخر من نفس السنة. خرج الظاهر عبد الله بن أيوب ومن معه طريق «الخبت» أي الصحراء .

وكان قد سبقه الإمام محمد بن مطهر وابن الأسد في مائتي فارس متخذين طريق (صهيب) في الوصول.

فلاقاهما المجاهد (علي بن داوود بن رسول) في جهة (جرانج) وهزمهم وفر الظاهر إلى حصن (السمعدان) في الدملوه[2] .

وكما أشار بالخزرجي من أنه في السادس والعشرين من رمضان لنفس السنة قصد المجاهد عدن وأقام معسكراً (بالاخبه) أي (بير أحمد) وكان عسكر عدن

[1] قبلة كلد يافع وقبلة آل أحمد منها فرع يافع وجزء منها بجيشان بودية.

[2] خفاليت: العسكر المتلقين للحصون ومفرده (خفلوت) مأخوذة من اللغة التركية.

يخرجون لقتال المجاهد باستمرار ودون انقطاع فكانت الحرب بينهم سجالاً. حاول المجاهد مراراً دخول عدن إلا أنه فشل نتيجة وقوف الأهالي مع جند الظاهر في الدفاع عنها .

إلا أن المجاهد لم يفقد الحيلة، ولم ييأس، ونظراً لتملك يافع لثغور الحراسة فقد حاول الاتصال بهم وبرؤسائهم سراً كما فعل ابن عمه الظاهر فاتصل بالمعارضين للظاهر وعندما تم الاتفاق مع عسكر يافع ورؤسائهم (أي المعارضين للظاهر) قرر الدخول إلى عدن بمساعدتهم في ٢٣ من صفر سنة ٧٢٨هـ.

وذلك بعد إصطحاب اليافعين مجموعة من عسكر المجاهد (شفاليت)[1] وأطلعوهم إلى حصن (التعكر)[2] في جبل حديد ليلاً لكي يكونوا خطوطاً متقدمة يربكون بها قوات الظاهر في عدن من الخلف .

وعند اشتداد المعارك. كانت هذه الخطة ناجحة ومحكمة تدابيرها بشروط أهل يافع «المعارضين للظاهر» مع المجاهد وتمكنوه من دخول عدن بعد فشل عسكر الظاهر في حماية بواباتها الرئيسية نتيجة خروجهم للعراك مع المجاهد كالعادة.

وقد حدثت الفوضى والإرباك في صفوف الظاهر عندما بدت الحامية اليافعية مع عسكر المجاهد من خلفهم، فهيأوا فرصة دخول المفضل من المجاهد إلى عدن ظهراً يوم الخميس، وظل المجاهد خارجاً حتى ليلة الجمعة ٢٤م صفر حيث دخل وحينها أمر بشنق الوالي والناظر حنقها وأقام بها سنة ولي بعدها على عدن الأمير حسن الحلبي مرة ثانية وهكذا استطاع المجاهد أن يستعيد عدن وأن يثبت حكمه بمساعدة يافع. وفي الأيام الأخيرة لحكم بني رسول «أيام المسعود المشؤم»[3] .

في تلك الفترة عمت الفوضى و الاضطرابات وأضحت تسود مدينة عدن بسبب النزاع الدائر بين قبيلتي «كلد وآل أحمد» اليافعيين، واللتين كانتا تملكان

[1] شفاليت : العسكر المسلحين للحصون ومفرده (شفلوت) مأخوذة من اللغة التركية.

[2] حصن التعكر : ربما جاءت التسمية من كلمة (عكر) أي الأكاليل الذي يمتد منه مصورة البنادق ومنها كلمة (عكور) أي الدخان وتعني على وزنها كلمة التعكر بتشديد (الكاف) أي المتترس خلف الجدران ذات الأكاليل.

[3] مشؤوم مقارنة بالموسس المسعود الأول .

زمام الأمور في المدينة، عندما تداخلت أدوارهما للحصول على امتيازات أكبر فيما بينهما، إذ كان يقوم آل أحمد بحراسة المدينة «عدن» وحراسة أسوارها وحصونها على الجبال ومداخلها الرئيسية، ويقوم آل كلد في نفس الوقت بدور الشرطة داخل المدينة وحفظ الأمن وجمع الضرائب من التجار وعلى التجارة المتداولة والوقوف إلى جانب المسعود بانحياز تام .

وهنا نلاحظ بأن هاتين القبيلتين حلتا مكان السلطة بل هما السلطة بذاتها وإفادتنا مصادر التاريخ من أن الملك المسعود أضحى مصلحاً بين القبيلتين فإذا ما اشتد النزاع يتدخل لفضه وفي الآونة الأخيرة لتداعي حكمه، وانفلات زمام الأمور من بين يديه لم يعد يستطيع فض أي شجار أو نزاع يحدث بينهما، حتى أنه في ذات مرة حاول التدخل لفض شجار حدث بينهما .

فلم يستطع إيقاف ذلك الشجار، بل وصل الحد إلى ضرب جنوده أمام عينه. ونظراً لفشله في حسم الأمور، تشجع بنو طاهر على اغتنام الفرصة للاستيلاء على عدن.

الدولة الطاهرية (٨٥٨هـ - ١٤٥٤م)

وكما رأينا فإن الخلاف بين القبيلتين كان في أوجه مما دفع بالطاهريين على مقاتلة الملك المسعود (صلاح الدين بن الأشرف بن الناصر) ومحاولة الاتصال بآل أحمد خصم المسعود اللدود ومنافس آل كلد والاتفاق معهم في كيفية الدخول.

وعندما التقى الوفدان ليلاً رتبا خطة الدخول وبسرية تامة مقابل الحصول على ميزات هي الآتي: وفي حال الانتصار:

١ – الإبقاء على آل أحمد في حراسة ثغور وأسوار عدن .

٢ – منحهم ضرائب عدن كاملة والتي كانت تخص آل كلد.

٣ – طرد آل كلد من عدن تماماً.

وقد كان ذلك الالتقاء عند قدوم بنو طاهر لحصار عدن من حاضرتهم (المقرانة) ونصبوا معسكرهم قريباً من عدن.

وفي اليوم الموعود والمتفق عليه خرج المجاهد علي بن طاهر بن معوضة وأخيه الظاهر عامر بن طاهر؛ ثم تقدم المجاهد مع بعض العسكر ليلاً إلى عرض الجبل، وصعد بهم إلى أعلى السور الممتد فوقه.

ودخل المدينة[1] ليلة الثالث والعشرين من شهر رجب من سنة ٨٥٨هـ حدث ذلك وهزم المسعود وجيشه نتيجة للخلل الاستراتيجي من قبل آل أحمد، مما اضطر آل كلد للهروب مع الملك المسعود إلى حاضرتهم قرية (خنفر) ومن ثم اخراجه إلى زبيد ثم إلى مكة ورجوعه مصر. وبهذا يكون اليمنيون قد تخلصوا من آخر سلطة غير يمنية.

وتمكن بنو طاهر (يمنية صرفة) من بسط نفوذهم على عدن، وعلى المناطق المجاورة؛ وعندما استتبت لهم الأمور بدأوا ينفذون بنود الاتفاق مع آل أحمد وأولها كان أن أمروا بطرد آل كلد، وأعطوا انذاراً لمدة ثلاثة أيام بالخروج من عدن مع عوائلهم أو ينكل بهم بعد هذا الإنذار.

وكان النزوح عن طريق البحر نحو الشحر وحضرموت وافريقيا وعن طريق البر باتجاه يافع على رأسهم الشيخ بن سليمان السنيدي اليافعي.

فأما الذين ذهبوا نحو يافع فقد شكلوا قوة معارضة وتمرد عن طاعة بنو طاهر، بل ان بعضاً منهم اتشق مع الأمير عبد الباقي بن محمد بن طاهر وحاول أن يحتل عدن إذ اجتمع الناقمين على حكم بني طاهر فجمعوا مؤيديهم وتقدموا نحو لحج بقيادة أميرهم عبد الباقي. ونهب بيت الضامنة فيها وقيل انه لما علم الأمير محمد بن عبد الله حاكم عدن آنذاك خرج بجيش استطاع أن يهزم الأمير وجيشه نتيجة خدعة دبرها للأمير عبد الباقي فهرب بعضهم إلى يافع وآخرون وقعوا بالأسر وكحلهم بالنار عقاباً على ذلك العصيان مما حدا بأهل يافع نتيجة لتلك الفعلة أن أعلنوا العصيان والخروج

[1] خطة دخول الطاهريين عدن مشابهة لخطة دخول الفضل بن المجاهد سنة ٧٢٨هـ والدور اليافعي في هذه الحادثة أعاد نفسه في حادثة دخول الطاهريين.

على طاعة بنو طاهر، فما كان من الأمير الظافر بأن أمر بطرد خمسمائة يافعي من عدن سنة ٨٩٤ هـ وقالت بعض مصادر التاريخ بأن عامر عبد الوهاب خرج بجيشاً لاخضاع يافع سنة (٩٠٣هـ) ثم تشير إلى أن تلك الحملة واكبتها الغموض لكننا وعند البحث وجدنا في كتاب تاريخ حضرموت (المسمى بالعدة المفيدة):

للعلامة سالم الكندي ما يوافق ذلك التاريخ إذ يقول :

وفي سنة ٩٠٣هـ في شهر جماد الأول توجه السلطان الظاهر عامر عبد الوهاب إلى بلاد يافع للذنوب كثيرة سلفت منهم .

منها انهم أتوا خاله عبد الله بن طاهر وحرضوه على حرب الظافر فسار إليهم بجنوده سابع جماد الآخرة فلما التقى الجمعان انهزم يافع هزيمة منكرة واستولى على حصونهم في أقرب مدة ولم يكن منهم أمر متعب مع كثرتهم – واتساع بلادهم ودعاويهم العراض وكان استفتاح بلادهم من أسهل الفتوح، ودخلوا عليه وأذمهم وسار جماعة منهم تحت ركابه، بتصرف.

ومع أننا ندرك بأن المعارضة (كلدية) فلربما كانت الحملة على نواحي أبين وأطراف كلد في الساحل وخنفر ولا يعقل انها صعدت إلى الجبال من ناحية ومن ناحية أخرى إذ كان على خلاف مع يافع كاملة ما كان لجأ إليهم عند مطاردة المماليك له إلى خلاقه إن كان هناك ماض أساء إلى العلاقة معهم بشكل عام.

ومما يؤكد كلامنا إن يافع قامت بحملة كرد فعل على حملة الظاهر وهاجمت عدن من طريق أبين كلد وقتلت الأمير محمد عبد الملك وإلى عدن آنذاك.

أما الفاريون بحراً فقد كانوا بقيادة الشيخ مبارك بن صالح الكلدي وجيشان السنيدي فاتجها بهروبهما نحو مدينة الشحر في حضرموت ولربما

لعلاقة أو روابط أسرية مع الأمير سعيد بن مبارك بادجانه الذي استقبلهما بحفاوة بالغة .

ومن خلال بقاءهم قريبون من الأمير أغروا (بادجانه) على التحالف معهم لاستعادة عدن من أيدي الطاهريين لكن الموت اختطف الأمير سعيد في الوقت الذي أبدى به استعداده وعندما تولى خلفه الأمير محمد عين الشيخ مبارك نائباً للأمير ومستشاراً خاصاً وكذلك عين جياش السيدي قائداً لجيشه في إمارة الشحر .

وفي سنة ٨٦٢هـ جهز (بادجانه) السفن الحربية (القوارب) وكان عددها لايجاوز عشرة حسب رواية المصادر التاريخية وقد استطاع مبارك الكلدي أن يدغدغ حلماً طالما راود الأمير محمد في توسيع مملكته الصغيرة مدينة (الشحر) ومما قيل أن ذلك الجيش المحمول في القوارب كان من يافع كلد، والحموم، والمهرة ثم اتجه نحو عدن بقواربه الشراعية.

إلا أن الطاهريون كانوا قد علموا بقدوم حملته، فجهزوا جيشاً للمواجهة وعند اقتراب (بادجانه) بمراكبه نشأ خلاف بين قيادة قواربه، فمنهم من يرى إنه وعند المواجهة يجب التظاهر بالفرار لإيهام بنو طاهر بأنهم مهزومون ثم الكر ليلاً على ثغورهم واحتلال عدن.

أما رأي الأمير بادجانه أن الظروف الجوية والبحرية بما فيها الرياح والأمواج لاتساعد على التأجيل بل يجب التنفيذ والهجوم فوراً وجاءت (الرياح بما لاتشتهيه السفن) إذ تكسرت أشرعة السفن المهاجمة وقتل مبارك اليافعي في المرسى وكانت الهزيمة .

ووقع بادجانه في الأسر واقتيد إلى المقرانة[1] ثم سجن حتى افتدته أمه وأخرجته إلى الشحر سنة ٨٦٣هـ.

[1] المقرانة عاصمة الطاهريين في (جبن) كخلاف رداع .

إلا أن بادجانه لم يتمكن من البقاء في الشحر بعد الاستيلاء عليها من قبل بنو طاهر فخرج عنها مطروداً سنة ٨٦٥هـ وقيل بأن أمه افتدته الشحر مقابل خروجه ومنحت لبني طاهر وأشارت بعض المصادر إلى أن فارس بن مبارك بادجانه عاد إلى الشحر سنة ٨٨٧هـ وكانت تحت أمرة بدر بن محمد الكثيري واقتتلا عليها فقتلا الاثنين وهنا يبدو إن بنو طاهر قد هزموا من قبل الكثيري وانتهت أطماع أسرتهم .

نهاية الدولة الطاهرية :

لم تدم الدولة الطاهرية كثيراً فقد عجلت بنهايتها أسباب عديدة منها :

١ – الحرب الزيدية الطاهرية .

٢ – الحرب البرتغالية الطاهرية .

٣ – الحرب مع المماليك .

٤ – الحرب مع القبائل المجاورة (يافع وبيحان).

وأخيراً الغزو التركي سنة ٩٤٥هـ الذي قوضها تماماً فالعثمانيون أسقطوا دولة المماليك وقتلوا سلطانهم (قانصوه الغوري) الذي أمر لغزو اليمن وأرسل جيشاً بقيادة الأمير حسن الجركسي سنة ٩٢٢هـ وكان السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب حينها مقيماً في تعز وعندما علم بهزيمة جيشه واقتراب الحملة المصرية من تعز فر هارباً إلى (إب) لكن الجيش المملوكي بقيادة الظاهر (بيبرس) ظل يتعقب الأمير الطاهري حتى مقر ملكه (المقرانة) جبن حيث خربت ونهبت بعد فرار الأمير الطاهري مع أسرته وبعض ممتلكاته الخفيفة لاجئاً إلى قبيلة (خلاقه) و(بني بكر يافع) في نفس العام إلا أنه وبعد مقتل «بيبرس» واتجاه بقية الجيش من المقرانة إلى صنعاء قتل أثناء المواجهة وقتل أيضاً أخيه عبد الملك وعاملهما في صنعاء علي البعداني سنة ٩٢٣هـ. وبهذا أضعفت شوكة الطاهريين وخاصة بعد تخلي جزءاً كبير من أبناء يافع على مساندته نكاية به وبما فعله ببعض أبناء يافع أثناء توليه حكم عدن. وفي نفس السنة التي سقطت بها دولة المماليك

بعصر هزموا في اليمن وانتهت قوتهم وظل الوضع في عدن تحت زمام الطاهريين حتى ظهور العثمانيون كقوة في البراري والبحار. وفي زمن سلطانهم سليمان باشا قدم اسطولهم إلى عدن تحت مبرر حمايتها من البرتغاليين، واستدعى سلطان الطاهريين إلى الباخرة الراسية قبالة الشواطئ ثم أعدم غدراً على ظهر الباخرة[1] ومقتل عامر بن داوود حاكم عدن اسدلت الستارة على آخر بني طاهر وكان الاحتلال التركي سنة ٩٤٥هـ ١٥٢٥م.

الاحتلال التركي الأول سنة ٩٤٥ – ١٠٤٥هـ ١٥٢٥م – ١٦٢٥م

وخلال مائة عام من الاحتلال التركي أي منذ سنة ٩٤٥هـ بداء الصراع اليمني التركي لايهدأ ولايستكين حتى قيل لليمن «مقبرة الأناضول» لكثرة ما يسقط من قتلى بين صفوف الأتراك اثناء المواجهة مع اليمنيين.

إذ اتحدت عليهم القبائل اليمنية. وتكالبت تنهش فيهم من كل مكان، تحت قيادة علي بن سليمان الحنفري منذ سنة ٩٥٣هـ فتواترت عليهم القبائل اليافعية، وأهل فضل، والعوالق، والعبادلة، أبين ولحج، وقوات الأئمة ما برحت تقارعهم في كل مكان يدخله الترك، حتى وصل الأتراك إلى قناعة من أن وجودهم في اليمن لم يعد سهل بل انهم يتحملون لذلك البقاء كثيراً من التضحيات والخسائر الجسام من دونما فائدة تذكر.

فقرروا الرحيل مبتدئين المغادرة من عدن ولحج سنة ١٠٣٨هـ.

وكان ذلك في عهد مراد الرابع[2] واستمروا في الجلاء حتى جاءت سنة ١٠٤٥هـ – ١٦٢٤م لتكون نهاية الخروج النهائية من كافة المناطق اليمنية بعد هزيمتهم في معركة «الصافية» من قبل قوات الأئمة الإمام (المنصور).

---

[1] قيل بأنه اعدم لتهاونه بالرد على رسالة تركية تأمره بعدم التعاون مع البرتغاليين.

[2] مراد الرابع: السلطان مراد بن أحمد بن سليم سلطان الأناضول جلس على سرير السلطنة سنة ١٠٣٢هـ ومات سنة ١٠٤٩هـ بعد تحرير اليمن من الغزو التركي (البدر الطالع م٢، ص ٣٠٠).

الدولة السليمانية :

أوضحنا سلفاً بأن الجيش التركي وصل إلى حالة من اليأس والتشرذم بعد ازدياد الهجمات اليمنية عليه في كثير من المواقع.

وعن فصائله المتواجدة في عدن فقد رأت الانسحاب بأقل قدر من الخسائر وخاصة بعد الهجمات المكثفة من قبل قايدي حركة التحرر من الحكم العثماني الشيخين عمر بن علي الحميري اليافعي، عبد القادر بن محمد السليماني اليافعي اللذين زعزعا الوجود التركي في عدن وجعلاه ينسحب متكبداً خسائراً كبيرة في العتاد والأرواح. وبالمقابل قيل أنه سقط من اليوافع أربعمائة قتيل بما فيهم القائدين.

وعندما تم النصر لأبناء يافع وطرد العثمانيين تأسست الإمارة السليمانية ولم ترض الباشا (قانصوة)، والذي كان قد عدّ العدة لاسترجاعها سنة ١٠٤٣هـ إلا أنه انشغل بمحاربة الزيدية في تهامة.

وحينما تم طرد وجلاء الأتراك من اليمن سنة ١٠٤٥هـ أحدث ذلك الخروج فراغاً سياسياً، وعسكرياً، وإدارياً في عموم اليمن. أرادت دولة الأئمة والتي خرجت مزهوة منتصرة ووارثة للعتاد والعدة التركية. بأن تحل محل الأتراك وأن لاينازعها أحد في ذلك الميراث كيافع ممثلاً بالإمارة السليمانية على سبيل المثال. ومما زاد طمع الإمام اسماعيل خوفه أيضاً: من ما سمعه عن تلك الإمارة الناشئة، وما حققته من نجاح في كافة الشؤون المتعلقة، بتحقيق الرفاة الاقتصادي، والاستقرار الاجتماعي، والأمن والأمان أذهلت المتطلعون إليها وذاع صيتها في الأرجاء اليمنية.

نهايتها :

ساءت الأوضاع بين الإمام اسماعيل وابن أخيه «صفي الدين أحمد بن الحسن بن القاسم» ودارت بينهما حروب في قعطبه[1] هزم الأخير من جرائها وفر إلى عدن ملتجئاً عند طيب الذكر الأمير حسين عبد القادر اليافعي فأكرم ضيافته وأحسن مقامه إلا أن ذلك لم يدم طويلاً فقد أرسل الإمام اسماعيل مبعوثاً إلى عند السليماني حاملاً بطي قرطاسه خيارين لا ثالث لهما:

الأول : تسليمه للإمام .

الثاني : على السليماني أن يستعد للحرب في حال الرفض .

ولهذا فلم يكن مما ليس له بد، لكنه آثر خياراً وسطاً كي يتجنب المواجهة فقد أوعز إلى صفي الدين بالرحيل والمغادرة إلى يافع وهي الحصن الآمن من أي تهديد، لأنه لا طاقة له بمواجهة جيش عمه المؤيد القاسم، وكان ما رآه إذ غادر صفي الدين إلى يافع بحماية العفيفي، ووصل ضيفاً على يافع عزيزاً مكرماً. وفي الوقت نفسه سلمت تلك الإمارة من الاجتياح الإمامي .

لكن الإمام وإزاء ذلك التغيير لم يهدأ له بال فقد أرسل مبعوثه القاضي[2] أحمد بن الحسن الحيمي والذي أمكن ذلك المبعوث من اصلاح ما فسد بين العم وابن أخيه سنة ١٠٥٢هـ .

فاسترده وزوجه ابنته، وولاه قيادة الجيش. لكن ضيف الأمس خان العيش والملح، وطمع بأملاك السليماني في عدن ولحج . وبدأ يفكر في كيفية الحصول على تلك الأملاك .

---

[1] ورد في كتاب صحائف المن والسلوى لابن الوزير من أن صفي الدين قصد يافع وطلب المصاهرة فضلوا ثم طلب منهم الغارة على قعطبه فأمدوه، وقصد أهلها على حين غفلة. فوقع حرب شديد يشيب منه الوليد وكاد يافع قد أشرفوا على الاستيلاء لأنهم أحاطوا بها ولكنها حفت حولهم أحر المركات ص٨٥ .

[2] تشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه قد حدثت حروب بين العم وابن أخيه وبدعم يافع قبل المصالحة.

ثم طرح الفكرة على عمه مشترطاً قبولها (مرقوماً)[1] صريحاً وواضحاً يبدي فيه تنازلاً عن كل ما يكسبه من الغنائم لابن أخيه أي (له). وهنا بدا واثقاً من نفسه ومن سقوط إمارة السليماني بيديه. وأصبح لا محالة؛ لكننا نتساءل: ما سر هذه الثقة البالغة ستخمن سببين ؟!:

الأول : لربما التمس عدم وقوف العفيفي إلى جانب السليماني في حال هجوم الإمام على مقر مملكته؛ في حال إن لم يكن عاملاً للعفيفي .

الثاني : كان يعرف جيداً مداخل ومخارج المنطقة، ويعرف كثيراً من أسرار الأمير ونقاط ضعفه، ومدى ما يملكه من قوة الجيش والعتاد، ولكن التخمين الأول يبدو قريباً إلى الصحة، بحكم سكوت اليوافع عن الوقوف فعلياً، في صد جيش الإمام على عدن لاحقاً.

وإنني لعلى يقين من أن استنتاجه لمواقف يافع مسبقاً كان الدافع الأساسي لتلك المغامرة على إمارة السليماني مع سبق الإصرار في النجاح.

وكانت الحرب بشهر شوال سنة ١٠٥٤هـ عندما وصلت الأجناد الأمامية إلى لحج وعدن وأبين بقيادة صفي الدين، هزم الأمير عبد القادر السليماني وفر مع حاشيته إلى يافع.

وملك زمام الأمور ضيف الأمس، وولى الولاة وأخذ ما رقم له من أملاك حسين عبد القادر ، وذخائر دولته، مدعياً ومبرراً فعله من أن أولئك اليوافع (عاطلي المذهب).

كان لهذا الانتصار الساحق أثره على مركز القوة اليافعية إذ أن يافع من جراء ذلك أضحت محاصرة تماماً.

أما مركز القوة الأمامية فقد رأت أن تعاجل بإكمال الفتوحات قبل أن تفيق يافع من هول الصدمة الأولى .

وبعد هذا النصر بعشر سنوات أمر الإمام المتوكل بتوجيه أحمد بن الحسن صفي الدين إلى جهة البيضاء (بني أرض) لاخضاعها من مؤيديها، لأسباب قيلت

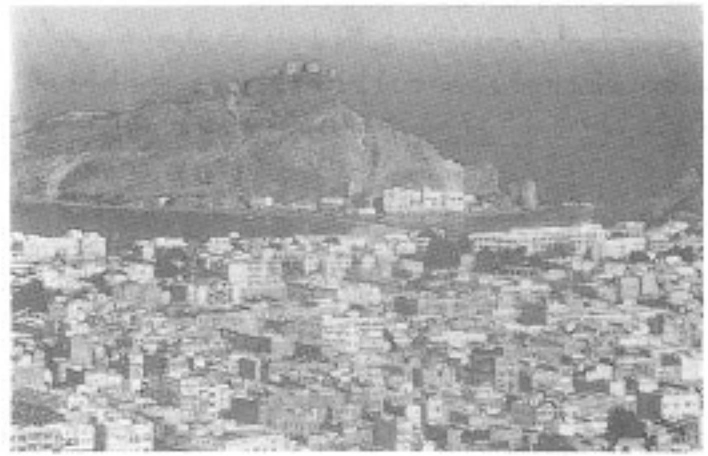
---

[1] المرقوم : يعني صك شرعياً بتملك الإرث والغنائم .

بأنها ذرائع واهية، والغرض منها إخماد بؤرة التطلّع والطموح والمنافسة عند يـافع وبلاد العولقي، الجرشي، الواحدي والفضلي و آل الرصّاص.

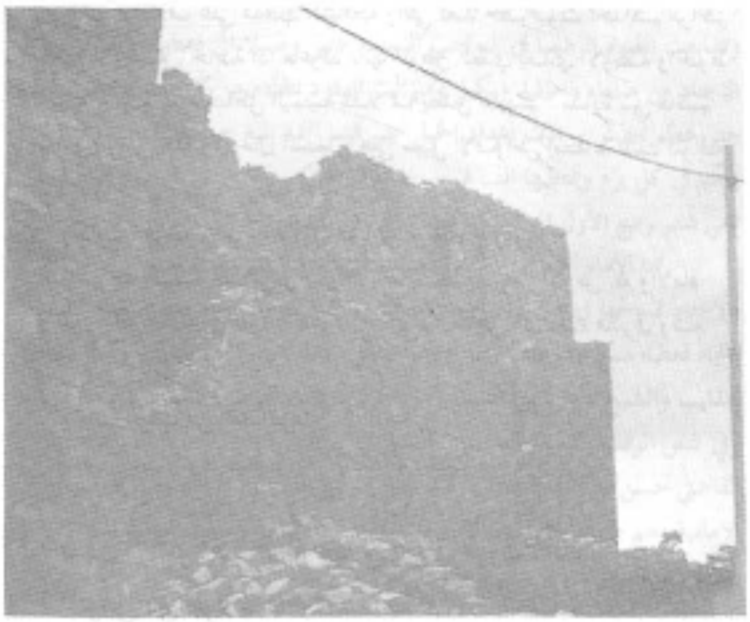
ريثما يتمكن الإمام من بسط نفوذه على الأجـزاء المتبقيـة مـن اليمـن، والـتي عكّرت صفو استقراره، والانتعام بخيرات الأرض اليمنية.

وما ذريعة إنجاد بدر بن عمر الكثيري سوى سبباً مفتعلاً أراده الإمام .



صورة لقلعة صيره مع منظر عام

مدخل ثامن



بقايا بيوت قديمة (خرابه) عمرها تسعمائة سنة

اسباب المواجهة بين يافع والامام :

قال الكبسي وفي سنة ١٠٦٤ هـ خطب بدر بن عمر الكثيري صاحب حضرموت للإمام فقبض عليه إبن أخيه " بدر بن عبدالله الكثيري " واودعه السجن مما آثار غضب الامام عندما وصله الخبر فقرر الجاده ، لكن كيف ؟!

والمرور لايكون الا عبر قبائل المشرق فيرجوهم بالسماح له بالمرور عبر اراضيهم للذهاب الى حضرموت . لكنهم أي اصحاب بلاد المشرق رفضوا عليه ، ولربما كان ذلك الرفض لسببين اثنين : —

الاول : خوفاً من احتلال بلدانهم كما فعل بأرض السليماني عدن .

الثاني : الخوف على مذهب الشافعيه والتي تعد حضرموت أحدأهم مراكز معاقله الاساسية ، خاصة اذا ماعرفنا بأنها الموطن الذي يغذي الاربطه والحوط الدينيه في كثير من المناطق اليمنيه ممثلاً مما يطلق عليهم " سادة بني هاشم " العلويين ويعني هذا وفي حال السماح على سبيل الافتراض إسقاط تلك المواقع الدينيه واحلال مذهب الزيدية محلها ([1])

وكانت الحرب . على حد قول الشاعر الزيدي المتزمل : —

ياشيوحه حـــد العفيفي واجهي *** ماليـــوم رعي الارض لله والامام
من داخل القبله الى سوق الغدر *** كم هيه مناطق ذي ملك مشرق وشام

وكان الجواب من احد المتزملين اليوافع : —

ياذي بدعت القول حيالك وله *** ماطلع اخاهم وله بارق يرام
منذي حلاله بـــلاد اليافعي *** لاطـــاع تركي ولاطاع الامـــام

ثم قال في زامل آخر اثناء المواجهة مع يافع في حروب لاحقه .

المتزمل من الزيود : —

ياواد ذي ناعم توسع *** لاجاك سيدي والمدافع

[1]) تعتبر البيضاء مركزاً متقدماً للشوافع وآل باعلوي (اقدار) القادمين من حضرموت والذي كان فيه رباطاتهم لازال قائماً حتى الآن .

هذه اسنه حسبة الله *** تاخذ عدن وابين ويافع

الجواب من احد المتزملين اليوافع : —

يـــامطرح الزاهـــر توســـع *** عــــادها بـــاتقبلك يفاعـــه
بـــاتقبلك تسـعه مكـــــاتب *** باتـــاخذ الزيـــدي بســـاعه

جيش الامام يدخل يافع :

حرب دخول يافع واحتلالها من قبل جيش الامام في زمن بني القاسم (ففي سنة ١٠٦٥هـ) نهض الامام محمد بن الحسن والامام أحمد ابن الحسن وتتابعت القوم الرهما في النواحي اليمنيه حتى وصلا الى ذمار ، واستدعيا الاجناد من صنعاء وحاشد وبكيل ومازالت الوفود تتقادم من كل القبائل اليمنيه حتى عظم الجيش وزادت اعداد الخيل حتى قيل إنه بلغ حسيك الخيل (٢٥) زبدياً في كل يوم ويمتطيها الف فارس خياله ثم تحركت الاجناد في يوم السبت ثاني شهر ربيع الأول الى رداع واستقر الامام محمد بن الحسن هنالك.

إما الأمام احمد ابن الحسن فتقدم الى الزاهر ثم الى البيضاء ([2]) وملأ بالاجناد فساحها في حين ولد الامام محمد بن الحسن والمسمى (يحيى) فقد نفذ باتجاه قعطبه مع مجموعه أعيانه وهم عامل زبيد ، وابي الرجال ، وصاحب مجدايب والشيخ داوود بن شمسان وبنو الحيقى وذلك لغرض اخضاع بني شعفل وفي نفس الوقت رتب محمد بن الحسن في (جبن) ([3]) ووضع على رأسها القاضي حسن بن احمد المخلافي وقد قيل إن بنو ظبيان ([4]) انضمت للجيوش الامامية وهم طارقة يافع عند البلاء والمشقة ، وكانت قد وضعت بجانب الوادي المحيط ببنو ظبيان .

[2]) أطلق عليها اتباع الولي ابو بكر بن سالم ولي عينات (يعقاد حسين) بعد أن كان اسمها في السابق (بدر) أو بني أرضي .

[3]) جبن : القرانه كانت عاصمة الطاهريين وتعد من عداد يافع في السابق .

[4]) بنو ظبيان : ظبيان بن الأملوك بن ردمان وهي قرية محادده ليافع .

وبالمقابل جزء من الاجناد اليافعية تمركزت مع الرصاص في نجد السلف.

بينما الدفاعات الخلفية تعد المتارس والمواقع القتالية في ((العر)) و ((حبة)) وفي هذه الحرب الدائرة تظاهر الامير احمد بن شعفل بالسكون ولم يبد تاييده ليافع خوفاً من وجهة الإمام يحيى بن الحسن وتجمعات الجيوش الامامية في قعطبه وبدأت المناوشات العسكرية ((بنجد السلف)) المقدر به عدد الفين مقاتل من اهل الرصاص ويافع ، تحت امرة الشيخ حسين الرصاص ، ومنصر العولقي وقد اشار المؤرخون الزيود الى أن أول مباغته كانت من قبل الرصاص على ((ذي كريش)) ([5]) شرقي الزهراء على رتبة الامام احمد بن الحسن ، والتي وضعت كرتبه استطلاعية عززت بسرايا دفاعية أخرى بعد ارتداد آل الرصاص من جراء هذه الهجمة المباغته الاولى ومن حينها تحول معسكر الامام أحمد بن الحسن من رداع الى الزاهر وقيـــل بانها قد كانت خير موقع للفاتح التركي (سنان باشا)([6]) وعرف ذلك القدوم بأنه التفاف على الجيش الرصاصي بنجد السلف لكنهم أي الزيود رأوا بأنه خير ممر لتوفير الماء والطعام من ان يواجهوا من اتجاه نجد السلف الفاصل .

وقد انقسم الجيشين الاماميين الى جناحين عسكريين فالايمن بقيادة الامام محمد بن الحسن والايسر بقيادة الامام محمد بن أحمد .

ومازالت المعارك حامية الوطيس بين الاطراف حتى قتل السلطان حسين الرصاص بثلاث رصاص وقام قائد الحملة الامامية صفي الدين أحمد بن الحسن بعد مقتله بالامر للجنود بجز رأسه وإرساله الى الامام في (ضوران) ومثل فيه هناك وقيل بان عدد القتلى من الجيش الامامي خمسون قتيل حسب رواية

---

[5]) ذي كريش : قرية رصاصية .

[6]) الفاتح التركي سنان باشا فتح اليمن سنة ٩٧٦هـ بعد تمرد القبائل على الاتراك القادمين لاحتلال اليمن سنة ٩٤٥هـ واعاد تنظيمها وتسوية تقول وطرق المشاة في الجبال والوديان ، بل إن بعض المصادر اليمنيه تشير الى ان الفضل يرجع له في بناء طرق الجبال القائمة حتى الآن وخاصة في مناطق يافع التي خضعت رعباً للاتراك ولم يدخلها العسكر الترك كغيرها من المدن اليمنيه وقرى المناطق الجبلية .

المؤرخون الزيود لكن ذلك لايعقل ، وقد قيل بأنه على اثر هذه الهزيمة للرصاص توغل الجيش الامامي رداث في قاع الرماة ، وهم يحملون كثير من الغنائم والاماء التى صرعت ، وسبايا النساء في الوقت الذي استسلم به أوفروا منه قبائل ((آل علي عزة الرصــاص)) مع الشيخ صالح الرصاص ، وبنو أرض بنو غيلان ، اصحاب ناصر الدرع ، واصحاب غراب والمساعيه وآل هصيص ، وآل الملاحم ، العوالقة ، اليوافع والهياثمه ((دثينه)) وقيـل بأنه قتل من آل علي أسرة آل الرصاص في هذه الحرب نحو مائتين مقاتل ، وعلى اثرها انسحبوا الى البيضاء التى دارت بها المعركة الفاصلة ؛ حتى اسقطت البيضاء بايدي الجيوش المهاجمة للامام وبعد هذه الكارثة الشنعاء اتخذ جيش الامام قاع الرماة محطة له في حين أن الامام الصفي احمد اقام بالبيضاء يستقبل المهنين له بالنصر فجاءه السلطان منصر بن صالح العولقي صاحب دثينه محملاً بالهدايا والانعام الجليله ومعلناً له الولاء والطاعة ووصل السلطان سالم بن حيدر الفضلي ، ووصل السلطان صالح بن عبدالواحد الواحدي ، ووصل الشيخ العمودي (حضرموت) واشترط عليهم الطاعه مقابل الامان .

وفي يوم الاثنين تاسع عشر من شهر جماد الآخر وصل خبر الى مسامع صفي الدين بأن الحبيب سالم بن أحمد ولي عينات قصد الخروج الى يافع لشد ازرهم في الجهاد ضد هجمات الامام وليكون لهم مدداً في التحريض ورأى القائد الامامي انه إذا تأخر عن دخول يافع فلن يستطيع ذلك في حال قدوم الحبيب من عينات.

ولكنه استحسن وسيلة الترصد له في الطريق وقطع منافذ الوصول عليه الى يافع فوضع مرصد له في احور ودثينه إلا انه أي الحبيب أجل القدوم ([7]) وفي هذه القبيه استعرت الحرب إبتداء من يوم عشرين جماد الآخر مع ميمنة الجيش الامامي الزاحف بقيادة الامير محمد بن الحسن ، والمواقع المتقدمة للقبائل اليافعية.

---

[7]) ورد في كتاب طيق الحلوى وصحائف المن والسلوى في ص ١٣٨ من أن الشريف سالم بن حسين الحسيني قدم من حضرموت بغارة الى يافع فجهز عليه السيد المقدام محمد بن أحمد بن الامام الى دثينه فقطع عليه الطريق ورمى جرده في الحزيق فعاد الى تلك البلاد واسمه في العماد .



صورة وثيقة من كتاب صلاح لبكري



صورة وثيقة من كتاب صلاح لبكري



وقال مؤرخ الزيدية بأن جند الامام تسنموا جبل العر ، وقوضت متارس يافع ولحقهم عارها الى الولد السابع ، وانسحبت فلول اليوافع تحت قيادة الشيخ عبد الله بن علي هرهره ، قائد حامية العُر إلى مرفد لبناء وإعادة تحصيناته الدفاعية في الوقت الذي تدفقت إليه ارتال الجيوش الامامية تطارد أهل يافع حتى (مرفد) (٨) وهناك اعاد يافع تنظيم صفوفه بمساعدة ولد الحبيب علي بن سالم وكادوا يقهرون الجيوش الامامية ، بل احاطوا بهم كالسوار على المعصم من كل حدب وصوب ، لولا ان اتتهم نجدة صفي الدين عصر يوم الجمعة في الحادي والعشرين . في اليوم الثاني من القتال قادماً مع جموع جيشه الذي هزم به الرصاص ، فتوغلت لفك الحصار على الجنود الزيدية ، ورأت يافع بأن لاطاقة لهم على مواجهة هذا الزخم الكبير المعزز بالعتاد العسكري والزاد والتموين الذين هم في أمس الحاجة اليه .

وبعد كسيرة (٩) يافع تقدم الامام أحمد ، ومحمد بن الحسين والامام الحسن ابن الحسن الى مرفد وحطوا رحالهم وطالبوا يافع باعلان الولاء والطاعه ثم الاستسلام وهنا وافقت يافع على ذلك الطلب بشروط وضعوها ووثائق معقودة (١٠) ووفدت بعدئذٍ مشائخ يافع كالموسطه والظبي والمفلحي وكلد وذي ناخب وبنو حطيب والحضارم وآل داوود ومشائخ الحلقة ودعى لهم الامام الأمان مقابل الطاعة وحينها خلع عليهم المقررات والبسهم الكسوة وعادوا الى يافع معززين مكرمين كما قال المؤرخ

فقال الشاعر ممتدحاً ذلك النصر :

وكيف حاق باهل البغي مكرهم *** صرعى تزورهم العقبان والرخم

---

(٨) : مرفد : قرية صغيرة بحجمها كبيرة بقوة رجالها تقع عند مدخل جبل : العُر ; من طريق يافع

(٩) الكسيرة : الانكسار أي الانسحاب والتقهقر (كسر الشيء) مع ملاحظة إن العفيفي لاذ الى القارة مع مؤيديه وتحصن هناك ولم يستسلم حينما دخلت الجيوش الامامية ، بل انه ظل يقاوم قلك الاحتلال حتى سنة ١٠٦٦هـ وبعد هزيمة جبل القارة والقبض عليه اسيراً رضخ للطاعة الإمامية

(١٠) : الوثائق المطبوعة نشرت بعضها بكتاب صلاح البكري تاريخ حضرموت السياسي وشرق اليمن ، ص ٩٠-٩٤ .

حتى صفت بصفي الدين ارضهم *** بـــاحمد حســـن محمود به الامم
واصبحت قلعة البيضـــاء ملعته *** بيضـــاء لايعتريها البؤس والنقُم

وعندما عاد مشائخ يافع الى قراهم أنذرهم واعذرهم وجعل العامل عليهم السيد شرف الدين بن مطهر بن عبدالرحمن ، وانتظموا في سلك الدولة الامامية وألغاء الدعاء في الخطبة للدولة العثمانية من بلادهم وفي التاسع من شهر رجب قرر القادة الارتحال من مرفد الى الزاهر لكنهم لم ينسحبوا حتى الاهم النبأ من الكثيري والذي كانت الحرب لاجله بأنه قد أخرج عمه من السجن وولاه ظفار (١١) وأعلن طاعته للامام وبذا عامل الامام المقيم بيافع مع مائة رجل من عسكر الامام ، وثلاثمائة من المعينين لجمع العشير ، بذا فاستبد الأمر بيافع وفرض عليهم اتاوات اثقلت كواهلهم بل جرى بهم الامر الى إقرار ديات على مجمل يافع مقابل القتلى من الجيش الامامي .

وقال المؤرخ الزيدي ، هنا : -

ثار عليه ابن العفيفي ، وتغلب وجمع قومه حربه وألب فصالت معه قبائله وانحازت الى جبل (تفاج) (١٢) وقتلت من الجيوش الامامية نحو خمسة وعشرين قتيلاً مقابل سته نفر من جيش ابن العفيفي ، فتدخل بينهم الوسيط الشيخ مقبل بن عامر العسالي على ان يخرج عامل الامام عن طريق ابين ، وسحبه محمد بن معوضه الى خنفر عند الامير حسين عبدالقادر (١٣) فاعطاه حصاناً وارتحل نحو الامام مع ستين نفر من المتبقين من جنوده ونهبت خزائنه من مسجد النور (١٤).

اخذلها يافع من غير اكتراث ، فوصل الخبر الى الامام بعد أربعة ايام فاجمع رأيه ورأي الامام محمد بن الحسن على الذهاب الى يافع واخماد ثورة ابن العفيفي ووقع الاختيار على الامام الحسين بن الحسن ، فقدم الى الخلقه (١٥) وارسل

(١١) ظفار التابعه لدولة عمان حالياً .
(١٢) تفاج : جبل في مكتب اليزيدي .
(١٣) الامير حسين عبدالقادر توفي سنة ١٠٦٨ .
(١٤) مسجد النور : عاصمة الإمام بيافع تقع في مكتب الموسطه قسم الرشيدي .
(١٥) الخلقه : قرية صغيرة متاخمة لحدود (سورة) البيضاء .

الامام ولده محمد لقتال يافع وارجاعهم الى الطاعة حتى لاتتوسع دائرة الثورة على جيش الامام ، فسار الامير محمد مع جيشه الى البيضاء لارهاب الرصاص واخماد تطلعه ثم تقدم نحو يافع الى الموسطه ووجد ان ابن هرهره ملتزماً صمته غير راضٍ بما يجري ولاعنده القدره على المواجهة . ومع ذلك رفضت يافع دفع الموجب للامام الحسين ابن الحسن المقيم بالخلقه ، وقالوا إنا لن نسلم الواجبات إلا الى الامام الصفي احمد بن الحسن القائم في (رداع) فاستجاب لهم وارسل مندوبه صلاح بن أحمد القاضي في قبض الواجبات واعداً اياهم بازلة مايرونه من الجور .

فقال المؤرخ انهم تباطؤا واعلنوا العصيان ، وشنوا حرباً على اصحاب الدولة المقيمين بمسجد النور وقتلوا النائب محمد بن ناصر مما اثار غضب الامام فاوعز الى الامام محمد بن المتوكل بان يتقدم الى يافع لردع الخارجين على طاعه الامام بقيادة العفيفي فتحرك الامام الى الخلقه في اول شهر ربيع الاول سنه ١٠٦٦هـ وفي اليوم الثامن عشر من شهر ربيع وصل الى (بني بكر) وتقدم الى جربه (غالب) (١٦) وفي اليوم الواحد والعشرين يوم الثلاثاء وصل الى مسجد النور .

وعندما رتب جيوشه ووزعهم في نقاط الحراسه أمر بالتحرك لقمع حركة التمرد في جبل النفاج بمكتب اليزيدي ، فتحركت الجيوش عبر مدرج (١٧) الطف ونقيل الخلاء ، ثم المدرج في جبل اليزيدي . وكان ذلك يوم الخميس الثالث والعشرين بشهر ربيع الأول وعندما وصلت جيوش الامام الى ((جبل النفاج)) الذي تجمع فيه مؤيدي بن عفيف دارت الحرب رحاها ونظراً لكثرة الجيوش الامامية وحسن تنظيمها وازدياد تموينها وعدتها وعتادها ، هزمت مجاميع بن عفيف ، وتمكنت من دحر مؤيديهم (آل فرج) وكافة القرى التي كانت تقف معه ، ومما قيل من قبل المؤرخين الزيود :

(١٦) جربة غالب : يقال بانها رويت بالدم وهي لاتزرع حتى الآن .
(١٧) طرق على شكل مصاطب درجيه تسهل الصعود والنزول على الجبال يقال بانها وجدت من زمن الحميريون وآخرون يقولون بانها عمرت زمن احتلال الاتراك لليمن (في زمن سنان باشا) .

من ان البلاد اليافعيه لبق قاصد استبيحت خمس ايام وعاثت بها الجيوش الامامية فساداً واحالت حلال اولئك القوم الى غنائم مباحه .

وذكر بأن الجيش الامامي بعد تلك الحرب عاد الى مسجد النور ومعه الاسرى وكذلك سبايا النساء الذي قدر عددهن باربعين امرأة بما فيها زوجة محمد بن معوضه وزوجها الاسير وإنه الذي بعث به الى الامام محمد بن الحسن في رداع ثم احاله هذا الى الامام في ضوران إما للعفو أو القتل مستثنين والدة معوضه ([18]) فقد كان شيخاً كبيراً ، وعلى رغم كبر سنه فقد كان وراء تحريض اولاده على مواجهة الامام وجيوشه والتي قدرت آنذاك بخمسة وعشرين الف جندي.

وقال المؤرخون ، بان ولده عبدالله ابن معوضه قد قتل في هذه المعركة وان عدد القتلى الى جانب ذلك الرأس كانوا من اهل كلد وذي ناخب والسعدي .

وبلغ عددهم نحو مائة وخمسين قتيلاً ولولا انشغال الجيوش الامامية بالنهب لكان العدد أكثر ، هكذا قال المؤرخ . بل قال ان انشغالهم بالطمع ادى الى فرصة الهروب للقبائل اليافعية المدحوره والتجاؤها الى القبائل المعارضه للامام كالاجعود في ردفان وقبائل حالمين ولقد لعب الاخير امير حالمين دوراً بارزاً في تحريض يافع على عدم الانصياع للطاعة الامامية كذلك بلغهم حث الحبيب سالم بن أحمد ولي عينات .

وعندما شعر الاماميين بما يدور أمروا اليوافع بتسليم اسلحتهم واموالهم افتداء لارواحهم وكذلك تسليم مخازين حبوبهم ((مدافن)) وخربت مصانعهم وحصونهم بايديهم وقيل بانها جمعت في يوم واحد أكثر من الفي قصبه من السلاح ([19])وفي هذه الاثناء وصل الاسير السلطان محمد بن معوضه واولاده الى حضرة الامام واعلن اقراره بطاعة الامام .

---

[18]) معوضه بن عفيف لأول وحين دخول جيوش الائمه كان يقدر عمره بخمسة وستون سنه واكبر اولاده حينها محمد وعلي وعبدالله واصغرهم قحطان إذ إنه فيما بعد تولى أي قحطان تولى زمام المبادره في التحرير وقد قال المؤرخون بان والد معوضه توفي سنة ١١٠٤هـ وقد سجن في حياته مرتين على عهد الإمام الأولى عند دخول جيوش الزيود سنة ١٠٦٦هـ والثانيه قبيل فترة التحرير سنة ١٠٩٢هـ.

[19]) ورد في كتاب (المن والسلوى) ، ص ١٤٢ : أن يجمع السلاح من أهل يافع ويوصلوه الى حصن (الدامغ) فقبض ووصل به أهل يافع على ظهورهم ، وأودع خزانة الحصن .

ثم اطلق سراحه واولاده وعاد الى يافع محولا الى عبد الصفي لاكرامه في مسجد النور . واقر له الصفي مايسد حاله على شرط بقاءه تحت الطاعة .

ومن عندئذ توافدت بقية المشائخ الرافضين باعلان الطاعه . وكذلك الامير شعفل والرصاص وغيرهم . وفي هذه السنه (تشكل) العلامة الحسن بن احمد الجلال في رسالته ((براءة الذمة للائمة)) تحريج الامام على يافع([20]).

كما راى في تقييم الموقف هزيمة الرصاص واليافعي :

بالنسبة للرصاص :

١) فارق العتاد والعدة وقلتهم بعد انسحاب المساندين لهم وتراجع الحلفاء للدفاع عن ديارهم من جراء زخم الجيوش الاماميه .

٢) مقتل شيخهم حسين الرصاص وجز راسه اسقط القياده الفعليه .

٣) الاختراقات الخلفيه وقطع خطوط الامداد الغذائي والعتادي بين البيضاء والزاهر أربك المقاتلين من الخلف ونشر بينهم الخوف على اسرهم .

٤) وصول جزءاً من القوات الامامية نحو يافع وال حيقان أحبط أية مساعدة من قبل يافع للمواجهين بنجد السلف ومدينة البيضاء . مما سهل الامور على ميسرة الجيوش الامامية أن تنفرد بالخصم وتهزمه .

٥) خروج الائمه بعد رحيل الاتراك عن اليمن وهم في ذروة قوتهم بعد الاستيلاء على العتاد والمؤن من المخازن التركية وبيوت المال جعلتهم يندفعون نحو بلاد المشرق لمواجهة قبائل فقيرة لاتملك من العتاد إلا القليل .

وبالنسبة ليافع :

١) سقوط الامارة السليمانية اليافعية كانت قص اجنحة يافع واستلابه المناطق البحرية .

---

[20]) وزيادة في معرفة حصن الدامغ فهو يقع في بلاد انس وحتى سفحه تقع .

٢) الانخداع بنية الامام من إنه لايريد سوى البيضاء بينما كانت اليد الطولى تتجه نحو يافع .

٣) لم يكن استعدادهم بشكل مبكر بل كان فجائياً ولربما كانت الرسائل المبعوثة اليهم مطمئنة جداً .

٤) افتقارهم الى القيادة الحكيمة والمدبرة في مثل هذه الظروف .

٥) قلة العتاد والزاد والتموين في زمن يعاني فيه الناس من المجاعة .

٦) فصل يافع بني قاصد عن يافع بني مالك بمهاجمته عن طريق (أبين) والتي وقعت تحت يديه عند سقوط الإمارة السليمانية .

٧) انشغل حلفاء يافع بالدفاع عن بلدانهم نظراً للهجوم الشامل .. ومع كل ذلك وقعت حروب عظيمة بين اهل يافع واولاد الامام استمرت ردحاً كان من نتائجها مقتل الأمير احمد بن محمد بن الحسين وقيل بأنه دفن في العر([26]).

وهكذا فأن حرب الغزو الامامي على مشيخات وسلطنات المناطق الجنوبية بدا سببها سبباً واهياً كما عرفنا وتبين في رفض اهل المشرق كما كانوا يسمولهم لمرور الجيش الامامي نحو حضرموت لتأديب بدر عبدالله الكثيري المتمرد على طاعة الامام ضدعمه بدر عمر الكثيري الموالي للامام والذي اختطب مناصراً للزيدية في أحد الجمُع مما اضطر ابن اخيه الى ايداعه السجن ، ولم يخرجه إلا بعد سقوط كافة المشيخات والسلطنات المناهضة للامام المتوكل ثم اعلن ولائه للامام بدون حرب .

لكنه وبعد اصدار أمر تعين عمه والياً وعاملاً للامام في منطقة ظفار أثار غضب ابن اخيه والقي التعين على عمه واعتبر الامام ذلك نكثاً لطاعته وعصياناً

---

[26]) العر : جبل استراتيجي مطل على نواحي اطراف يافع والبيضاء وفيه حروب الكل اليافعي : لا العر باقي ليافع بالوجود)

يستدعي دخول الجيش الامامي الى حضرموت سنة ١٠٦٨هـ . وكان الدخول الذي لم يخرجه غير يافع سنة ١١١٦هـ ([27]).

وفي فترة ولاية " صاحب المواهب " الامام محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ازداد الجور والتعسف . وبدأ الجنوبيون يرنون للخلاص من الاستبداد الامامي ، اضافة الى جملة اسباب هيأتهم على الثورة : -

١) فرض المذهب الزيدي واعلانه بحضرموت .

٢) الخلاف الحاد بين الائمة والحروب الدائره بينهم على مراكز النفوذ .

٣) إرهاق المواطنين بكثرة الاتاوات وتعشير الموارد الزراعية وجباية الضرائب (المكوس) .

٤) إزدياد مظاهر الجور والطغيان من قبل الجيش الامامي

٥) الاستبداد ونزع السلاح من الرعية .

الى درجة وحسبما تناقلها الاجداد من انهم ابقوا العشره على شفرة للحلاقة والذباحة .

٦) فرض ديات اللذين لقوا مصرعهم تدفعها يافع للزيود .

كل هذه الاسباب استدعت الثورة على حكم الامام في المناطق الجنوبية وكانت أول شراراتها من يافع إذ كان اليافعيون على الرغم من هزيمتهم يناجزون الاجناد الاماميون تصدياً وصراعاً على مدى سنين الاحتلال .

وما كان ليعتريهم خضوع لأي سلطة وهم الذين يأبون الخضوع لسلاطينهم في كثير من الاحوال . عندها وقف اليافعيون وقفتهم المشهورة بوجه الدولة القاسمية .

---

[27]) هناك بعض المصادر التاريخية اشارة الى إن الخروج الزيدي من حضرموت كان سنة ١٠٩٢هـ وهذا لا اساس له من الصحة فالخروج الفعلي كان سنة ١١١٦هـ وانما قد تتفق مع بعض المؤرخين من تسليم سلطة الحكم لآل كثير سنة ١٠٩٦هـ تمشياً مع إنحسار المشيخات الجنوبية الثلاث .

بداية التحرر : (الخروج الزيدي من يافع) :

وفي كتاب بقيه المريد اشار الى ان اليوافع اشتاقوا الى ماضيهم واعادة السلطنات المفقودة أو بما معناه ان السلطان صالح بن أحمد هرهرة وبنو المفلحي وغيرهم لما راوا الخلاف بين الائمة ذكروا الاشجان واشتاقوا لاعادة السلطنة ([23]).

فتعاهدوا واتحدوا وهزوا الدولة القاسمية عند ابتداء تداعي اركانها ولم يكتفوا بطرد الزيدية من يافع بل ساقوهم الى (جبلة) .

انا في حقيقة الامر نفتقر الى المصادر الموثقة تلك التي تروي كيفية خروج الزيود من يافع ومن بقية المناطق الجنوبية . ونضع اللائمة في هذا الخصوص على المؤرخين الزيود الذين لم يرعوا الامانة التاريخية بتعمدهم على اقفال جانباً مهماً يروي خروجهم من المناطق التي كانوا قد احتلوها .

اذ خلت مصادرهم إلا بالاشارة وبالنذر اليسير الذي لايفي بحاجة لمن اراد البحث في هذا الجانب .

الرواية اليافعية للخروج :

تحتاج الى تحقيق واخراج ماهو مخطوط عند الناس) . ولايمكننا سرد قصص لاتدعمها تلك الوثائق والمخطوطات .

وعلى الرغم من انني سمعت الكثير من هذه الأقاصيص إلا انني احتفظ بل متحفظ على نشرها حتى الحصول على مايدعمها ويؤكد صحة وقوعها في ذلك الزمن ، ولكننا بنفس الوقت سنكتفي بما اشارت اليه المصادر بهذا الخصوص .

---

[23]) سلطنة آل هرهرة لم تكن قبل احتلال الزيود بل ظهرت بعد التفاف يافع حول سلطانهم الجديد صالح بن أحمد في الوقت الذي فيه سلطنة العفيفي قائمة من قبل الاحتلال منذ سنة ٩٢٥هـ .

واشارت المصادر أن الخروج بدأ بالتحالف :

بعد طرد الزيود من يافع راى امراء وسلاطين ومشايخ المناطق المجاورة ليافع بأن ساعة الخلاص قد ازفت وانه لابد من التحالف مع يافع لاسنادهم ومساعدتهم على التحرر من وجود الحكم الامامي وكان الاجتماع المقر فيه الآتي :

١) انطوا السلطان صالح بن أحمد هرهره مهمة انقاذهم واعطوه زمام القيادة والطاعة بعد تنصيبه سلطاناً في يافع سنه ١٠٩١هـ .
٢) يحالف السلطان صالح بن أحمد السلطان معوضه بن عفيف اليافعي .
٣) تحالف السلاطين والامراء مع السلطان أحمد بن علي الرصاص .
٤) تحالف السلاطين والامراء مع السلطان صالح بن منصور العولقي .
٥) تحالف السلاطين والامراء مع الامير قاسم بن شعفل ((حالمين)) .
٦) الدعوه لاصلاح ذات البين وانهاء الخلاف على اطراف ابين بين السلطان معوضه والسلطان عبدا لله الفضلي بواسطة السلطان أحمد بن علي الرصاص حتى يستكمل اطار التحالف .

بعد هذا التحالف الواسع بدأ الصراع يتفاقم غزوات الكر والفر تستمر بين المتحالفين والزيود منذ سنة ١٠٩٣هـ حتى الاحتلال التركي الثاني .

وقد اشتهر في تلك الغزوات كثيرون من القادة الاماميين امثال – محسن ويوسف ابناء المتوكل وعامر بن صالح وعلي بن يحي وقاسم بن حسن المهدي .

وعرفت كثير من المواقع :

عرفة حالمين – ردفان – قعطبه – البيضاء – خج – جبن – ابين – الزاهر – الخربة – جبل حرير – المعسال – الشعيب – نجد الجاح – الخلقه – نعوه – الربيعتين القزعه – حمرة .



صورة وثيقة



بداية اندلاع الثوره على جيش الإمام

وفي سنة ١٠٩٢هـ فيها وقع اختلاف ببعض بلاد يافع ودعى الامام للتجهيز فصدت موانع الاختلاف بين بني القاسم .

وبلغ الامام تمرد اهل المشرق على الحسين بن الحسن وهو في خمر وكانت تلك الثورة على الحسين والمسمار . بعد امتداد القهر طول يدفع بعرضها نتيجة للجور واضطهادهما للرعيه وفي هذه الفترة اسر معوضه بن عفيف في حضرة المهدي وعندما جاء رسوله السيد عبدالله الحرابي حاملاً كتاب من الحسين بن الحسن القائم في السواديه موضحاً اسباب الفتنه وردة اليوافع عن طاعة الامام .

تلى الامام المؤيد الرسالة على العيان فقال لهم ماذا تنظرون فقالوا ((ماعهد المشرق منا فهو باق ، ومن داب العبد الردي إلا باق ، فجهزوا على من نكث الميثاق حتى إذا اثختنموهم فشدوا الوثاق))

وفي هذه الاثناء تقسم بني القاسم وكل واحد منهم أميراً على بلاد ولم تصلح احوالهم ودارت الحرب بين افواجهم حتى كلت وخارت عزائمهم على اهل المشرق ، فدعى المؤيد اخيه علي ومن ناصره الى الخروج لتاديب المشرق ، ولما لم يقم له مرام ، رضي بثورة اليوافع بعد خروج معوضه بن عفيف من الاسر وهو كهلاً .

ضعف الدوله الزيدية :

على الرغم من تحرر اليمن من الاستعمار التركي الأول منذ سنه ١٠٤٥هـ إلا انه يبدو بان الوصايه الاسميه ([٢٤]) للإتراك ظلت قائمة فترة طويلة ، وعلى وجه التقريب حتى سنه ١٠٧٣هـ وقد أدت مغادرة العسكريين الاتراك من اليمن إلى تدهور الادارة العسكرية وانتشار الفوضى الاماميه بكثرة الادعاء والانفصال عن بعضهم البعض . مما جرى بالامام الحسين ابن الحسن بن القاسم الى التنازل عن ولاية ابين كجبايات العشور الى السلطان طاهر بن معوضه عسى

[٢٤]) وثيقة : تبين ذلك الاتفاق .

ولعله يحظى بدعم العفيفي ضد بعض الخارجين والمتمردين عن طاعته من الائمه انفسهم وهذا ماحدث فقد حددت الحدود مع السلطان صلاح الفضلي وبينت المناطق التابعه للعفيفي بصك سلطانياً.

كذلك عين السلطان طاهر بن محمد علي يد القائم بامر الله عبدالغني بن أحمد والياً شرعياً حسب الاعراف المتبعه في الاحكام اليمنيه ، وحددت بالارض المتوسطة بين الحبر ، والغدر – والمسماه بلاد لوط ساحل ابين .

وهنا نلاحظ بان ذلك جاء بداية لتعزيز قوة يافع واعلان الثوره على الوجود الامامي بيافع سنة ١٠٩٢هـ وعلى تلك القاعدة السلطانية أرسيت دعائم التحالف سالف الذكر وبدأت الثورة الفعلية .

وفي سنة ١٠٩٣هـ نبذ اهل المشرق طاعة الامام ([٢٥]) وتمردوا وفي هذه السنه توفي الامام القاسم بن أحمد بن القاسم وعين خلفا له الامام المؤيد بالله .

وفي هذه السنه وفد الامام علي بن المتوكل على الله الى اخيه المؤيد بضوران من اجل الخوض في موجبات قتال أهل المشرق وأداء ما يجب من الزيادة في هذا الاوان وكان أهب مايحتاج اليه في التجهيز .

وفي حضرتهما قال الشاعر أحمد بن أحمد الانسى قصيدته التحريضيه على القتال ضد اهل المشرق :

بعض ابياتها :

عصفت ريح النكال بمايع
فسعى إلا عنادها وتمردها
بني القاسم المنصور عزماً على العدى
لقد بان للدين الحنيف جحودها
لكم همم تعلو السماك تطاولاً
فلم طال عن هذا الجهاد قعودها
في جانب الانصاف أن معوضة
تهان من ذي الانام زيودها
وللمذهب الزيدي كل غضنفر

[٢٥]) الإمام : هو محمد اسماعيل محمد بن القاسم خلف والده في الإمامه بعد وفاته سنة ١٠٧٨هـ .

يخل به عند الحروب حديدها
أرى بين عطيف رام مادون نيله
عظام تحاماها من اصيد صيدها
الم يكفه ما نال قدماً من الردى
والواه ما نال قدماً جدودها
الم تذكروا في مسجد النور (٢٦) منهم
رؤوساً الى يوم المعاد سجودها
لقد سقيت ارض المشارق منهم
نجيعاً وخضت بالسراحين (٢٧) بيدها

الى آخر القصيدة .

دين لم يؤخذ : قال المؤرخ الواسعي :

وفي سنة ١٠٩٤هـ اتفق رأي الامام واعيان آل الامام لديه على التجهيز على يافع وتحتم به الواجب حسبما أمر به الشراع ، فاعد الامام الطلائع واشار الى آل الامام بالاستعداد وشحذ السيوف الحداد ولما اوجب عليهم الجهاد قوبل امر الامام بالاسعاد وتأهب الجميع للجلاد ، فجمع الجميع وقدم سراتهم للوجه المشار اليه بعد ان امرهم بدعاء ((يافع)) الى الرجوع كما هو الواجب عليه وجعل مرجع الكلام والحل والابرام الى الحسين بن المهدي احمد بن الحسن فهو امير الامراء :

والملقب (بفارق السيل) واما مساعدوه فهم ((صاحب كوكبان بخيله ورجله والحسين بن محمد بحاشد وبكيل واحمد بن محمد الملقب بالحجر – والحسين بن المتوكل مع جمعه الموفور ، الذي اتفق وحريق بيت كان مخزون فيه البارود ادى الى الانفجار وقتل من جيشه أكثر من اربعمائة جندي ، وقيل كان

(٢٦) مسجد النور : عاصمة دولة الإمامة بيافع تقع ببلاد الموسطه .
(٢٧) السراحين : الذئاب .

سببها (هره) ربطت بذيلها النار فدخلت المستودع وادى الى الاشتعال وحينها تداخلت الجيوش ، وصلت السيوف بمحراب الطعان وذهبت من النفوس جملة من الطرفين افضت الى مقتل شمس الاسلام أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم الملقب ((بالحجر)) ودفن بالعر :

وقيل فيه شعراً رائياً :

وددت مصرع مولانا الصفي ولام
الرجوع في سلك قوم بعدما كسروا
وصرت انشد من كربه ومن أسف
ما اطيب العيش لو أن الفتى (حجر)

واصيب في ذلك اليوم علي بن أحمد بن القاسم برصاصة فت على الوهد عضده ثم هزمت الجيوش الامامية وجرت اذيال الخيبة ، وعادت موبخة ، وغنم أهل المشرق غنائم كثيرة .

اما الامير الحسين بن المهدي رجع قفلاً الى تعز وآل على البقاء محسور النيه حتى وافته المنيه ، تاركاً عند ابن العفيف ذلك الدين في الأخذ بالثار .

وفي سنة ١٠٩٦هـ كان الامام محمد بن اسماعيل بن القاسم قد امر صاحب المواهب المهدي بأن يوجه ولده الفخري عبدالله الى جبل حرير في الشعيب للمرزم على يافع تلك الجهة لاتمام التجهيز على يافع من كل الجهات . ولم يعجب الامام علي المتوكل ذلك التجهيز الذي اعده الفخري ، وكتب الامام هذا الكتاب معلناً انبري من ذلك نص الكتاب جاء :

بسم الله الرحمن الرحيم

المولى الامام أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، المؤيد بالله رب العالمين حفظه الله تعالى بما حفظ به الذكر المبين ، واصلح له وبه امور عباده اجمعين ، وقضى به اثار السلف الصالحين والائمة الطاهرين والسلام عليه ورحمة الله وبركاته في كل وقت وحين ، واما بعد حمد الله الواجب وجوده الصادق بعاده ووعيده الشديد الانتقام إذ انتهكت محارمه وانقضت عهوده والصلاة والسلام على سيدنا محمد

أفضل الانبياء وازكاهم واجل الاصفياء ومتقاهم وعلى آله الماشين على عقبه ، القافين اثره ، المتأدبين بآدابه .

فقد كنت ارى في النفس ، واحجمه في العهد الذي وضعته عن امركم لاهل يافع بالامس رجاء ان ينتبهوا له وينبهوا عليه وان يذكروا اشارة مني اليه واذا بكتاب من الوالد شرف الدين الحسين بن الحسن بن الامام بصورة من ذمار ويذكر ما عزمتم عليه ووجهتم همتكم العاليه اليه من الخروج على يافع لاجابتهم الامر . ورعايتهم واعانتهم اياه خروج عبدا لله الى ((حرير)) ولعله جمع الجموع وجهز الجنود . فقد وجب الآن التصريح بالمقصود ، قبل التورط والعياذ با لله فيما يسخط الرحمن ، والتبس بما لايؤمن معه وجه الخذلان . فاقول قد علم أمير المؤمنين .

صانه الله تعالى واياي من كل قادح في الدين .

اني قد وضعت ليافع زمن اليهم عن راية الكريم تلك الاوضاع المشهورة وكان ذلك للمصلحة التي قد ظهرت لي وله في تلك المدة بعد خروج المحاط من الزهراء مذعورة مكسورة ولم ابتدع ذلك الواقع ولاكنت له أول واضع ، بل تبعث فيه الصنو محمد والصنو حسين فيما وضعا لهم في تلك المواضع، بل تبعث فيه الامير وأن الشعيب مكتب من مكاتب يافع وانتهى اليكم ما فعلناه ، وجاء جوابكم في اجازة ماوضعناه وان المصلحة ظاهرة فيما وصفناه ، وكتبكم عندنا ناطقه بما ذكرناه ومضت هذه المده ولم يحصل من المذكورين ما يفسخ تلك العقده، واما ماوقع من الحواشب في الطرقات ، ومن الاجعود في حجر وتلك الجهات فمن اين لنا ان تلك الجرائم عن رضى من الامير قاسم اذ الرضى في الافعال القبيلة مجرد احتمال ، انه رضي أو امر لايهدم من مكان البراءة الاصلية. على إنا قد كتبنا اليه ، وهجنا عليه ، فأجاب انه لايرضى بفعلهم ، وانه بريء الى الله تعالى من عملهم . وطال ماحاول أن يقطى هؤلاء حقهم من لحج وعدن لتجري فيهم الموعظة ، ويكفوا عن التخطف على الوجه والجيس ، وذكرنا الاقوال والحق الذي تدين الله به أن اقدام عبدا لله الى ذلك المحل بغي لايرضاه الله تعالى إذ هو مما ((يباطن)) عقودهم ، واستمت عليه عهودهم وخروج اهل

يافع عليه من الدفع الذي اوجب الشرع وندب اليه ، فان كان هذا الاحشاد تحديداً للمخرج ، فاخبروني ما المخلص عند الله ، وكيف المخرج فأني حائر في أمري ، وناظر لنفسي ولمن ورائي من المسلمين ، مع اني لم اضع ماوضعت في مشهد عظيم من الرؤساء والعلماء ووجوه اعيان حاشد وبكيل واعيان من عليهم المعول من كل قبيل ، وصدر كتاب من المتبصرين منهم في الدين مستفهمين لأمر المؤمنين ومسترشدين وحق الله تعالى آكد الحقوق ، فالخالق اولى بالمراقبة من المخلوق وماتوفيقي إلا با لله توكلت واليه اتيب ، على اني لاآلو جهداً في النصيحة والمشورة الصادره عن نيه صحيحه فاقول ان هذه البعوث الذي بعثتم وان كثر سوادها وجل عددها واعدادها ، إن تقدمت الى حدود القوم كانت لهم غنائم وكان ذلك والعياذ با لله وهن المذهب وفضيحة آل القاسم ، فان المشرق ((يافع)) اليوم جمرة لايلتقي إلا بمثل اهله في القوة والكثرة، والرأي هو سداد هذا الثغر والاعراض عن مناهضة الشر بالشر والاشتغال بماهو أهم وما المعنى الزم من السعي في اصلاح ذات البين ، وتخليص السيره من كل شيء ، ليؤخذ في الاستعداد وامتحان الأجناد واهل الصبر والجهاد ومتى استكملت الأهبة وجوزت العقول بمعونة الله الغلبة ، يطلب الوجه المبيح لجهادهم ، والوجه المسوغ لشن الغارات الى بلادهم ، لتكون امرنا على بصيرة وتكون اعمالنا على صلاح نيه وحسن السريره والسيرة وما التهافت على مناهضة الاعداء الذين قد اجبروا على النزال واعدوا له عدة السلاح والرجال ، والحال هذا فيه اختلاف الراي وتوسط العهد والصلح ، ونعوذ با لله من الخذلان ونسأله العصمة من مكائد الشيطان وهو المستعان وعليه التكلان ، ولاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وفي سنة ١٠٨٩هـ

التفت ابراهيم بن المهدي ((الناصر)) على حرب ابن عفيف واوجب نفسه ذلك بتحمل التكليف واستشار من بحضرته وكان عبدا لله بن العلي جميل من احزابه بالظهرين فوجه الخطاب في الشورى اليه و راد استطلاع الخبايا وما لديه

فقال أرى التأخير في هذا الحال حتى تتساق الطعامات وتوفر الاموال ، واما والخزانة ليس بها شيء من المال ، فالحرب معهم من المحال ، فكلح في وجهه واستغشه ، وما شعر الناس إلا بالناصر راكب على الجواد يؤم نحو باب الفلاك وامر بالنفير ، ولم يلتفت الى قوله مشير ، وقال سيهد بنفسه على ابن عفيف ويطأ بسنابك الخيل معقله المنيف ..

ومما قال المؤرخ : إن الحرب اجلت حتى تم جمع الاموال والطعام واحتشدت القبائل وجعل على كل سرية قائداً من نفس القبيلة وخرجت هذه الحشود بقيادة الحسين بن الحسن الى الخلقه اطراف يافع وعندما الح عليه الناصر بالهجوم رأى أن قواته لم تكن مجهزة لذا وامام الحاح الناصر تمرد الحسين وخلع طاعة الناصر ودارة الحرب رحاها بين العائدين الى رداع وبين المؤيدين للناصر . وهكذا اراد الله أن يرد كيدهم الى نحورهم ، ويأمن الشرق المقهور من هجمة الإمام المدحور.



وثيقة تبين حياة نور علي العفيفي
والتي قتلت سنة ١١٠١ هـ وهي تقود قبائل يافع

وفي سنة ١١٠١هـ

وفي هذه السنة عزم الناصر على حرب المشرق (يافع) فقال المؤرخ :

التفت الناصر من حرب ابن عفيف الى ذلك الصوب ، وجمع الاجناد لقتاله . من محل أوب وناط عاتق التدبير بابن خليل وفوضه عن أمر القبائل في الدقيق والجليل ، واحب أن لايكون له فيها ذكر المذكور ، [وكان اثير الغيرة في مثل الامور] وكان هوى ابن خليل في تامير الحسن بن المهدي ، واحب مكافاته بماله عليه من الايدي ، فعومل بنقيض قصده من اطراحه مع غيرة من القوم .

فوجهت معه الاجناد وتوغلت دخولاً في البلاد ((وكاد يوجه بحزبه وحزب قبائله بشوامخ الاركان ومن جهته غشيهم الموج من كل مكان ولما بلغت الجيوش الى البيضاء وهي اقرب شيء من جهتهم اليه اجتمع اهل المشرق (يافع) قضهم وقضيضهم للاجلاب عليه حتى النساء توجهن معهم للقتال وبرزت نورهم [٢٨] (نور بنت عفيف) بين الصفوف وكانت على فرس تقاتل في ذلك المجال ، ولو كانت النساء عندهم مثلها ، فضلوها على الرجال ، وظهر أهل المشرق بكراتها سرورهم ، واختالوا فرحاً فذهب الله ((بنورهم)) فاصيبت في ذلك المجال ، وحملوها على الاعواد ، ولما اسود يومهم بالبيضاء وسمت يد المنون عليهم سبق القضاء ، وقطعوا الاوديه من بلادهم على الاثار وأمعنوا هرباً .

واجتمعوا ثانية بالعر فوراً ، وعنم المتخلف منهم ماكان من قبل نور بنت العفيف ولام بعضهم البعض ، وقيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً [٢٩] ثم ان الجنود الناصرية تبعتهم في اللحاق الى بلادهم وبذلت طاعتها في جهادهم ، ومازالت تصعد حتى ملكت العر وهي زمام أرض يافع ((ومن ملك استولى على جمل المنافع)) [٣٠] .

---

[٢٨]) نور بنت عفيف اصيبت بضربة سيف بذراعها مكثت مريضة ثم ماتت وقيل بأنها دفنة بالبيضاء وهناك من يقول إن قبرها غرف بالعر .

[٢٩]) استشهد المؤلف بالآية الكريمة رقم (١٣) سورة الحديد : يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا أنظرونا نقتبس من نوركم قيل أرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ...

[٣٠]) ومن ملكه أستولى على جمل المنافع : كان يقال في الماضي ((لا العر باقي فيافع بالوجود)) .

ومازالت الحرب تفور تنورها وتتعالى كاعناق المخاض لتورها ، وقد صدق الجلاد وحمي الوطيس وجاد يافع بنفوسهم واذا بعنس واخوانهم سلكوا الى العُر طريقاً فاستقل بها قدم وما شعر العدو (يافع) إلا والويتهم ترفرف على رأس الجبل وجاءهم من الأمر مالم يكن لهم برقعه قبل (دخول الزيود).

فدافعوا عن حوزتهم اشد دفاع ، وجادوا برؤوسهم دون تلك البقاع فيقال أن ابن خليل نفس اهل عنس واخوالهم على الانفراد باحماله ولم يعقب لائمة الامام في تلك الحالة ، فانحط من اثناء الجبل منكراً ، وسلبهم ماكانوا به ظفروا مع الاستظهار قسراً .

وقيل انه صانع بالمال من العفيفي لضغائن في نفسه ... ومن جل هذا انقلب ابن العفيف واصحابه الى حيث لايمكن اخذهم ... ثم يستمر وقيل بأنه حالف ابن الرصاص وابن العفيف .. وهذه الهزيمة جعلت الامام يشتط قهراً ورأى ان سببها ابن خليل الذي ادى الى انكسار آل عنس وانسحابهم من (العُر) .



بقايا حصن العر

معركة خرقة ذالمين

وبعد ان تحررت يافع وتخلصت مـن الزيـود تماماً لم يرضـهـم ذلـك الانفصـال وكذا فقد اعدوا العُدة في زمن الامام حسين بن المهدي لاسترجاع يافع وباي ثمن سيدفع .

وجيشوا جيشاً بدعم من قبائل رداع وارسل بقيادة عامر بن صالح لمحاربة يافع سنة ١١٠٢هـ جماد الآخر .

وبلغ الخبر يافع أن جيش الامام سيهجم عليهـم مـن ناحية قعطبـه ، فـاجتمع عدد كبير منهم على مقربة من قعطبة أي في الضالع لصد هجوم الزيـود ، ولكـن عامر بن صالح فاجأ يافع بالهجوم على ((خرقة)) حالمين وهناك اصطدم بقوة من يافع ، فاستمرت المعركة حامية الوطيس من الصبـاح حتى غروب الشـمس ثـم انسحب الزيود الى قعطبه تاركين خلفهم كثير من القتلى والجرحى ونتيجـة هـذه الهزيمة تركت اثراً سيئاً بصفوف الجيش الامامي ، وعنـد القـادة جعلـت الامام نفسه غير قادر على استيعابها مما ادى به الى دفع جيش آكثر عدة وعـدداً للأخـذ بالثأر واسند القيادة الى ابنه الامير قاسم والذي رأى بان المباغتـه في الهجـوم ليـلاً على (الخرقة) ستكون آكثر نجاحـاً وبـالفعل حقق النصـر ورفـع مـن معنويـات الجيش المنهارة وكذلك الامام الـذي خـرج هـو ايضـاً الى (دمـث ([31])) لجمـع القبائل وتمكن من جمع عشرون الف . ضـخ بهـم الى جبـل حجـيل (ربو ([32])) وجبل حجيل (تيم) في يوم واحد مما اسـتدعت الجمـوع اليافعيـه علـى الخروج للمواجهة في جربة (غالب) والتي سقط فيها قتولاً كثيره حتى قيل بانهـا لم تعـد تزرع القمح لكثرة تبلل تربتها بالدماء وفي الوقت نفسه كـان السـلطان معوضـه العفيفي بقبائله يخوض حرباً شرسة على سـفوح الجبـال في (تيـم([33])) أدت الى

[31]) دمث في يريم .

[32]) ربو : في يافع هدادها موسطي .

[33]) تيم : في ردفان .

هزيمة جيش الامام وانسحابه وبعدها تراسل الفريقين على عقـد صـلح يكـف بـه كل عن الآخر دون إعتداء .

لكن ذلك الصلح لم يدم طويلاً فقبائل الامام ما فتأت تتحرش بحدود الـبلاد اليافعية في الوقت الذي ابدا فيه اليوافع انضباطهم بشروط الصلح ، فرأى الامام ان ذلك السكوت خوفاً وتردد بل توهم بأنه ليس إلا ضعفاً .

لهذا فقد رفع وتيرة الحشود هذه المرة الى اربعون الـف مقـاتل حسـبما اشـارة المصادر التاريخيه .

وعلم يافع بذلك ، ثم عقدوا اجتماعاً (بالمحجبة ([34])) على اثره دعوا القبائل اليافعيه للخروج الى (ذيصراء ([35])) بينما هم انتقلوا من المحجبه الى (عنـز([36])) في ربيع الأول سنة ١١٠٣هـ وفي صباح الثلاثاء تحركت القبائل اليافعيه وتتابعت النجدات من كل ارجاء يافع نحو الحرية .



[34]) المحجبة : عاصمة للسلطان هرهره بمنطقة يافع العليا (بني مالك) .

[35]) ذيصرا : عاصمة مشيخة أو لمخيدة الضبي (بن عاطف جابر) .

[36]) عنز : مركز ولاية ابي بكر بن سالم وفي عينات وهي تابعه لمكتب الضبي وجزءه من سـديس الشرول .

معركة الخربة :

تدفقت المكاتب العشره في يافع حسب الخطط المرسومه في (المحجبه) والتي سبق واعدها القاده اليافعيين .

فاحاطوا بجيش الامام وطوقوه من كل حدب وصوب وشنوا عليه هجوما عنيفاً استعملت فيه الاسلحة النارية والاسلحة البيضاء (السيوف ، الجنابي ، القووس والرماح الطويلة) إيما استعمال واجادوا فنون القتال ((الكر والفر)) الالتفاف الى درجة لم تمكن جيش الامام من الفرار ، حتى انهم عمدوا للاختباء بيبوت الخربة وتحصنوا فيها في مقاومة يائسه ، فمنع عنهم القوت والمياه، مما اضطر الامير يوسف أن يرسل كتاباً للامام يشرح فيه ما حل بجيشه ، ويشكو من وطأت الحصار ثم انه طلب بمضمون كتابه الموافقه له بالانسحاب والعودة إلا ان هذا الكتاب وقع بيد يافع ولم يصل للامام . ولما بلغ الأمير ذلك طلب الهدنة من يافع ثم الانسحاب ، فاجابه يافع الى ذلك واعطاه الامان بالانسحاب والعودة بفلول جيشه بعد درس كاد أن يقضي عليهم .

وفي سنة ١١٠٢هـ

الحرب على تيم (ردفان) والضالع وتصادف ان خرج ابن [خليل([٣٧])] من القبائل اليافعيه لمساعدة ابن شعفل وبينما كانوا في طريقهم تفاجأوا بالجيش الزيدي يكتسح حالمين و(تيم) وقد توغلوا كثيراً ، فاغتنم اهل يافع الوثوب على الامراء اللذين كانوا ينتظرون عودة الجيش الزيدي على تل وعددهم اربعون على رأسهم علي ابن يحي ابن الحسين بن المؤيد بن القاسم ومعه الأمراء سعيد قاضي ومسعود واسعد .

وكانت ليافع الغنيمه البارده واتوا بالقتل على الامراء حتى آخرهم ، [وصرعوا في التراب على مناظرهم] وكانت قضية شنيعه عرفت عند الزيديه

[٣٧] ، خليل بن جابر من الناس اللذين تمردوا على القاسم بن المؤيد وكان سبباً في هزيمة الغر للامام ولجا الى يافع هاربا من بطش الامام ويقال أنه من قبائل همدان .

وقد لمح الحسين بن علي بن المتوكل في قصيدة له يحرض جيش الامام ويحثه على الأخذ بالثأر : —

وفي ارض تيم تم فيها لاهلها بقتل على مقصد ومرام

حرب الزاهر والدرب ([٣٨]):

وفي سنة ١١٠٤ هـ لم يقتنع الامام بنتيجة حرب (الخربة ([٣٩])) واراد ان يكرر التجربه ولكن هذه المرة حاول ان يسقط احد الاجنحة اليافعيه في المواجهة، وتمكن في باديء الأمر من اقناع الرصاص للانحياز الى صفوفه ، واضحت بلاد البيضاء معسكراً ومحطة اساسيه لجيش الامام ، اخافة الرصاص لقربها منه وانما ادرك يافع ذلك الخلل وحاولوا أن يتداروه قبل بدء المعركة فأخذوا على الاتصال بالرصاص سراً ، وتمكن عقلاء يافع وسلاطينهم ومشايخهم من اقناعه من ان ذلك لن يكون في صالحه .

وفي نفس الوقت كانت الحشود اليافعيه تتوارد على سفح جبل ((العر)) ((وحبه)) في اول رمضان من ذلك العام المذكور توجت بقدوم السلطان معوضه بمكاتب بني قاصد إلا إنه وافاه الاجل في القاره في ١٣ / رمضان نفس العام وحل محله ابنه قحطان ليكمل مسيرة التضامن في العشرة الأواخر من رمضان وهذا ما شجع السلطان احمد بن علي الرصاص وعشيرته بأن ينضم هو ايضاً الى (معسكر العُر) وكان ذلك في الثاني من شهر شوال وعندما تم جمع الوفود اتفقوا على عقد حلفاً لا انفصام له مهما كانت النتائج ، وتعاهدوا بأن يكونوا كتلة واحدة وان يقوموا بواجب الدفاع عن بلدانهم مهما كانت التضحيات . وبعد هذا الحلف الثاني .

وتقابل الفريقان في (الدرب) ودارت رحا المعركة بضراوة وبدت علائم النصر ترفرف ليافع عندما شهدت شراذم الجيش الأمامي تتوالى فارة .

[٣٨] ، الدرب : درب الحد قرية من الزاهر وهو غير درب ذي ناعم .

[٣٩] ، الخربة : من خرائب الحلقه القريبة من حدود رداع والتابعة ليافع .

وتولى مذعورة نحو البيضاء وبعد تحرير الزاهر انتقلت القبائل المتحالفه تطارد فلولهم فتحاصرهم في البيضاء ، فكان ان هربوا نحو (نجد السلف([4])) وهناك حصلت معركة عنيفه اظهر فيها اليوافع وآل الرصاص والحميقاني استبسالاً منقطع النظير ، جعل جيش الامام لايقو على المواجهة فأعلن استسلامه فاشترط عليه المهاجرون ان يسلم سلاحه ايضاً وان يعود الى صنعاء مسلباً (أي جرد الجيش الامامي من السلاح) وفي الوقت الذي كانت الحرب تدور رحاها بنجد السلف هجمت فرقة زيديه على قلعة ابين ومنعت الماء والطعام على حاميتها اليافعيه وتم اسقاطها سنة ١١٠٤هـ واستسلام حاميتها بقيادة الشيخ صالح الكلدي واستطاع الخلف اليافعي الرصاصي الفضلي من استردادها فيما بعد ، وقيل بعد لقاء سيلة ذي ناخب سنة ١١٠٥هـ قرر الملتقون طرد الحامية الزيدية وتحرير قلعة الطريه .

قال المؤرخ و في سنة ١١٠٥هـ بعد وفاة معوضه بن عفيف ببضعة شهور ، وحينما بلغ الامام خبر وفاته اذن للمشرق بالنفير وجهز الى حربهم الجم الغفير .

وبعرصة الزهراء نصب له الخيام [وانثال اليه اهل العاليه والاهتمام] وكان صار اليها وجعل الى اخيه المحسن بن المهدي تقديم الجيوش ومصادقة الاقران ولما صار بالزهراء ثارت المشرق بالقعاقع والارجاف وخشي الامام سح سحابها بالعارض الوكاف .

وكان وزيره القاضي حسين الحيمي المشير عليه بالتقدم بنفسه الى الزهراء وظن به الظنون ، وكان الامام تجسد في باله غير الواقع ، وعملت عنده تلك القعاقع ولما وجد أهل البغضاء له قبول القول اشاروا عليه بغير الواقع وحثوه على الرجوع الى دار ملكه على الفور ، فترك الامام كلما اجلب به الى الزهراء وركب ظهر الغبراء الى الخضراء ...

إلى ان يقول :

وكان ماترك الامام بالزهراء الغنيمه البارده لاهل الشرق [يافع والبيضاء] وظفروا بما لم يكن لهم في حساب من الغنائم ، ولما استقر الامام برداع ، وعرف

---

[4]) نجد السلف منطقة اثرية وخرائب هي الآن قرية من البيضاء وكانت تسمى (وعلان) .

انه بيع وما اباع علم ان ذلك الانهزام من الخطأ ومن كيد الاعداء فبطش بالمشير الحيمي .

معركة المعسال : طمع الامام قاسم بن حسين المهدي في احتلال يافع ولهذا فقد قام بمحاولة سبقت معركة المعسال معركتين لاتقل ضراوة عنها قيل عن الاولى انها حدثت اسفل (العر) سنة ١١٠٧هـ وكان الجيش لايقل عن ثلاثون الف الحقت فيها هزيمة منكره واستولت يافع على اسلحته وعلى كثير من المؤن العسكرية ، والثانيه في لحج الرعاع وبالسلاح الأبيض .

من جراءهاأقامت بها بني قاصد والحقت بجيش الامام هزيمة أخلي القنعه وفي سنة ١١٠٩هـ حشد الامام اربعون الف على أمل أن يدخل بها يافع ، وكانت تلك الجيوش من خيرة القبائل المقاتلة وعلى رأسها حاشد وبكيل وسفيان وقد اختير لها قائدان عسكريان لايقلان حنكة ودهاء وخبرة في فنون القتال وهما ابنى الامام محسن ويوسف . وفي المعسال على مقربة من رداع اشتبك الفريقان بمعركة لاهوادة فيها إستخدمت فيها كثير من الاسلحه المعروفة آنذاك فانتهت بهزيمة جيش الامام وانتصار يافع ، وكان الانسحاب بعد هدنة اقرت لمدة سنة بين الطرفين المتحاربين .

اشار اليها المؤرخ الواسعي قائلاً :

وفي سنه ١١٠٩هـ شهر رجب

جهز الامام جيشاً ، الى المشرق (يافع) ولم يؤمر فيهم من يذكر إلا ان فيها حماة الرجال فكانت اللحمة بالمعسال فأخذ السيف ما أخذه [وشبع من اشلاء الجميع ذئبها العسال] [وانجلت المعركة عن قتل كثير وولت الكماة ظهورها لعدم التأثير] وانهزم اجناد الدولة [جيش الامام] بتلك الوظيفة وتغير الهواء من نتن القتلى بالجيفة ، واصيب بعض السادة من آل الحيشي مع علي بن هادي العلفي .

وبعد خمس سنوات من دخول قلعة الرعارع في لحج أي في سنة ١١١٤هـ قصد قحطان بن معوضه بن عفيف الى عدن والعامل بها السيد مجاهد من أهل

حجرية اليمن فدخلها عنوة وقتل العامل المدافع واستباح امتها رعافيها . ولما بلغ الامام بعث الجيوش كالغمام وامر صنوه الحسن بن المهدي عليهم ، فما كان يوم سادس الا والحسن بلحج وما وصلت إلا جناد إلا والبغاة (يافع) بلادهم فاصلح الحسن بها الفاسد ، ودس على العبدلي فقتل بجنايات تكررت منه ، وما برح الحسن باقياً بعدن الى ان فتح الصوب الذي برجله من قديم فقضى به الى المنيه فقبر بعدن رحمه الله .

وفي سنة ١١١٤هـ من العام نفسه :

جهز الامام ولديه ابراهيم وعبدالرحمن لحرب يافع وجهز معهم عسكر من الاتراك واهل العرفان بمواضع العراك فانتهى التقدم بهم الى محل (يقال له الصدر(٤١)) فخيموا فيه بتلك الابهية فجاءهم مالا قبل لهم به من الاقوام واحاطت بهم المشرق احاطة المعشوق بقلب المستهام وكان بينهم الجميع معارك وقتال وسقط من القتلى من الجانبين ما لاتحيط به الاوصاف وثبتت اقدام وزالت اقدام ولما حمى الوطيس واستظهرت اهل المشرق والاباليس كثر القتل في الركن الامامي ، وأدى الى الرجوع والوطيس حامي ، فدخل بعضهم الى قعطبه وبها القاسم بن الحسين بن الامام المهدي فلبثوا ما شاء الله بجواره وارتحلوا عنه الى الامام وطاح ذلك المركز العجيب وتم الكلام .

ومما قيل ان هذه المعركة بقيادة السلطان قحطان والذي كان مطارداً اياهم حتى (جبن ودمت (٤٢)) وعاد اليوافع بكثير من غنائم السلاح والعتاد والركاب ، وانسحبت بعض فلول الزيدية في اتجاهات عديدة منها في مخيم وموقع عسكري كانوا اعدوه اسمه (الراكب) قريب من الزاهر .

---

٤١ : الصدر نص تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحاكم العثماني الاول .

٤٢ : جبن : كانت عاصمة الدولة الطاهرية (المقرانه) وكانت عدادها يافعين كما اشار الى ذلك الهمداني في القديم .

الصهاره والصداق

كما أوضحنا سلفاً حاول التقرب الى اهل المشرق عن طريق النسب والصهاره لكي يخترق صفوف وحدتهم فصاهر الرصاص ، العولقي ، اليافعي وكانت ان اوتت ثمار تلك الفكره بأن تزوج من كريمة السلطان قحطان ، واما الامام المهدي (صاحب) المواهب فقد خطب بنت السلطان قحطان ، ولكي يشق صفوف اهل المشرق فقد تعمد إرسال الصداق عبر بلاد حالمين من دون ما استأذان مسبق واعتبر امير حالمين ذلك انتهاكاً لحدوده مما اضطره لايقافها ومصادرة مابها من ذهب ، مرجان ، فضه ، كساء ، سلاح ، خناجر مرصعه .

فأثار ذلك التصرف السلطان قحطان فهبت معه يافع واحاطت بحالمين من كل الجهات .

إلا ان المناصبه من رجال الدين وعلى راسهم (عبدالعليم) والسلطان ناصر بن هرهرة وبعض عقلاء يافع حالوا دون تفجر الموقف .

وردوا كيد الامام باصلاح الخلاف بأن تسترجع القافله مع رد الاعتبار لبياض الوجه (٤٣) بعقائر تذبح للمكاتب اليافعيه وللسلطان قحطان المعنى بذلك الصداق المرسل من صاحب المواهب . والسؤال الذي سيبادرنا لماذا اختار طريق النسابه والمبالغه في الاكرام ؟! .

سنجتهد في بيان الاسباب :

(١) لشق صفوفهم بعد تحالفهم اذ ان الصهارة لاترضي البعض .

(٢) لكبح جماح اندفاعهم في التحرير .

(٣) لاتخاذهم كحلفاء لاطفاء نار الفتنه المشتعله بين امراء الائمة .

(٤) لايقاف المواجهة معهم على الاقل في هذه الفترة بعد تساقط معاقله في بلدانهم .

---

٤٣) بياض الوجه : طريقة قبليه متعارف عليها في رد الإعتبار .

فهل نجح في ذلك الاتجاه الجديد ؟!

لم يحقق نجاح اذ ان حرب التحرير استمرت بعد النسابه .

معركة الطريه (أبين)

وفي الثاني من شوال سنه ١١١٤هـ أجتمع السلطان قحطان والسلطان صالح بن هرهرة والسلطان احمد علي الرصاص والسلطان منصر العولقي في (الغر) وحسموا الخلاف الحاصل بين السلطان قحطان بعد وفاة ابيه وبين السلطان عبدالله بن احمد الفضلي والذي كانوا أي الزيود قد حاولوا استمالته من الخلف السابق بان ساعدوه في استرجاع (الطريه) من اهل يافع حيث امدوه بالسلاح وضربت قلعة الطريه ولجا امناء القلعة الشيخ صالح الكلدي واميرها الى يافع عند العفيفي سنة ١١٠٤هـ آنذاك لكن السلطان عبدالله الفضلي ندم على موقفه هذا واجتمع بالسلاطين (كلد) اسفل ذي ناخب وحالفهم على محاربة ضد الامام بعد ان اساءوا اليه وعزم بدعم التحالف على اخراجهم من أبين (التحالف الثالث) .

وفي سنة ١١١٧هـ دخل المتحالفون أبين واخذوا قلعة الطريه من الحامية الاماميه بعد حصارها ومنع الامدادات حتى استسلموا على ان يخرجوا بسلام كان ذلك بقيادة السلطان قحطان بن معوضه اليافعي ومما قيل في ذلك شعراً:

هده كلد يوم هده على الطريه *** هده وخربة واصبحه القلعه خليه

مشيراً الى ان الخروج من القلعه كان ليلاً ...

حضرموت وعدن لحج :

لبت يافع نداء المستصرخ الولي ((علي بن احمد بن الشيخ ابوبكر بن سالم)) ولي عينات عام ١١١٦هـ لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذي انتحل

مذهب الزيديه وعظم شعائرها وأرسل بدر بن طويرق بعقائر الى يافع فوجه معه السلطان عمر بن صالح هرهره بستة الآف مقاتل لازالة بدعة الكثيري .

وفي الوقت الذي كان به شقيقه السلطان ناصر بن صالح يقود جموع يافع لاسترداد لحج عدن وتحريرها من الاحتلال الزيدي .

فتمكن من طرد الزيود وتحرير عدن ولحج ولم تأت سنة ١١٢١هـ إلا وعدن ولحج محرره تماماً ، حسبما اكدت البعثة الفرنسية في ذلك العام من ان حاكم عدن مستقلاً عن امام صنعاء وكانت لحج قد حررت سنة ١١١٧هـ واضحت مقاليد الامور بيد يافع ، كذلك عادة الاجداد اليافعيه من حضرموت سنة ١١١٩هـ بعد ان ثبت حكم بدر بن طويرق .

هذه الصفعات المؤلمه اربكت جيش الامام وجعلته يفقد التوازن والسيطرة على المناطق الجنوبية وفي عهد نخبة من سلاطين يافع عرفوا بقوة القيادة واتخاذ القرار في المبادرة والمباغته مثل السلطان صالح بن احمد ، وناصر بن صالح وقحطان بن عمر ، وعمر بن صالح والسلطان معوضه العفيفي وقحطان بن معوضه وسيف بن قحطان وفي عهد هؤلاء استمرت الحرب سجالاً مع جيوش الائمه ولم تجد صهاره ولاانسابه .

استقلال لحج

لم يدم ماحققه السلطان ناصر في لحج وعدن من انتصارات فقد عاد اليها جيش الامام ، وملكها من جديد أي بعد سنه ١٧٠٩م حتى سنة ١٧٢٨م عندما حاول الاستقلال الشيخ فضل بن علي العبدلي فقتل مع مساعديه من يافع ولاة الامام بلحج وعدن سنة ١٧٣١م قاصداً من ذلك الأخذ بثار أبيه ثم الاستيلاء على المدينتين . وعندها اعلن استقلال للاماره العبدليه وانفصالها عن دولة الامام حسين بن قاسم منذ سنه ١٧٢٨ وأن لم يستكمل طرد الزيود إلا بعد الاستعانة بيافع ، فما كان من رد فعل الامام المنصور على تلك الجراءة ان

جيش جيشاً قوياً واسند قيادته الى الامير سنبل الصادق والشيخ احمد الوادعي سنة ١١٤٤هـ – ١٧٣٢م .

ودارت حروباً كثيرة انتصرت في بدايتها عساكر الامام ودخلت لحج وعدن ثم نكف العبدلي لطلب دعم يافع فكر على سنبل بمساعدة السلطان سيف بن قحطان العفيفي واخرجهم من عدن ولحج سنة ١١٤٤هـ بهجوم واسع النطاق براً وبحراً وبعد حصار دام ثلاثة ايام .

فمن ناحية البحر نزلت القوارب على بندر حقات وظيواس ([44]) من ناحية الجبل . ومن جهة البر نزلت اليوافع الى قرية (قدم) . وهاجموا من ساحل ابين وعن طريق خور مكسر وكان ذلك بالمجاهين بقيادة السلطان سيف بن قحطان والشيخ فضل بن علي العبدلي ، ونظراً لهذا النصر المباغت سنة ١٧٣٢ اتهم الوالي بأنه تساهل في الأمور مع اهل يافع بل قيل انه ساعدهم في تحقيق هذا النصر . ويعتقد بأن الامان الممنوح له من يافع للخروج هو وقواته بقيادة المنصب الشريف بن عيدروس ربما كان شرطاً من شروط الانصياع لأهل يافع ونوعاً من المؤامرة معه كما اعتقد الامام .

لكن الحرب لم تنته فلحج لازالت مع جيش الامام لذا فقد طلب الشيخ العبدلي من السلطان سيف العفيفي استكمال تحرير لحج مقابل شروط معينه للسلطان فكان الزحف من الجهتين احداهما من ابين بقيادة العفيفي والثانية من عدن بقيادة العبدلي حتى تكللت معاركهما بالنصر الحاسم ، وقبل جيش الامام المهزوم بشروط المفاوضه للاستسلام والانسحاب بكامل معداته سنة ١١٤٥هـ – ١٧٣٣م وبعد هذا النصر التام أضحى لزاماً على الشيخ فضل أن ينفذ شروط الاتفاق وهي كالآتي :

(١) مد السلطان سيف بن قحطان المساعده للشيخ فضل بن علي وتمثلت بالمال والرجال والعتاد العسكري اللازمة لاخراج جيش الامام من لحج وعدن .
(٢) يكون الشيخ فضل تحت طاعة السلطان سيف (كعامل) من عماله ويبقى شيخ من مشايخه .

[44] : حقات وظيواس : ممرين للدخول على عدن من جهة ابين .

(٣) تكون عدن للسلطان سيف ولحج لسلطان فضل .
(٤) مدخول لحج يكون لسلطان سيف ([45]).

ونظراً لاجحاف هذه الاتفاقيه لأنها لم تدم أكثر من ستة أشهر وان كنت أرى بأن رأي المؤرخ احمد فضل القمندان أقرب الى الصواب بأن يكون نصف خراج عدن ولحج وخمسمأة قرش سنوياً للسلطان العفيفي .

وبعد تلك الهزيمة للجيوش الإمامية، لاذ الأئمة بالصمت وأخذ الشعراء يخففون وطأة الكسيرة ويتغنون.

ومما قيل في هذا شعراً أنشد شعراء الامام قائلين :

رويدك أن اليوم يتبعه غداً ... وإن صروف الدائرات تدور
سيأتيك قوم من بكيل وحاشد ... فتصبح في ضيق الوثاق اسير

إلى ان يقول :

فيا فضل لست الفضل بل انت مارد ... تجاريت في أمر عليك عسير

في مرثاة الامام أحمد بن الحسن وكتبت على ضريحه سنة ١٠٨٢هـ والمشرق لازال جاثماً تحت الاحتلال الامامي :

إمام الهدى الهادي والفضل قاتم ... وعبد إمام عابد متبتل
ومن لم يزل يحمي الزمان بعزمه ... ويكشف عن سكانها كل مشكل
لطهر القطار البلاد بسيفه ... ومهدها للقائم المتوكل
فحاصر صنعاء عند ذاك بجحفل ... يظلله فيه عجاجة قسطل
وسار الى لحج واطلال خنفر ... بكل فتى ماضي العزيمة فيصل
فاصلحها ثم انثنى نحو صعدة ... فزحزح عنها معضلاً أي معضل
وأم بلاد الجوف والخوف قد عصا ... فصارت عند الخوف الشديد بمعزل
وسل على الرصاص في الحروب صارماً ... جوانبه مصقولة كالسجنجل

[45] : ليس صحيحاً أن يكون المدخول كاملاً وهناك آراء متعددة حول صيغة هذه الاتفاقيه لكن ماذكرناه آنفاً هو الاقرب الى الصواب وقد اعتمدنا على ماذكره المؤلف محمد سعيد (١٩٣٧م – ١٩٤٧م) في كتابه الامارات الجنوبية .

فعادوه مستأنفاً تحت عذره … كبيراً ناس في بجاد مزمل
وفي يافع لم يبق للقوم نافع … من السيف في يوم الهر محجل
وفي آل فضل سرح من كمانهم … سوى هالك تحت القتام أو مقتقل
وفي حضرموت فل حد جيوشهم … وحكم بعض الضد في كل مقتل
وعاد إقلال جد أذرما … بكف الأيادي جحفل بعد جحفل

قال المؤرخ وفي سنة ١١٢٠هـ يوم الاثنين خامس ربيع الآخر

جمع الرصاص وبن هرهره المشرق جميعاً وقصد بهم إلى مدينة (إب[٤٦]) يريد بذلك نكاية بالفقيه محسن الوزير ، اذ كان بها داره ، وفيها اهله وقراره وكانت الباعث لخروجهم أن الفقيه محسن لما وصل اليه مكاتبة عمر بن صالح لم يقابلهم بقبول ، وتلقاهم بالكلام السارف ، مما اثار به حفيظه عمر بن صالح ، فلما كان همه الى الخروج بعسكر موفور ، فجاسوا خلال الديار ، وزاعوا الاطفال والاشرار والاخيار ، ودخلوا المدينه عنوه وانتهبوا بعضاً أو النصف منها والنصف الآخر دافع عنه اهلها وحصل قتل بين الجانبين واستمر النهب في المدينه نحو يوم وليله وانفصل عنها راجعاً الى بلاده ووقع فيها من لاذنب له . واما بيوت الفقيه الذي هو المقصود ([٤٧]) بالمخرج فسلمت ولما بلغ الامام ([٤٨]) هذه الحركة شن الغاره اليهم وبعث من بحضرته في أسرع حال وبذل للاجناد الاموال وامر عليهم عماد الدين يحي بن علي المتوكل والناصر بن الحسين بن الحسين ، ومحمد بن حسين بن عبدالقادر ، وصاحب كوكبان ، فسلك بهم الدليل المضايق، فانتهى بهم محاذياً لجبل يراخ عند العذارب وهو محل فيه اشجار تشده واحجار الرطه في الحده لامجال فيها للخيل والرجل فتصدف بها المقصود والقاصد من غير اختيار ، فكان جمع الامام ليافع على الغنيمه الباردة ([٤٩]) (عبثوا بهم كيفما شاءوا واعانهم على السلك بين الشجر والحجر على قتلهم) وكانت قضية شنيعه وحادثة صارت القلوب من اجلها وجيعه وانجلت المعركة عن استئصال وتقطيع الهام ، وعن العماد يحيى بن علي المتوكل ، والناصر بن الحسين بن الحسن (نحرا) صريعين وكان قحطان ممن شارك في قتل العماد فاصابته من ذلك الحال [الى ان قتل] رعشه في جسمه ، وانقاد وكان يقر إن

---

[٤٦] (إب) كان العامل عليها حينئذ السيد حسن بن محمد الحراني .

[٤٧] المقصود عمر بن صالح هرهره .

[٤٨] الامام المقصود بهذه المعركة (صاحب المواهب) .

[٤٩] كانت الغنائم حمولة الف جمل غير ماهو محمول على ظهور الحمير وظهور الرجال اشير الى ذلك في كتاب بغية المريد .

ذلك سيه المشركة التي اوردته الى التهلكه ، وأجتز اللثام راسيهما وعلقا على شجرة [سميت فيما بعد الشجرة الباكيه لكثرة الدم الساقط باوراقها] وعرفت جثة العماد يهق كان فيها فحملت الى [العذراب] واضيف اليها الراس ودفن هنالك وفر بنفسه صاحب كوكبان والجه الفجه من الاجل عن المهالك .

وممن قتل معهما علي بن محمد بن احمد بن صالح بن ابي الرجال . وعلي بن مهدي الجوفي ، وكان مما يعد في الابطال ، وذهب ابن هرهره عمر بن صالح يصل النهار بالليل ممتدحاً بقتل ابني النبي (صلعم)، وشامت بالامام ولما بلغ الامام هذا المشقق وجه الحسين بن علي بن المتوكل شقيق العماد المقتول الى حاشد وبكيل بالعقائر في بلادهم . وامره باستثارة حفائظهم والمسارعة بوصولهم. وطلب الامام كل قبيلة اليه واحيهم للمخرج وخاطبهم قائلاً دونكم الاخذ بالثار من يافع ففعلهم هذا هو في الحقيقة حط لكم معشر الزيدية . ونص على ، صالح حبيش وابن جزيلان . فهذا قائد برط وهذا قائد سفيان و سنحان الامام [سحار ، ويام ، وآل عمار ، ووائله ، وشاكر ، وخولان ، ووادعه] وبذل من الاموال ، في كشف عاره هذه الملمه وجعل الحل والعقد بنظر صالح بن حبيش . وامر الامام وزيره محسن الحيشي الفقي ان يفضله في العطاء على ابن جزيلان [وان يكون الكتب بينهما بما يقضي عدم التفضيل بينهما في السر والاعلان] وكان الفقيه المذكور لايحب استئصال [المشرق] لاتحاد المذهب بينهم . ولما كمل الزلاج للاجناد تقدموا الى رداع [وجعل الامام مع ابن حبيش وابن جزيلان امراً من آل الامام ثم صارت الجموع الى المشرق كالجراد المنتشر .

[حتى قيل ، أو هذا من البرزخ قد حشر] ولما التقى الجمعان وثبت الابطال الى الطعان وكان كل واحد من القواد المذكورين في مطرح وحده مقابل العدو [أهل يافع] فقاتل ابن حبيش بنواحي [المعسال] وقتل القتل الذريع من المشرق [البيضاء يافع] فبينما ابن حبيش يتوغل وقد ظهرت له دلائل الفتح ماراعه إلا انخذال ابن جزيلان في عسكره . فدهش ابن حبيش لعظم الواقع وتفرقت الجموع عنه في تلك البلاقع ، وانكسر الجموع بانكسار ابن جزيلان .

واستظهر اهل المشرق بعد ذلك ، ويقال ان عمر بن صالح بذل لابن جزيلان مالاً جزيلاً في الانكسار .

فكان منه ذلك وقبائل بن جزيلان اطوع له من الفعل في الضلالة ، فاضطر ابن حبيش الى التاخر في جهة الانهزام ، ولم يخلص إلا بعد جهد جهيد ، فانتهب اهل المشرق الاسواق والمسيرة وتبعوا اصحاب ابن حبيش على اثر الكسيرة والقتل [منهم] في خلال ذلك من الفريقين واعتصم بعض اصحاب ابن حبيش ليلتهم بقلعة المعسال وحفظوا نفوسهم باصدق [الوضع التي تحرم دونه الآجال] فبذل لهم اهل المشرق الخروج منه مسلمين واللحاق باصحابهم المنهزمين .



صورة وثيقة

وثيقة صورت من كتاب تاريخ اليمن للواسعي

وفي سنة ١١٢٧هـ

وفيها وجه المهدي سعيد بن صالح مغلس بمال جزيل يستدعي له ((المشرق – يافع)) وذلك لما أيس من جهة القبلة (*) فتقدم سعيد مغلس وجاءت طريقه الى رداع وبها ابراهيم بن الحسين عاملاً من قبل المهدي فعرف انه ترك ابن مغلس يدخل (يافع) وكانت اول الدائره عليه .

فقبض عليه وما جاء به من الاموال ، وكان له الهدية الباردة وعاتبه المهدي على ذلك لأنه محسن الظن به فرد عليه الحجر قائلاً أنت الذي دعيت المشرق (يافع) الى نهب رداع .

وفي سنة ١١٢٥هـ

حاول اهل المشرق احتلال قعطبه وبها الامير عبدا لله بن طالب بن المهدي احمد معللين اخذ المكوس المقرره لهم من الدوله ومن العوائد المعتاده لكنهم فشلوا وعادوا الى المشرق . يافع .

وفي سنة ١١٢٨هـ

هب الوالي عبدا لله بن طالب والي قعطبه يستنجد بيافع لردع الامام احمد بن الامام يحي بن علي صاحب صعده .

وقد لبى طلبه قحطان بن عمر هرهره ، وتحرك نحو قعطبه في جحفل جرّار استطاع ان يهزم يحي بن علي قايد الجيش الاحمدي ويؤسره ويستولي على جميع ماجلب من الخيل ، الدروع ، الركاب ثم يقتادها الى قعطبه ليحطها تحت تصرف الوالي عبدا لله بن طالب .

(*) القبلة : جهة الغرب .

وفي سنة ١١٤٠هـ

فارق ابراهيم بن محمد بن المهدي المواهب يريد استجاشة (من المشرق يافع) فلما وصل اليها ماكانوا اهلاً لما أمل منهم من النصرة وماطلهم سيف بن قحطان وتقارب له قحطان بن عمر هرهره وباطنه مع عبدا لله بن طالب وانما اجتمع له من غوغاء المشرق الذين لايعول عليهم فقصد بهم رداع .

وكان بها محمد بن زيد بن المتوكل ولاالـوه ، عنده للدفاع فتحصن بالقلعه ودخل ابراهيم وهو من جمع فانتهبها ووصل الخبر لعبدا لله بن طالب فعاد لاسترداد رداع واخراج محمد بن زيد من القلعه واتخذ رداع دار قرار ، أما ابراهيم بن محمد رجع الى المشرق يافع وضاق به الحال وتعذر نصرة المشرق له واستحال فاضطر الى الصلح بعد مداولته مع مزيده قحطان بن هرهره .

وفي سنة ١١٤٤هـ اشار المؤرخ الواسعي فقال :

قصد اهل يافع ثغر قعطبه وكان بها اهل الثبات أي رتبه فدخل البغاة البلد بمكر بعض اهلها وفشل العامل فجمع الرتبه الى دار الدولة وتفرقوا في مراتبها وحفظوا بالرصاص جوانبها . وفيها من يافع للثمانة أو أكثر وانتهبت يافع المدينه فلم تبعد ولم تذر وسلم بيت الدوله ورجع البغاة بلادهم .

وفيها قصد العبدلي وسيف بن قحطان الى لحج وفيها الاجناد الاماميه فقصدهم على حين غرّة وبالغاً في التضييق عليهم فضاق بجند الامام الحصار وتنافس الامراء بينهم وهبت ريح الاختلاف بالحصار وبلغ الامام فامرهم بالغارة الشعوى وكتب الى فضل العبدلي يحذره عواقب البغي بما فعل، ولما أمر من صباح عزمه بجنوده ، ناط علاقتهم برجل منهم اسمه محمود فخاض اللجج لجج الاقتحام فوجد العدو (يافع) قد احرق بالقلعه وقد حفظت الادراك عن الاتصال بالمحصورين ، وواجهة فضل العبدلي نفسه على الثبات للحصار ، وما كان العامل

للدوله تدبير يؤمل له الانتصار ، وآل الامر الى الخروج من بلحج بصلح العقد ولما انتقل الى الامام فغضب على العمل والقائد ورجعوا الى الحضرة واستبدل بلحج وعرف .

وفي سنة ١١٥٤هـ

امر الامام السيد الشامي عامل قعطبه بالتقدم الى (الجند)[١] فحرك يافع بمال بذل لهم ليتخلص بهم الى المشار به اليه الامام فخرج قحطان في نحو ثلاثة الآف ، وكان صنوه ابا بكر الى جحاف فانتهب الطماع مع قحطان اطراف جبل بعدان فنظر الشيخ محسن أن دفعهم أهم من التوجه على تعز فبادر من (جبلة) إلى (إب) في قصدهم ، وقدم الىطلوع الجبل قبل مقدمه ، فلما عرف اهل المشرق (يافع) بقصد الجيوش الاماميه اليهم ولوا على اعقابهم هاربين ، ثم بعد ذلك توفرت الجيوش عند محسن وتحمل فوق ماطاق مع ميله الى التخفيف على الرعايا بالمطالب فان الأمير (يمن) كان اهلك الطارف والتالد .

وفي سنة ١١٥٨هـ

استدعى احمد بن المتوكل اهل يافع لما عرف ان احمد وهيب بالخجرية صار يمد الى بلاده فخرج اليه قحطان وصنوه ابو بكر في نحو عشرين الفاً من يافع فوصلوا وقدمهم منها : الى محل يقال له (الغرس) مابين تعز (يغرس) فقدم اليهم أحمد وهيب مقدمته وهوفهم هائب وتاخر بعدهم (بتدبير العواقب) فلما تراءى الجمعان حصل بينهم قتال وانجلت المعركة عن مقتل قحطان سلطان يافع، وكان اخوه ابوبكر والفلحي انحازوا في بيت فاقدم عليهم الشيخ عبد الرب بن

[١] بفتح بالفتح اسم منطقة بتعز (مسجد الجند) أشهرها .

أحمد وهيب واستحل بسببهم من عقوق والده ما استحل ، ولهب الكثير من سلاح يافع .

[وبعد قتل قحطان طار اصحابه في كل واد شاسع ، وأراد أحمد وهيب الارسال بابي بكر الى حضرة الامام فمنع دونه ولده عبدالرب ، ونقّره الى بلاده ولم يعجب الامام ما فعل عبدالرب ، وقابله في الباطن بكمال الغضب ، واتفقت بعد هذه القتله حروب بين احمد بن المتوكل واحمد وهيب جهز ولده عبدالرب الى جبل صبر لحرب من في تعز ، وكاد يظهر على من فيها وحصلت امور يطول شرحها اوجبت رجوعة الى والده ثم ارسله والده الى الحضره بعد قتل قحطان بأسرى يافع وفي نفس ابيه منه لما اطلق ابابكر من الاسر فلما وصل الى الامام لم يقابله بالاكرام ولامه على فعله وحركته من عند ابيه بغير رأي ، فامر به الى ترسخانه فشفع فيه من شفع ، وان يكون حبسه عند الشيخ محسن في الديوان ثم اطلق سراحه بعد اياماً .

وفي سنة ١١٦٠هـ

قصد اهل يافع قعطبه وبها الوادعي في قل من الاجناد فطمع ابن بكر بن هرهره وغالب بن سيف فوصلا الى خارج قعطبه فخرج عليهم الوادعي ونصره الله ويقال أن ابابكر بن هرهره هو الذي باع ، قل الوادعي عليه ، فان القتل وقع في اصحاب غالب بن سيف وحملت منهم عدة رؤوس الى الامام ، وعاد يافع الى بلادهم مهزومين .

أستمر الصراع تارة فتارة ، بين يافع ورعيل الائمة ، حتى عهد الامام (يحي حميد الدين)

علاقة الامام بيافع :

ظل الامام يحي على صلة دائمة مع اليوافع عن طريق المراسله ، او زيارته من قبل المطلعين كما فعل السلطان صالح بن عمر هرهره سنة ١٣٣٥هـ وفي نفس الوقت عمل على عدم التفريط أو زحزحة القبضة التركية على أجزاء من مناطق النفوذ الانجليزي في الجنوب اليمني للمحميات التسع ولم يكتف عند هذا الحد بل إنه عزز دعمه للأتراك اثناء الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا المحتله للجزء الجنوبي وعمد على التخفيف من وطأت الحصار البحري على الاتراك ووقف الامام يحي الى جانبهم لمساعدتهم على الخروج من ضائقتهم الماليه ، والعمل معهم لاجتذاب بعض مشيخات الجنوب ، مثلما فعلوا مع لحج وسلطانها ، وهذا التقارب أدى الى دفع القرار صالح بن احمد على إعلان الولاء والطاعة للامام والجهاد إذا تطلب الامر كذلك مقابل خراج (الريحتين) وواجباتها ، وتعيينه شيخاً عليها بأمر من الامام ، وفي نهاية العقد الاول من القرن العشرين أي سنة ١٩٢٠م غادر الاتراك اليمن كما أوضحنا ، واعتبر الامام نفسه وريثاً شرعياً لماتركوه ، وبالمقابل سلم الاتراك إرثهم للامام يحي لقاء وصنيع ماقدمه معهم اثناء الحرب الأولى .

ومن حينها هب لدخول المناطق التي يتخلى عنها الاتراك واحدة تلو الاخرى، وكأنه يريد ابلاغ الانجليز عدم التزامه بما اتفق عليه مع العثمانين ، فيما يخص المحميات التابعه لبريطانيا ، وتحديد الحدود على اعتبار ان الاتراك والانجليز اتفقوا في ارض ليست ملكهم فدخل الضالع سنه ١٩٢٠م ودخل الشعيب يافع سنه ١٩٢١م ودخل العوذلي العليا والسفلى ((١٩٢٤-١٩٢٦)) ودخل الزاهر سنه ١٩٢٩م وهو اخر دخول له .

كل هذا التسارع في الوقت كان به الادارسه يدخلون الحديده بدعم انجليزي سنه ١٩٢١م كرد فعل على هجمات جيش الامام على مناطق النفوذ ولم يقف الانجليز عند هذا الحد بل حرضوا قبائل حاشد وبكيل مابين سنة ((١٩٢٤ – ١٩٢٥)) للتمرد وعصيان الامام يحي وكانت هذه أهم وسيلة ضغط لاعاقة

طموحه من مركز قوته وفي الوقت ذاته ايضاً كان ((الزرانيق ([51]))) يثورون ضد الامام ويقطعون الطرق سنة ١٩٢٨م بل ويفصلون الحديده عن صنعاء مرات عديده .

كل هذه الاحداث توالت في فترة وجيزة جعلت الامام اشبه بالعاجز عن استيعابها وفهم المحركون خلفها . وماهية اسبابها ؟! .

اذ انه يقاتل الانجليز وهو ينزف من كل مكان ، لكن بعناد واصرار اراد أن يعض الانجليز من حيثما يؤلم ، عضة المستقتل على ان ينسحب بلا مقابل وآزاء ذلك العناد المستميت اخذت بريطانيا ، على وخزه وضربه بالطيران ونظراً لهذا العامل الحاسم الذي لايملكه الامام ، انصاع ورضخ للسياسة البريطانيه فانسحب من الضالع وبعض اجزاء وظل يبعض اجزاء الشعيب ، وقرى من العواذل للمساومة مع الانجليزي سنة ١٩٢٨م .

وكانت من نتائج تلك الشطحات الاماميه أن دخلت يافع بعدة حروب كما اسلفنا لاسترداد ما اخذه الامام بالشعيب وبعض مناطق الحميقاني ((الزاهر))ودارت الحرب رحاها بدفع بريطاني خلف الكواليس للضغط على الامام واجباره على الانسحاب من المناطق اليافعيه ، وكما سعت الى مضاعفة الضغوط على الامام واجباره على الانسحاب من المناطق اليافعيه سعت أيضاً الى مضاعفة الضغوط على الامام من قبل جهة الادارسه انتهت بالنهاية الى الانسحاب الزيدي من كافة اراضي المناطق الجنوبية ((اجزاء من يافع ، وقرى من مناطق العواذل والضالع)). وفي شهر فبراير سنة ١٩٣٤م ([52]) اتفقت بريطانيا مع الامام يحي على تسوية الحدود المتنازع عليها نهائياً باستثناء البيضاء

([51]) الزرانيق : تم المعزيه الزرانيق وتقع بلادهم الى الجنوب من مدينة الحديده ويعد بيت الفقيه من حيث الموقع في قلب بلادهم وطول المنطقة حوالي ٧٠كم وعرضها ٦٠كم من الشمال الى الجنوب (اليمن الكبرى ، ص ٨٩ – ٩١) . تاريخ اليمن ، ص ١٠٤ .

([52]) قيل بان الضغط المتزايد من الانجليز وضعف العلاقة مع الايطاليين ، وتدهورها مع قبائله ومع الملك عبدالعزيز ، وقصف الطيران أدت كل هذه الأسباب الى توقيعه الاتفاقية وترسيم الحدود سنة ١٩٣٤ مع الانجليز .

التى كانت داخل خط التقسيم من المناطق الجنوبية والتى منحت للامام ((رعاية))([٣٥]) تحت مبرر بانها لم تدخل ضمن الحماية البريطانيه كما هو معمول بها في (المعاهدات) ومن حينها اسدل الستار بينهما وانتهت مظاهر النزاع المسلح بين يافع والامام ، ومن بعد ذلك التاريخ تحول الصراع بين القبائل اليافعيه نفسها بأخذ اتجاهين : اتجاه مؤيد للامام " تحرري " واتجاه مؤيد لبريطانيا بموجب الاتفاقات المعهودة والمبرمه بين اليوافع والانجليز .

واخذ هذين الاتجاهين يلتحمان صراعاً عند القضاء المماس ، حتى عم اغلب القرى والمناطق اليافعيه ما بين " الثلاثينات ومطلع الستينات " واضحت يافع تشتعل حرباً قبليه فيما بينها من حين قدوم الداعي حسين بن عبدالله الدباغ سنة ١٦ / رجب / ١٣٥٧هـ وانبثقت من خلالها ردوداً تحررية ممثلاً . بمجموعة السلطان عيدروس ([٣٦]) والمصلي ، وبجبهة الاصلاح اليافعية . وبيوتات كثيرة في ارجاء يافع .

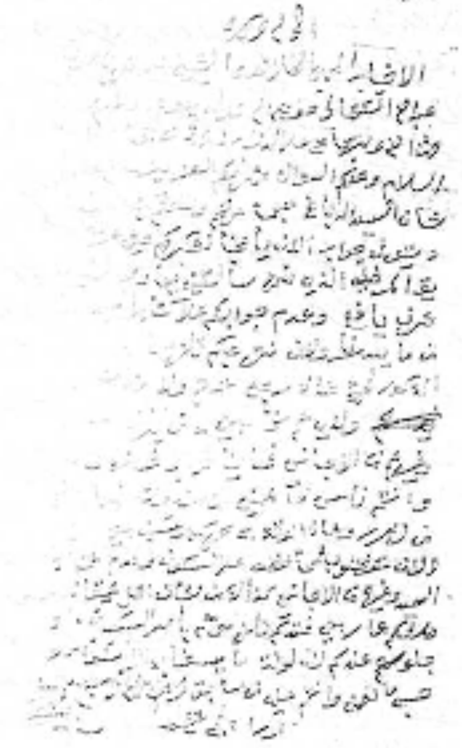
---

[٣٥]) رعايه : إرعاء له .

[٣٦]) تحرري : هذا الجانب كانت تقوده مجموعة الأحرار محمد عيدروس والمصلي ، ومن نقب . وغيرهم كثير في بداية الأمر . ثم دخلت حركة أو جبهة الاصلاح اليافعيه لتأخذ المبادره في اكمال الدور النضالي بعد اعلان الثورة المسلحة من قبل السلطان محمد عيدروس على الاستعمار البريطاني في ديسمبر سنة ١٩٥٧م واندحره الى يافع الجبل بعد الهجوم على سجن جعار ومركز جنود الحرس الملكي .



وثيقة تبين إعطاء خراج الريعتين للسلطان صالح بن عمر هرهرة



وثيقة تبين قدوم الدباغ ليافع وردة الفعل من قبل سلطان القارة المعارض

مدخل تاسع



بوابة عقبة عدن (أخذت من مجلة بلقيس)



منظر لقارة بن عفيف

الخلاف بين اهل يافع وال العبادله

فماسبب هذا الخلاف ؟!

ذكر بأن آل عطيه وهم مشائخ (كلد) طلبوا الشيخ فضل بأن يجعل لهم شيئاً من خراج عدن على ان لايقل عن النصف مما يعطيه السلطان العفيفي .

فامتنع عن تلبية مثل هذا الطلب مما استدعى الشيخ محسن بن عطيه أن يخرج على لحج بخمسمائة مقاتل من يافع المؤيدين له فهاجم ((الحوطة)) حتى ميدان (مساوى) ثم انسحب حسب تقديري سنة ١١٤٥هـ أي بعيد تحرير لحج من التواجد الزيدي وعلى اثر ذلك اراد الشيخ فضل العبدلي اصلاح الخلاف ومناقشه الموضوع بهذا الصدد مع السلطان سيف. كذلك ترميم الازمة الناشئة بين آل عطية وآل العفيفي مما جعل آل عطية يطلبون مساندة الامام الأسل بالرجوع .

لهذا السبب خرج العبدلي متجهاً نحو يافع ومصطحباً ابنه عبدالكريم وللاثمانة مقاتل في طريقه الى عند انسابه واصهاره آل العفيفي في " القاره " وقيل ايضاً للمشاركة في حفل زواج واعراس . إلا انه وعند اقترابه من خنفر ديار آل عطيه اطلقوا عليهم النار ربما لاعتقاد آل عطيه بأن اولئك القوم قدموا بهذا العدد الكبير على المواجهة ورد الاعتبار لهجوم سابق كما ذكرنا .

وذكر المؤرخون من ان آل عطيه استعانوا بقوة من جيش الامام فقتل الشيخ فضل بهذه المعركة المحتدمة بين الطرفين ١١٥٥هـ

وبعد منتصف الليل انسحب العبادله عائدون وتاركين قتلاهم ويقال بأن من بين القتلى الشيخ فضل نفسه والذي قيل بانه مثل به وجز رأسه وحمل للامام.

اما السبب الثاني وهو الاهم لكنه ظهر بعد مقتل الشيخ فضل وذلك عندما أقر ابناء الشيخ لفضل على تعيين أخيهم عبدالكريم (سلطانا) بدل (شيخ) كما اشار الى ذلك القبطان الانجليزي (بليفر) في كتابه (تاريخ بلاد العرب) وزيادة على ذلك اعلنوا اسقاط الاتفاق مع يافع (إتفاق مناصفة الخراج) ورأت يافع بأن ذلك يعد خروجاً فض على طاعة آل العفيفي فماذا سيقدم العبادله بدل

الدماء اليافعيه في سبيل تحرر لحج وعدن ؟ لذا فان ذلك التصرف جعل يافع تخرج للمواجهة بما يسمى " المسراح (٥٥) " وتنزل سيولها على لحج وابين وعدن لتقرر الاوضاع وتعيدها الى نصابها كان ذلك سنه ١١٥٧هـ على وجه التقريب عندما اذعن السلطان عبدالكريم على اعادة الخراج مقابل أن يغادر اليوافع من عدن التي كانت قد سقطت بايدي اليوافع.

ويستمر الوضع بالهدوء النسبي حتى زمن السلطان أحمد عبدالكريم حينما وقع اتفاقيه مع الانجليز سنة ١٨٠٢م إذ شنت يافع هجوماً على لحج ثم رجعت من دونما تحقيق أي نتيجه تذكر .

(٥٥) المسراح : أي خروج القبائل للقتال وعطها تسريح الجيوش أي اعقبت الخدمة (خرجت) .

صراع بريطانيا والاتراك على المحميات وموقع يافع من هذا الصراع

مرت على عدن ولحج فترات تاريخيه تراوحت بين الصراع الدولي والتنافس القبلي آخرها خروج الائمة (١١١٧هـ - ١٧٠٥م) ودمرت جيوشهم من قبل يافع ثم عودتهم . واستعادة تحريرها يافع سنة ١١٤٤هـ وقد كان دخول يافع مقابل شروط وضعوها على الشيخ فضل بن علي بن (سلام الكندي اليافعي) والملقب بالعبدلي . تلك شروط هي مناصفة خراج عدن ولحج . وقررت بخمسمائة ريال آنذاك على ان تدفع ليافع سنويا إلا انه وبعد ستة اشهر من هذه الاتفاقية اعلن فضل بن علي على الغائها وقيل لم يلغها هو بل ابنه عبدالكريم ولكننا نرى بأنه هو لسببين اثنين .

الاول : انه تم الغاؤها بعد ستة اشهر من وضعها وهذا يعني انه لايزال حيا لان الوثائق تؤكد بأنه قتل سنة ١١٥٥هـ .

الثاني : بأنه إلغاؤها ربما لسبب آخر إذ قيل بأن آل عطيه دخلت في صراع معه على اساس منحهم بما يساوي حصة العفيفي تماماً وادى رفضة الى الدخول في مواجهة الحرب معه وهذا ماحدث .

ومما زاد الطين بله انه وبعد خلع طاعة الامام (١٧٢٨م) اعلن نفسه سلطاناً (١٧٣٥م - ١١٤٥هـ) بل تجاوز الأمر الى اعلان نفسه مستقلاً عن يافع في الوقت الذي كانت ترى يافع بأنه لايعدو كونه (عاملاً) لخدمتها في جمع الضرائب والخراج ، وان ماقام به لايخرج عن اطار التمرد على الهيمنة العفيفية(٥٦).

وعلى كل حال فقد كان فضل بن علي صهراً وشريكاً لال العفيفي في كثير من الامور . وهذا الانقلاب المفاجيء في العلاقة أدى الى انتكاسه حقيقية ظل يشوبها الضمور والتردي على الرغم من محاولة التقرب والاصلاح ، في الزيارة التي دفع ثمنها حياته .

(٥٦) العفيفيه نسبة الى سلطنة آل عفيف الدين .

وبعد مقتله في خنفر خلفه ابناءه ومنحت السلطنه لعبد الكريم ابنه وتدهورت العلاقة (اليافعيه – العبدلية) في زمنه بل وساءت في زمن اخوانه بدليل لجؤ السلطان عبدالهادي لطلب مساعدة آل فضل ضد عمه المنافس لسلطته ، وايثاره اياهم على يافع الحليف الاساسي وفي عهد أحمد عبدالكريم بدا الانجليزي يمدون خيوط العلاقة ، ورسموها بعقد اتفاقية تعاون وصداقة سنة ١٨٠٢م اثارت حفيظة يافع وهاجمت على اثرها لحج رداً على تلك الاتفاقية فتهاوت العلاقة الى الدرك الاسفل ، وهذا ما حفز الانجليز المراقبين للوضع عن كثب على الاحتلال الفعلي لثغر (عدن) سنة ١٨٣٩م وعندها لم يجد الطلب العبدلي لنجدة العفيفي له في مواجهة الانجليز طريقاً في القبول كعادته إلا قليلاً من قبل آل هرهره سلطنة يافع العليا الذين لم يتاثروا كثيراً بتردي العلاقة .

ومع ان ذلك اضعف القوة المدافعه عن الثغور العدنيه ، بيد ان هناك كثيرون من اليوافع لم يرضيهم ذلك ، فهبوا للدفاع والمساعدة لجيش العبدلي المدافعين عن عدن والمستقلين في صد الانجليز مقاومة عنيفه من قبل المقاتلين اليمنيين ذكرتها مصادر التاريخ بالاشادة والاعجاب ، ورأت تلك المصادر بأن المقاومة كان ينقصها التنظيم وتوزيع المدافع القاذفة ضد السفن المهاجمة . مما ساعد الانجليز على اقتناص مكامن الخلل والتسلل عبره الى مواقع المدافعين .

وهذا ادى الى الانسحاب من قلعة " صيرة " اهم الخطوط الدفاعيه الاولى وتوالت خروج بقية المجاميع المرتبه في الجبال نحو لحج والشيخ عثمان .

إلا ان العبادله عمدوا على ترتيب صفوفهم من جديد ومعاودة مهاجمة (الثكنات) البريطانيه على طريقة (الكروالفر) جعلتهم يعيشون في حالة رعب.

وازاء تلك الهجمات جعلت المستر (هنس)([٢٧]) قائد البحرية المكلف من قبل وزارة الهند الشرقية بأن يعيد النظر بالطرق المتبعه في التعامل مع اولئك الجيران حتى لاتتسع دائرة الحرب والقتال .

---

[٢٧] هنس : قائد البحريه الذي دخل واحتل عدن سنة ١٨٣٩م .

ومن جهة اخرى كي يتمكن من تثبيت سلطته الجديده ، واستتباب الامن والاستقرار في عدن ، بعد انتصاره على المقاومة واخراجهم الى لحج فطاق على استخدام شتى الوسائل منها :

(١) دعوة مشائخ المناطق المجاورة لعدن لعقد معاهدات صداقة وسلام . واشترط بمضمونها (تبادل التجاره ، عدم بيع الرقيق ، فتح الطرق وتامينها.

وكان اول من لبى تلك الدعوة السلطان على بن غالب العفيفي و ابنه أحمد . إذ عمدا الى توقيع الاتفاقيه في ٨ يوليو سنة ١٨٣٩م .

(٢) الاغراءات الماليه والمعنوية للاتباع منهم .

(٣) استخدام سياسة (فرق تسد) (DIVIDE ANDRULE) بين القبائل عندما يرى ذلك ضرورة تقتضيها المصلحة البريطانية .

(٤) استخدام القوة ضد القبائل المعارضة .

استطاع (هنس) المقيم السياسي والعسكري فيما بعد أن يحقق نتائجاً ملموسه وسريعة بين الاوساط القبلية المجاورة لعدن ، جراء تلك الوسائل المستخدمة اذ تمكن من خلالها على جذب كثير من المشائخ الى صفوف مؤيديه بعد ماساد الهدوء وازدهرت الحركة التجارية في المستعمره ، لتبدو مثالاً حياً شجع المترددون من مشائخ المقاطعات المجاورة ، على مد العلاقة بينهم وبين المستعمرة البريطانية (عدن) والمقيم السياسي على وجه الخصوص معتبرين ذلك امر لامحاله منه بيد ان تلك العلاقة كان يعتريها بعض الفتور والقطيعه الكاملة بين آن واخر ، كانت تتحكم بوتائرها جوانب الوطنيه واختلاف الديانه السماوية اللتين غالباً ما تدفعانهم الى التصادم مراراً مع الجيش البريطاني .

وخاصة لطرف الخمس السنوات الاولى من الاحتلال .

ولقد تولى السلطان محسن فضل العبدلي قيادة المجاميع اليمنيه وتمكن من زعزعة الوجود المحتل ، بشجاعته المنقطعه النظير .

ويحسن استغلال الفرص المتاحه ، وبدهائه السياسي ايضاً إذ قدر على جر بعض العناصر اليافعيه ، وآل فضل الى هذا التصادم ، مبدياً رغبته في التحالف معهما ، واصلاح ما فسد وعلاوة على ذلك لاظهار قدرة التاثير والزعامه القبلية

امام الانجليز . ولربما اراد من تلك الهجمات ترجيح قيمته الاسمية وبالذات بعد قناعته المطلقة بالفارق الكبير بين قوتيهما .

لكن تلك المراوغة المقنعه لم تنطلي على المستعمرين ، فحينما تأكدت قيادة المستعمره من أن حلفاؤه الحذرين جداً ، لم يمنحوه حق القياده وبالتالي لم يكونوا معه قلباً وقالباً . ولهذا تكشفت اوراقه فادركوا مقدار هيبته وضعفه ، ومنها اتضح ان نجاحه مرهون بمساندة يافع ، وآل فضل المساندة الكاملة وما عدا ذلك فلن يكتب له النجاح ، في اي محاولة يقدم بها على مهاجمة (عدن) وكذلك ايقن الانجليز من ان مؤيدي السلطان من العقارب والعزيبه وغيرهم من الصبيحه لن يغيروا من الامر شيئاً ، وخاصة بعد تخلي الحواشب عن المشاركة في الهجمات وهذا ماحدث ، اذ قام محسن العبدلي بمحاولات ثلاث ما بين (١٨٣٩ — ١٨٤١م) باءت كلها بالفشل وارتدت من على مشارف عدن ، وخورمكسر وترجع اسباب الفشل الى عدة مؤثرات منها : —

(١) فارق العتاد بين القوتين ((العربي — الانجليزي))

(٢) عدم اتفاق القبائل فيما بينها وانتشار الفتنه

(٣) خسارته لحليفه الاساسي يافع .

(٤) انعدام التمويل والفقر المدقع بين صفوف المجاهدين احبطهم على المواصلة .

(٥) حصانة مدينة ((عدن)) بجبالها واسوارها ، مكنت الانجليز على البقاء وعلى العكس اضحت المقاومة صيد ثمين لقوات الاحتلال .

إلا انها أي تلك المحاولات تركت بصماتها جلية وواضحة في مجمل الرأى العام المحلي أو العربي وجعلت الشريف اسماعيل بن الحسن المكي أن يكرر المحاولة سنة ١٨٤٦م معلناً الجهاد المقدس على الانجليز وداعياً اليوافع وآل فضل وغيرهم الى المشاركة مع جيش من المتطوعين الى جانب العبادله الذين لم يكونوا متحمسين لمثل هذه الدعوة خشية ان تسقط مكانتهم وحلمهم " بالسلطنه " لقمة سائغة لهذا الداعيه ، الذي لاتهمه بشيء .

لكنهم قبلوا من حيث المبدأ المشاركة المحدودة واعطوه المرور بلحج ، وحق التجمع بمعيه اتباعه وجنوده .

ومن لحج بدأ الزحف والهجوم بشكل غير منظم ، وبجيش مهلهل ومع ذلك استطاع الوصول بمن شاركه منهم ، حتى مداخل عدن ثم انهارت وقوضت حملته بالهزيمة وخيبة الأمل فكانت آخر المحاولات التحررية سنة ١٢٦٢هـ ومن بعدها بدأ الانجليز بتثبيت اقدامهم فعلياً ، وتمكنوا من جني ثمار سياستهم (المرونة + القوة) مع جيران محمية عدن .

واحبطت من حينها كل تطلعات كانت تحذو السلطان محسن العبدلي في الوصول الى عدن بعد اصطدامه بالامر الواقع . وبقوة الانجليز التي لاطاقة له على اخراجهم سلفاً .

ولهذا قبل التفاوض والعمل على تنفيذ ماتم الاتفاق عليه مع الانجليز مثل : السماح بنقل الماء ، مرور التجارة ، عدم الاتجار بالرقيق ، فتح الطريق امام القوافل بموجب الاتفاقية الموقعه في ٦ ربيع اول سنة ١٢٥٩هـ والتي قبل بمضمونها الانجليز على تولي دفع المرتبات المقرره لليافعي والفضلي والحوشبي بعد توقفها بسبب هجمة الشريف .

ولقد صاحبة تلك الاتفاقيات اتفاقيات اخرى اكثر تشدداً وحرصاً على الانقياد والارتباط بالعجله السياسية للامبراطورية البريطانيه الممثله في عدن والمناطق المجاورة لها .

وعلى ضوء تلك المعاهدات بدت الامور تميل نحو الاستقرار السياسي والامني لكن ذلك الاستقرار لم يدم طويلاً ، فهناك المنافس على الطريق .

فقد بدأ الاتراك يحسون بأهمية ميناء عدن الاستراتيجي بعد فتح قناة السويس، ولكي يقتربوا اوجدوا ذريعة قمع الانتفاضة الوهابيه في عسير ضد الاتراك ما بين سنة ١٨٦٣م — ١٨٦٩م عندما استعانوا بجيش ارسلوه لهذه المهمة على أمل الوصول الى تهامة ، لتعزيز حاميتهم القابعه منذ سنة ١٨٤٩م بعد خيبه املهم في دخولهم صنعاء .

فتوغلوا نحو الحديده ثم الى صنعاء سنة ١٨٧٢م ومن عقبها بدأوا على توجيه دقة قواهم نحو السلطنات والمشيخات الجنوبية التى كانوا يرون بها مفتاح التمرد على قوة الاحتلال البريطاني فدخلوا " الحوطة " سنة ١٨٧٦م مما اثاروا حفيظة البريطانيين واعتبروها انذاراً من خطر قادم يهدد وجودهم في (عدن) بل ادت تلك الهجمة الى تصاعد الازمة حتى وصلت ذروتها بين اصحاب المصلحه والنفوذ ، تبنت بالانذار شديد اللهجة الموجه الى الدوله العثمانيه من اللورد (جرانفيل) في نفس العام ، طالباً من الباب العالي إصدار " فرماناً " بسحب قواته من الحوطة (٥٨) والزائده والمناطق المجاوره يعني " الضالع وبعض اجزاء الشعيب يافع " حتى لايؤدي ذلك الى صدام مسلح بين الطرفين ، قد ينشأ اذا استمر التواجد .

فانصاعت تركيا للضغط البريطاني واعلنت موافقتها بالانسحاب على شرط ترك المشيخات والسلطنات الجنوبية مستقلة تماماً . وتملك حرية تقرير المصير على اعتبار ان الاتفاقيات الانجليزيه السابقة مع تلك المشيخات غير ملزمة وانتهت الازمة .

ومن هول تلك المفاجئة الغير متوقعه من القفزه التركيه الى المحظور بالعرف الانجليزي (الخطوط الحمراء) رأت انجلترا أن تسارع الى عقد معاهدات حماية وولاء جديدتين قبل امتداد التأثير العثماني على مشيخات وسلطنات الجنوب اليمني ، لتقطع عليه حبل الوصول والاستفراد ببعضها وشرعت على تنفيذ هذه الفكرة ما بين سنة ١٨٩٦ – ١٩٠٣م على أمل ترسيم الحدود وتحديدها بين (الانجلو عثماني) وكانت قد سبقتها معاهدتين الاولى مع السلطان علي بن غالب العفيفي والثانية في شهر أغسطس ١٨٩٥م مع السلطان ابو بكر بن سيف العفيفي .

واستكملت المعاهدات مع المشيخات والسلطنات اليافعية من (مايو– ديسمبر ١٩٠٣م ثم وقعت مع مشيخه الضبي ، والموسطي ، والمفلحي وسلطنة آل عفيف وسلطنة آل هرهره ، والحضرمي واليافعي والشعيبي وكان من نتيجتها

(٥٨) الحوطة : اصبحت اخيراً عاصمة محافظة لحج .

بأن قام السلطان صالح بن عمر بن هرهره بخلع اخيه السلطان قحطان بن عمر لأنه قبل بالمعاهده مع الانجليز وترجع اسبابها الى :

(١) الاغراء المادي والمعنوي مع استخدام وسائل الترهيب دفعت السلطنات والمشيخات اليافعية الى التوقيع .

(٢) لم يكن بتلك المعاهدات ما يمس سيادة ابناء يافع على ارضهم لكونهم رعاية بدون رعاية) مباشرة .

(٣) التخويف من الغول التركي المستبد .

(٤) المرونة الانجليزية والتساهل الديني .

ونستطيع أن نتبين من خلال دراسة نصوص المعاهدات بأنها قد جاءت مع يافع بمستوى الدرجة الثانيه (صداقه وسلام) وابدت مفهوم الحماية بدون رعاية لكن ذلك لايعطيها حق الاستقلال الكامل . وبنفس الوقت لايعفيها من التبعيه البريطانيه ، ولو بشكل ضمني فعلى الرغم من التحرر الملموس عند العامه. إلا ان هناك ما يقابله من الخضوع عند المشيخات والسلطنات اليافعيه ، وأن تمردت بعضها على السياسة البريطانيه في ظروف معينه .

ونستطيع فهم ذلك من خلال البندين المنصوصين في المعاهدات بما ينص كالآتي :

(١) يتعهد الشيخ او السلطان ويعدان بالاصاله عن نفسيهما وبالنيابه عن ورثائهما وخلفائهما وقبائلهما بالامتناع في أية مراسله أو اتفاقيه أو معاهدة مع أية سلطة أو دولة أجنبيه لابمعرفة وموافقة الحكومة البريطانيه . ويعدان ايضاً بأن يسارعا لافادة المقيم في عدن أو أي ضابط بريطاني آخر عن أية محاولة من أي سلطة اجنبيه للتعرض لبلادهما أو ملحقاتها .

(٢) يرتبط الشيخ أو السلطان بالاصاله عن نفسيهما وبالنيابه عن ورثائهما وخلفائهما ، وقبائلهما الى الابد بأنهما : لن يضما أو يبيعا أو يرهنا أو يؤجرا أو يعطي أو يتخليا أو يتصرفا بأراضي المنطقه المذكورة في الاتفاق وملحقاتها أو بأي جزء منها في أي وقت الى أي دولة أوشخص غير الحكومة البريطانية .

هذه (الواوات أو اللاءات) تعد مربط الفرس في التبعيه المدسوسه والتي مزجت ايضاً بكثير من المزايا . والمكاسب الماليه والمعنوية اقرتها للمشيخات والسلطنات شأنهم شأن جيرانهم : ومقتضى الوضع العام السائد انذاك يعني المثل الدارج (لاحلق صاحبك بلل) وبريطانيا لم تكن بخيله الى حد كبير في مثل هذه الجوانب فقد خصصت الالقاب والنياشين ، والهبات والرواتب والترحيب بالمدفعيه لكل سلطان أو شيخ زائر للمستعمره البريطانيه والحفاوة البالغه في الضيافه والتكريم في المنح والاعفاءات الضريبيه ، وتلبية كل متطلبات الشيخ أو السلطان اضافة الى مزايا أخرى مثل رفع القيود على رعية ذاك الزائر والسماح لهم بممارسة الاعمال الحرة في أرض المستعمرة وغيرها من الاستثناءات فما كان من سلطنات ومشيخات يافع ازاء ذلك الا ان تقابل ذلك الكرم بعض القبول للسياسة المتبعه في التعامل البريطاني غداهم .

على ان لايمس او يصل ذلك القبول بالارض اليافعيه ولا اعني ذلك القبول بما يفسر بالخضوع التام ، بل حدثت اهتزازات لسوء تقدير بين الطرفين وفي اوقات متفاوته .

الحدود :

اعتبرت بريطانيا بأن الحدود السائبه بلاشك تؤدي الى تداخل النفوذ على المناطق اليمنيه واشتباك المصالح ((الانجلو عثمانيه)) لذا فقد رات بأنه من الضرورة الواجبه طرح فكرة تحديد الحدود على الجانب الآخر وبالطرق الملائمه وتعني فكرة تحديد الحدود ايضاً تحديد الاتباع والمؤيدين وبريطانيا مطمئنه من هذا الجانب ، نظراً لشبك تسع مشيخات وسلطنات في المناطق الجنوبية انذاك بمعاهدات تنص في مضمونها العام كما اسلفنا ، على الولاء والحماية البريطانيه والرعاية السياسية باستثناء بعضها .

وبدت هذه الفكره ملحة عندما ارتأت تركيا اهمية تبني مشروع مد (خط للبرق) والبدء بتنفيذ سنه ١٨٧٥م بين تعز وعدن لكي تبقى علاقاتها مع المناطق التي سيمر بها الخط علاقة متصله وخاصة لحج وفي الوقت ذاته شعر الانجليز

بالامتعاض والاحجام في الموافقه على ذلك المشروع لأنها ترى بأن فكرة ترسيم الحدود ذات أولوية قصوى وقبل البت في أي عمل منافض ، وسعت من حينها على اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود حتى تمكنت من تحقيق مأربها في ٢٧ / يوليو / سنة ١٩٠٢م فعمدت كما اشرنا الى توثيق التبعيه أولاً ثم الاتصال بالباب العالي وحثه على ارسال بعثه الى جانب البعثه الانجليزية للبدء في التنفيذ الفعلي في التحديد فقبلت تركيا ذلك على مضض ، ومن جهة أخرى سلكت على التماطل والتسويف حتى يتسنى لها تغير المعادله .

فكثفت الاتصالات مع القبائل المجاورة وعلى وجه الخصوص مع يافع .

وبذلت من الاغراءات الكثير لمشيخاتها ، سلطناتها وطلبت منهم وفوداً لتبادل وجهات النظر بواسطة قائد الجيوش الاسلامية على سعيد باشا وقد استطاع ذلك القائد تحقيق بعض النجاح مع بعض مشائخ يافع اجتمع فيهم في مناطق متعددة .

وكان آخر وفد لمقابلة الاتراك نزل الى " خلة " وعندما اجتمع الطرفان لتحسين العلاقه فيما بينهم ، وبدت وجهات النظر تتقارب ، وطرأ من احال تلك المحادثات الى الفشل الذريع ، والسبب عندما رفض الوفد التركي اطلاق صفة ولقب السلطان في المحضر المعد للتوقيع ، معللاً ذلك بأن سلطنتي يافع لايمكن ان ترقى الى مستوى سلطة الباب العالي ويرون بأن اسم ومصطلح " الشيوخ " خير مايمكن الاتفاق عليه ، ولهذا انسحب الوفد اليافعي عائداً الى يافع دونما تحقيق شيئاً يذكر .

ورأت تركيا بأنه لفشلها هذا لايمكن التفريط بيافع حليفاً وتابعاً للحكومة البريطانيه بمثل تلك البساطة ، وانه يتحتم عليها المساومة . وتشبثت ولم تيأس من محاولات الاتصال المستمر والمراسلات لسلطنتي العفيفي وهرهره من دونما قطيعه شامله على الاقل ، وسعت بنفس الوقت لاجتذاب بعض المشيخات الرافضه للعلاقة الانجليزية وتلك المحاولات دفعت بالسير نيكولاس أوكونور (NICHOLAS OCONOR) السفير البريطاني بالاستانه بتقديم مذكره الى وزير خارجيه الباب العالي مطالباً فيها على اعتبار ان تكون منطقة قبائل يافع

ضمن النواحي التسع المرتبطه مشيخاتها بمعاهدات الحماية ، بمعنى آخر بأن تكف او تقلل على أية حال في استمرار التأثير الغير مبرر له مع القبائل اليافعيه . وهذا ما اكده خطاب وزارة الخارجية البريطانيه في ٢٥ م اغسطس / ١٩٠٢م الى الحكومة العثمانيه والذي اشارة بتوجيه الى موافقة حكومة جلالة الملكه على وجهة نظر وزارة الهند ، بأن المنطقه والتي تقطنهـا قبائل يافع بتقسيمها القبلي تدخل ضمن اطار حدود النواحي التسع المحميه من بريطانيا لحسم الموضوع إزاء طموح الاتراك في المحميات المجاورة لعدن.

غير ان بعثة العثمانيين رفضت الاعتراف على ادراج ارض يافع ضمن النواحي التسع واصرت على موقفها المتعنت ، والمبني على اشارات مبطنه من بعض مشايخ يافع بالانسلاخ من تبعية الانجليز الى موالاة الجيش الاسلامي وكان من نتيجة ذلك الاصرار بان رفع الكولونيل " ووهب " مقترحاً لمنح سلطاني يافع اعانة مالية حتى تتاح للبعثه البريطانيه فرصة دخول يافع لتحديد الحدود . واكدها السير نيكولاس بيرقيه بعثها للحكومة البريطانيه في ٢٦ م ديسمبر / ١٩٠٢م على أهمية إرضاء اليوافع ، حتى يضمون لدعم الجانب البريطاني .

وبالتشاور مع المقيم السياسي في عدن وافق على منح زعماء يافع عشرة الآف ريال في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٠٢م لتحول دون الاغراءات العثمانيه في هذا الصدد .

وفي تقرير لاحق بعثه (جاكوب ([59])) الى حكومة الهند البريطانيه يحثها على اتخاذ اجراءات حاسمة تكون لها اثار ملموسه وواضحه في اجتذاب القبائل المحيطه بعدن كما اشار " جاكوب " الى ان قبائل يافع لايتقاضى زعماؤها مشاهرات على الرغم من توقيعهم اتفاقات ومعاهدات الحماية مع بريطانيا تتضمن صرف المرتبات لهم .

[59]) جاكوب : المندوب السياسي البريطانيا في منطقة الضالع (١٣٢٨-١٣٣٦هـ) ثم اصبح المندوب السياسي للقوات الميدانيه في عدن سنه (١٩١٤م - ١٩١٩م) شغل منصب المساعد الأول للمقيم السياسي في عدن وله مؤلفات عديده في هذا الجانب . راجع د . دلال الحربي (علاقة سلطنة لحج بريطانيا .

وهذا فقد كانوا مستاءين لابعادهم عن الدائره التي تضم زعماء المحميات الاخرى ، مما جعلهم عرضة للميل نحو الاتراك ، ولربما الانحياز الى جانبهم في هذا الصراع ، حتى وان كانت قد رفضت فكرة العرض المقدم اليها من الاتراك بوجوب الجهاد المقدس ضد بريطانيا . على امل اعطاء بريطانيا فرصة أخرى لمراجعة موقفها ازاء يافع وهكذا نلاحظ من اشارات " جاكوب " بأن اليوافع بدأوا لايظهرون العداء العلني للاتراك ولا الود للانجليز . وتركوا الخصمين المتنافسين كل منهما يسعى على اجتذاب ود القبائل اليافعيه ، وكل بطرقه الخاصه .

فلمّا دعا الميجور " جيرال متلند " (P.J.Maihand) المقيم السياسي بعدن محاولة الغاء سدارته لاقناع مشايخ وسلاطين يافع على الحضور الى مؤتمر يقام بدثينه للاتفاق مع بريطانيا حول ترتيبات معينه لما اشار اليها جاكوب في تقريره ومناقشة جدوى مناسباً وملائماً .

في تحديد قائمة الرواتب الثابته والمقره حسب المعاهدات لكل شيخ وسلطان منذ سنة (١٨٩٦- ١٩٠٣م) اعتبرت بريطانيا بأن ذلك يعد نجاحاً سيساعدها على تسهيل مهمة قيام البعثة الانجليزية بتحديد الحدود بعد معرفة حدود القبائل كل على حده بما فيها اليافعيه ((Boundery, commission)) لكن ذلك النجاح لايتفيه تركيا كما اشرنا سلفاً فواجهت تلك البعثة مشاكل جمه ومصاعب من مؤيدي الاتراك من اليوافع منذ اليوم السادس من شهر يناير ١٩٠٣م بدء النزول الحقيقي لتحديد الحدود ([60]).

وفي هذه الاثناء اشار المقيم السياسي البريطاني في عدن من إنه اذا تطلب الامر التحام البعثه البريطانيه المكلفه بتحديد الحدود لاراضي اليافعي فانها

[60]) هاتين الوثيقتين تعلقان بتحديد الحدود في أرض الاميري ، ويافع مع الاتراك وهما سريتان نقلت نصاً وحرفاً من كتاب عدن والسياسة البريطانيه للمؤلف دكتور ، فاروق عثمان اباظة .

ADEN Delimition The history of The question and The Presentsituatian as Reqards The Territories of The Amair of Thali and Yafa: P.J.Maitland Brigadier Genral Resident of Aden 28 The July 1902 .
B 140 Confidential ADEN
Boundray.by C.G.C 20 The January 1903 .

سفعل ذلك دون موافقة القبائل اليافعيه ، لكن ذلك سيدفع الحال إرسال قوة أخرى بالاضافة الى اللواء المتواجد في الضالع وعلى الرغم من مقابلة السير (أو كونور) السفير البريطاني في الاستانه للسلطان العثماني ولتشاور معه في مسألة تحديد الحدود ، وحثه على ابلاغ بعثة العثمانين على الاعتراف بأن اراضي اليافعي تعد ضمن النواحي التسع في الظرف الذي ازداد تمسك العثمانيون بضرورة ابقاء يافع على الاقل بعيده عن التبعيه لأي منها . ورأوا أهمية عدم الاستعجال والرضوخ لمطالب توقيع الاتفاقيه والمخالصه النهائية . ومن ناحية أخرى عمدوا الى تصعيد تحريض الاهالي على طرد مشائخهم المتعاملين مع الانجليز .

وفي نفس العام جرجت مجلة المنار الصادرة سنة ١٩٠٣م الموافق ١٣٢١هـ في العدد رقم ١٩ م ٦ / ٧٥٩ بخبر مفاده نصاً .

" محاولة بريطانيا لاحتلال مناطق يافعيه في المفلحي بعد ان رشت سلطانها الذي وصل عدن لغرض الدخول تحت الحماية إلا ان الاهالي ثاروا وعزلوه في غيابة واهدروا دمه ومن ساعده واقاموا اميراً اخر خلفاً له " ثم تستدرك بقولها :

فلم يرض الانجليز ذلك التغيير فارسلوا شرذمة من عساكرهم المتواجدين في الضالع بأمر التحرك الى يافع لتأديب اولئك المتمردين إلا ان الاهالي كانوا اسرع في المواجهة ، فقد هاجموا معسكرهم ليلاً وتم طردهم الى حدود الضالع ثانيه .

وبعد هذه الحادثة ظل الوضع متذبذب ولم يبت فيه لخشية الانجليز من إثارة بقية مكاتب يافع وافتقاد الوضع شبه المنحاز للانجليز واستمروا في تمسكهم على الاتفاق المبدئي في تحديد خط الحدود بواسطة البعثين " الانجلو عثمانيه " حتى ازوف التسويه النهائية في ٩ / مارس / سنة ١٩١٤م لتحديد حدود المحميات بما فيها يافع ([٦١]) .

وكانت يافع قد حددت جنوبي وشرقي الخط الشمالي الشرقي والذي يمتد من اكمة " الشوب " ويمتد في الاتجاه الشمالي الشرقي الى الصحراء بدرجة ٤٥° ووفقاً للاوراق السنيه الصادره في ١٢ م فبراير سنه ١٩٠٣ في الملح يجب ان

([٦١]) في سنة ١٩٦٥ انضمت مشيخة المفلحي الى الاتحاد للمحميات البريطانيه .

يشمل ذلك الخط مناطق (الربيعتين ونوى وذها وبياتي والتي تؤلف جزءاً من مقاطعة اليوافع حسب الوثائق والبراهين التى قدمها شيوخ يافع لبعثتي التخطيط والى الامير مصطفى رمزي المفوض العثماني انذاك وفي لندن تبودلت وثائق الابرام في العام ١٩١٤م بين المفاوضون الانجليز والاتراك ، وعادت الاوضاع الى الاستقرار النسبي بعد انسحاب العثمانيون من المناطق المحددة بالخرائط .

ولكن ذلك الوضع لم يدم طويلاً بسبب قيام الحرب العالمية الاولى في تلك الفترة سنة ١٩١٥م دفعت بالجيش العثماني الى اجتياح ذلك الخط المتفق عليه سابقاً ودخلت حتى منطقة لحج والشيخ عثمان وساءت الاحوال وعادت الى ماكانت عليه بل أكثر توتراً من سابقتها .

وهذا الانتصار المفاجئ جعل القبائل اليافعيه تواجه ضغوطاً على تحديد موقفها من الحكومة البريطانيه والغاء كل المعاهدات والاتفاقات الموقعه مع الانجليز ، علاوة على ذلك فقد احدث خلخله في صفوف القبائل اليافعيه ، وظهر المعارضون للانجليز بصوره واضحه على الساحه اليافعيه ، حتى هزيمة تركيا سنه ١٩١٩م في الحرب العالميه الاولى وطبقت عليها اتفاقيات هدنه " مودروس " (MUDRUS) التى تقضي بالانسحاب التركي من اراضي الجزيرة العربيه بما فيها اليمن وعندئذ استهل الوضع السياسي بالتغيير وظهرت اطماع الامام في المناطق التى كانت ترزح تحت الاحتلال التركي ، ورأى الامام ان يحل مكان الاتراك والعمل على استقطاب دعم القبائل له وعلى الاخص القبائل اليافعيه المحاذيه للضالع ولحج والتى حالت دون بسط نفوذه الكامل على مناطق الانسحاب التركي .

الاطماع الانجليزية بيافع :

من خلال ما اسلفنا ذكره نلاحظ بان الانجليز تمسكوا بيافع " سلطنة هرهره " واعتبروها محميه بريطانيه ضمن النواحي التسع ، ولأنها كذلك فقد حدث من اطماع الامام بيافع وكثفت تحرشاته منذ سنة ١٩٣٤م لكن الامام لم يرضه ذلك ولم يقنع بمخرج التقسيم وتحديد الحدود ، فقد عمد الى شق المشيخات

والسلطنات اليافعيه بطريقه التواصل وتقديم الدعم والعون العسكري لمن يتمردوا على الطاعه البريطانيه فحدث ذلك الانشقاق وظهرت الحركات الداعيه الى التحرر من الاستعمار البريطاني ، ولايمكنني هنا سرد احداثها لكوني قد سبقت وحددت الفترة التاريخيه التى سيشملها كتابي . لكنني اطرح هذه القصيده للدلاله على يقظة اليوافع نحو مقارعة الانجليز ، وقد قيلت على شكل زامل للشاعر الشعبي صالح احمد الخلي القعيطي :

سلام مالمع وما البارق لمع … يسدهم حدود اليافعي من راسها
والشار[62] واحد عند يسر من والتبع … والحاكم تشرع تحتمن عاسها[63]
والتي سلامي اوصالته مني تبع … لاهل السبع ذي القبائل ناسها
والخصم يسلونه مشمع والقرع[64] … حصما وبو طار من قرطاسها
بالقبيله من جاء قسامه ما قطع … والعود ما يقطع وما شي قاسها
من ماجي اوصته وعليها سبع … بنه تسدم حس شم القاسها[65]
بالقدمه النصباء محل اهل الربع … ماس الضال ذي يصبر كاسها[66]
كنتم ظلبوت لشي محمد رجع … والقبيله تحضر على ناموسها
باشيخ من بويلاد ... القبيله … خل العدل لمجلس على رياسها[67]
رع من قبح باب الطمع ما الفتله … والخلقه انهم عجي خلاسها
لاتامن الدوله ولاهمه فائده … حبه جالقع والخمسه بضراسها
رحنا على عقده وكلمه واحده … ما تسرق الحربه على حراسها
يايافع العليا حتى الله دمكم … من ملة الكافر ومن وسواسها
قد قلنا الله جاهدوا باموالكم … والقوم كتى ولاتجاسها
يقول مرجر بتيقاله بدع … ماله قرع بعده عول مقاسها[68]
كم من اسد يصدق ويكوى على الوجع … والجواس صما عندنا فلاسها[69]

---

[62] اشور (الشار) الرأي .

[63] عاسها : خلطها .

[64] صبح : بلاحكايه . مشع والقرع (جمعا) وبو طار : انواع الرصاص .

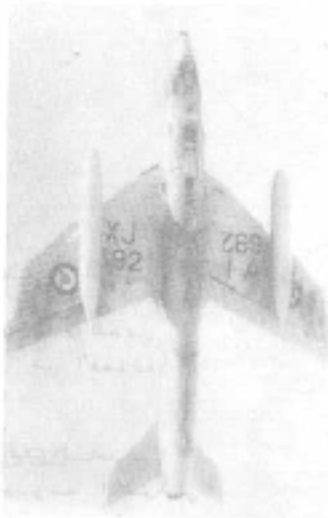
[65] القاسها : ريح باروت الرصاص .

[66] يصبر : يملأ بزيادة .

[67] رياسها : مربوطه (محيطه) .

[68] مقاسها : نخرة الشباب .

[69] فلاسها (الأجواس) : الصخور الصماء تتكسر .



صورة طائرة بريطانية تقصف قرى يافعية



صورة مجموعة من عناصر جبهة الإصلاح اليافعية ضد التواجد الانجليزي

وزارة الأمن الداخلي
حكومة الاتحاد

إنذار

إلى جميع أهل [illegible] وأهل [illegible]

لقد أنذرناكم أن الأشخاص الذين يساعدوا [illegible] في الأعمال الإجرامية سيعاقبوا فوراً .

إنكم معروفين أنكم ساعدتم [illegible] على مجموعة الإجرامي [illegible] لذلك [illegible] راحة من حضراتكم [illegible] الآن . وعليه يجب عليكم أن تخرجوا من [illegible] ما لا [illegible] وبقي [illegible] سيكون [illegible] عليه .

صالح بن حسين
وزير الأمن الداخلي

تاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠
موافق ١٠ جمادى أول ١٣٨٠

صورة منشور تحذيري ألقته السلطات البريطانية

مدخل عاشر



وثيقة تبين انتشار الإشاعة حول بيع الوطن والتبعية للانجليز

علاقة يافع بحضرموت

الوجود اليافعي بحضرموت ((سكاني – عسكري)) لم تكن بدايته في زمن الدوله الكثيريه الاولى أو الثانيه تحديداً كما يحلو لبعض المؤرخين ترديده في مؤلفاتهم خطأً أو تغاضياً ارادوه .

ولايستبعد ايضاً من أن ذلك ، قد يكون قصوراً في الالمام بجوانب وخلفيات التاريخ اليافعي . لاسباب قد تكون قلة المرجعيه أهمها .

لاسيما اذا ما عرفنا بأن ذلك الوجود موغل في القدم . إنما تبين في زمن الملك الحميري (شمريهرعش بن ياسر) سنة ٢٩٠م (٤٠٩حميري) عندما وحد حضرموت مع بقية الاجزاء الاخرى من الارض اليمنيه ، تحت قيادته ، واطلق عليها تسميه ((مملكة سبأ وذو ريدان ويمنت وحضرموت) ولقد حالف الصواب المؤرخ باطرف عند اشارته بكتابه (في سبيل الحكم) من ان قدوم اليوافع الى حضرموت جاء في زمن الدوله الحميريه الثانيه ، وزياده في الايضاح فقد كانت اغلب وحداتها العسكريه من قبائل (السرو) أي يافع نزلت في (القطن) وتمكنت من البقاء لتصبح حضرميه (مولده) ثم ازدادت الهجره العسكريه من جبال يافع (السرو). وفي زمن القائد اليافعي الثائر على الاحباش سيف بن ذي يزن سنة (٥١٦– ٥٧٤)م .

جاءت معه مجاميع الى حضرموت لمطاردة الاحباش واخراجهم من الارض اليمنيه .

وعلى كل حال فان هذين الحدثين لهما خير دليل على الوجود اليافعي قديماً بحضرموت ، سواء عن طريق القدوم العسكري ، او الهجرة السكانيه التي لم تنقطع ، بل ظلت متوارده ، من جراء خضم الصراع القبلي الدائر بين القبائل اليافعيه نفسها ، والذي افسح الى تزايد التدفيق المستمر لاسباب اخرى وهي :

(١) الصراع القبلي .

(٢) فقر الارض اليافعيه وضيقها .

(٣) للبحث عن مصدر لقمة العيش في الارجاء الحضرميه (ارض اللبان)

(٤) للبحث عن الامان والاستقرار المعيشي .

ومما لاشك فيه بان المناطق المجاورة . اضافه الى حضرموت سالفة الذكر اضحت بمثابة الاحواض التى تستوعب فائض الحجم البشرية على شكل (هجرة).

وهذا ماتؤكده مصادر النسابين في الاصول والاعراف عن تواجد قبائل وأسر بحالها قد استوطنت ووصلت من أمد التاريخ في مناطق الجوار . وعلى الرغم من أن اليوافع استمروا في الهجرة الى حضرموت عبر التاريخ ، ومن خلال نشوء الدويلات اليمنيه في القرون الوسطى بشكل وصور متعدده إما عسكريه أو نزوح من جراء القحط منذ الدولة القرمطيه والدولة الصليحيه ، ودولة بني رسول وبني طاهر ، الا ان هناك ظهور واضحاً بدت مظاهره الهجرويه تعود من جديد في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ممثله بقدوم الشيخ مبارك بن صالح الكندي مع مجاميعه لاجئاً في حمى الأمير سعيد بن مبارك بادجانه أمير الشحر انذاك بعد طرد بني طاهر له سنة ٨٥٨هـ من بندر عدن وعندئذ ظهر جلياً بأن ذلك اللجوء يدل دلالة واضحه وحقيقيه ، ومبينه بما ينم عن وجود صلات وقرابه بينهما ، اقدم بكثير مما توقعناه . وهذا ما يفسر لنا أسباب تولي مبارك الكندي نيابة الشحر خلال فترة وجيزة دفعت بأمير الشحر محمد بن سعيد لغزو عدن على أمل استرداد ما اخذته منهم دولة بني طاهر .

هذه العلاقة تبين لنا من أن إمارة (بادجانه) مستمدة قوتها من اصول يافعيه ولربما هي يافعيه المنشأ أيضاً .

ثم استمرت العلاقة اليافعيه الحضرميه المتداخله ، استمرت في التنامي والبروز حتى تعمقت ، وتوطدت بينهم وسادة حضرموت روابط روحيه وعقائديه ، ونسابه ، وعلاقات اجتماعيه ، ارتقت واضحت على درجة عاليه من الثقة المتبادله ، وافضت وتبنت بطاعة أهل يافع ، لاولئك (السادة) وعلى رأسهم الولي الشيخ ابو بكر بن سالم مولى (عينات) ليعطي له العشر ([70]) فيما

[70]) العشر : يعني عاشر كيلة من الحبوب .

استوجبوا له بالمقابل تعيين من يمثله مقيماً دائماً في يافع ، أو كمرشداً دينياً يعلم اولادهم ويحل مشاكلهم القبليه ، وينير طريقهم من الخلفات المبتدعه .

وكان الاختيار قد وقع على الرجل الصالح المشهور (علي هرهره)([71])ليكون المرجع الديني في كل الأمور سنة ٩٢٥هـ.

ثم تدرجت تلك الوضعية والصفه الدينيه ، واحيلت الى سلطنة في عهد احفاده . وفي عهد السلطان صالح بن أحمد استطاع لم شتات قرى ومناطق يافع العليا من التشرذم والضياع ، والياس من عنت وتسلط جيش الائمة (القاسميون ([72])) وطغيانهم على المناطق الجنوبية بما فيها حضرموت .

وهذا الامتزاج جعل يافع وحضرموت مكملة لبعضها ، بابعادها المتعددة (تاريخية ، سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية ، دينية) وجعلتهما من الصعوبة بمكان أن يستغني بعضهما عن الآخر .

وذلك ما دعا الحضارم واليوافع لان يؤسسا اسس العلاقة على هذا الاساس إضافة الى الابعاد الاجتماعية ، ذات الجذور التاريخية والممثلة بخليط العوائل الممزوجة من الاصول الحضرمية ، واليافعية ضاربة القدم والتي كانت سبباً ، مهما وعامل جذب لازدياد هجرة اليوافع كتيع لاينضب على مر العصور .

ولقد اتخذت الهجرة صورتين :

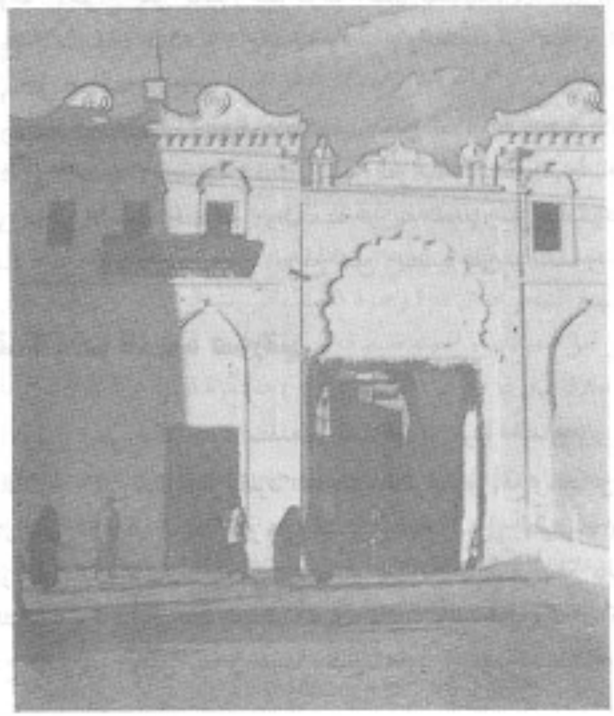
الاولى : على شكل جنود استقدمهم السلاطين والامراء الحضارم .

الثانية : على شكل تجار ينقلون المنتجات الحضرمية الى يافع وبالعكس ومن خلال هذين الاتجاهين تمكنت كثير من العشائر اليافعية وليس (الطوائف) كما يشار اليها بعض كتب التاريخ من الاستيطان ، وكونت بما يسمى يافع (البلد) هنالك ولقد كانت أي تلك العشائر السيف المشهور والمسلول بيد آل كثير ، لردع خصومهم ، وسل ايضاً في تثبيت سلطتهم الاولى في عهد السلطان بدر بن

[71]) هرهره لقب وليس اسماً من اسماء الأسره ويقال بانه يحي هرهرة الليث عند وثوبه وجريه .

[72]) القاسميون : نسبة الى الامام القاسم (يحي الرس) مؤسسة الزيدية في صعده .

عبدالله (ابي طويرق) على الرغم من تماديهم في التدخل بشؤون الامارات والامراء آل كثير ، وتسييرهم دفة السلطنة من وراء الكواليس الامر الـذي أدى الى تذمر آل كثير من الوجود اليافعي في حضرموت مما جعل الاسرة نفسها تنقسم الى مؤيد ومعارض استدعت ابى طويرق الى التحالف مع الاتراك خوفاً على سلطته الاتسقط ، ومن ناحية أخرى ليبعد عن النفوذ اليافعي المتمثل ، بمعظم جنوده واستطاع أن يحقق بعض النجاح عندما وثق تحالفه ضد المخاطر البرتغالية ، ايضاً والمتربصه بميناء الشحر ، كميناء استراتيجي لقوتها المواجهة مع العثمانيين في المحيط الهندي سنة ١٥٢٣م .



معركة الشحر التي دارت بها معركة السبعة الشهداء

معركة الشهداء السبعة في الشحر :

وظهر التواجد اليافعي الفعال في المواجهة مع البرتقال عندما حاولوا احتلال الشحر في الغزو الاول سنة ٩٢٩هـ كجنود اساسيين في صفوف المقاتلين الحضارم التابعين (لابي طويرق) وقد ذكر بان المهاجين البرتغال جاءوا على متن (١٤) اربعة عشر مركباً شراعياً ، ثم نزلوا بمدينة الشحر والتي دارت فيها معارك ضارية سقط على اثرها كثيرون من القتلى وليس سبعة ، سواء من اليوافع او من بقية القبائل المشاركة ، اذ استمرت المعركة حامية الوطيس لمدة ثلاثة ايام تكبد البرتغاليين فيها كثير من القتلى والاسرى أدت الى انسحابهم .

ثم تلتها هجمة اخرى سنة ٩٤٢هـ على المدينة ذاتها سقط من جراءها عدد كبير من القتلى واوقع سبعون اسيراً برتغالياً في الاسر ، منح لليوافع عشرة اسرى منهم ليفعلوا بهم مايريدون إسوة بما قدموه من تضحيات ومكافأة لهم على مابذلوه في الذود حين اشتداد الوغى مع البرتغال .

ومن خلال هذه المعركة تبين للكثيري اهمية العنصر اليافعي وضرورة التمسك في فرض الهيمنة الكثيرية على الارض الحضرمية والاستعانة بهم ايضاً في تقليص طموح (آل العمودي) المنافس والأشد خطراً عليهم .

وبما إن آل العمودي كانو يشكلون الخطر الاكبر على بدر أبي طويرق المتحالف مع الاتراك والذي لم يرضه ذلك التحالف حتى انه رأى ضرورة تحالفه مع الامام وبعض المصادر قالت بأنه في هذه الفترة سنة ٩٤٤هـ (تحالف العمودي والإمام) لدرء الخطر التركي .

هذا قد يكون صحيحاً ولكنه لم يدم طويلاً لسقوط صنعاء تحت طائلة الاحتلال العثماني بعيد هذه الفترة بزمن وجيز . وفي سردنا هذا يهمنا الادراك بأن اليوافع كانوا سنداً قوياً لابي طويرق ، وانه استطاع من خلالهم اخماد كثير من الثورات على سلطته .

ثم انه نظمهم ووزعهم سبعة ومكاتب في الشحر كحاميات تخضع لسلطته منذ سنة سنة ١٠٤٤هـ حتى ضعف احوال آل كثير فيما بعد ، ونرجع اسباب

الضعف الى عشرين سنه خلت ، أي من حين ظهور نصير الزيدية بدر بن عمر الكثيري الذي تولى سلطنة آل كثير سنة ١٠٢٤هـ فاغاض ابن اخيه المعارض آنذاك والذي ألب عليه الحضارم واليوافع فأسقطه ، ووضعه في الحبس سنه ١٠٥٨هـ الامر الذي اعتبره الامام المتوكل اسماعيل إهانة له فطلب امراً من بدر بن عبد الله إعادة عمه فاستجاب متودداً وقابلاً باعادة عمه على ولاية ظفار . وتبودلت الهدايا وعم الصفا بينهما حتى خلع عمه مرة أخرى لابعاد مخاطر الزيدية عن الارض الحضرمية وبعد موت محمد المردوف آلت السلطة الكثيرية الى ابنه بدر بن محمد المردوف سنة ١٠٨٠هـ والتي كانت لديه بعض الجنود اليوافع الغير قادره على إزاحة التواجد الزيدي وهنا أيضاً حدثت هزه أسرية أخرى في بيت آل كثير :—

فمنهم من يرى بأن الزيدية اصلح لآل كثير وهم " آل عبدالله بن عمر"([٧٣])

وجزء آخر يري ، بان يافع اصلح بمساندة آل كثير وهم آل (بدر بن عمر) هذه الظروف المستجدة دفعت با (المردوف) الى التحرك نحو يافع للاستزاده بجنود آخرين ، وخاصة بعد طرد الزيود من يافع سنة ١٠٩٢هـ وتمكن بعض السلطنات المجاورة ليافع من التحرر بمساعدة ودعم يافع وكان ان ذهب الى يافع مقدماً عقائر البقر في كل المكاتب واستقدم ستة الآف مقاتل سبق واشرنا الى ذلك في حروب يافع مع الزيود سنة ١١١٧هـ ([٧٤]) هذه الستة الالف كانت الألوية الاستيطانية الاكثر وضوحاً في تاريخ حضرموت ، مع ان الاغلبية من جنود تلك الحملة عادت الى يافع . وعلى اثر ذلك ضعفت السلطنة الكثيرية وتبعثرت ، بل وزالت الدولة الكثيرية الاولى . ففي كتاب تاريخ حضرموت " المسمى بالعدة المفيده " للشيخ العلامه سالم الكندي يقول بهذا الصدد .

[٧٣]) خدع آل عبدالله بن عمر بقوة الزيدية وخاصة بعد طرد العثمانيون .

[٧٤]) خرجت الجيوش اليافعية بقيادة السلطان عمر بن صالح هرهره واشتكت مع جيوش السلطان عمر بن جعفر الكثيري في معركة (بحران) أدت الى انتصار يافع بمساندة العمودي واخراج الزيدية من حضرموت.

وهكذا وقع للدولة الكثيرية لما كان زمن متأخريهم وكان في مقام الوزارة لهم يافع .

ثم يقول : وصارت الى نقصان وضعفت شوكتهم ، وقصرت همتهم ، ونهمتهم ، وبعد ذلك استقوت عليهم الاجانب خصوصاً الفئة اليافعية ، واستولوا على ممالكهم ، وبلدانهم واخرجوا منها حتى انمحى رسم الدولة الكثيرية .

ثم يقول ، وآلت المدن مع يافع إلا من حل عندهم بطريق المصاهره مثل حاشيتهم وأدنى ، ولاتزال الجيوش تخرج الى حضرموت من القبلة كذلك الحروب والوقائع بين يافع والشنافر والعوامر وبنو ظنه وغيرهم انتهى .

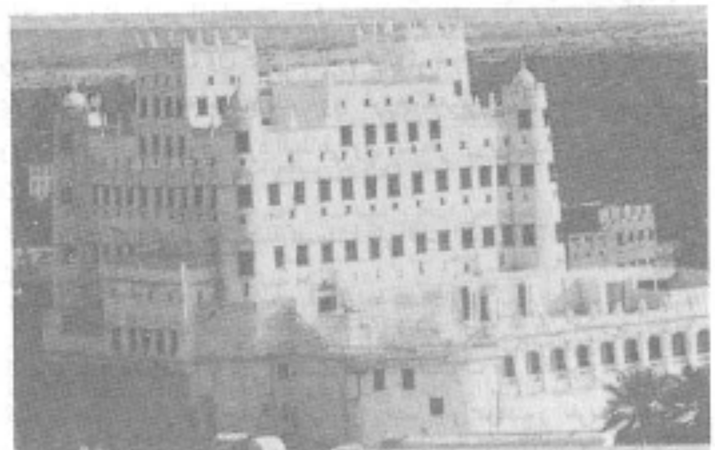
ومن حينها تمكنت عشائر يافع أن تقيم لها كيانات في كثير من المناطق والقرى الحضرميه : ففي تريم آل لبعوس ، وفي سيون آل الظبي وفي تريس آل النقيب ، وفي مريمه آل البكري ، وفي جفل آل الرباعي وفي شبام آل الموسطه وفي غيل بن يمين الشناظير وفي ريده المعاره كلد ، وفي خروم القعيطي ، وفي سدبه الجهوري ، وفي الهجرين آل يزيد وفي القزه البطاطي وفي الشحر آل بريك ، وفي المكلا آل الكسادي .

وظهرت كياناتها شبه مستقلة تهيمنت على تلك القوى بمساعدة ودعم اهالي حضرموت الرافضين لحكم الائمة حينها .

فاخذت تدافع عن كياناتها تلك بالتصدي (لآل عبدالله بن عمر) الدوله الكثيريه الموالية للامام . والتي اذاقت اليوافع صنوف من القهر والتنكيل او التشريد على اساس انهم جنس غريب عن الحضارم واسموهم (الغرباء) وكما اشرنا بأن تفكك الدولة الكثيرية قد ساعد كثيراً على احلال العشائر اليافعية محلها . وساعدتها ايضاً ايضاً على تمكينها من البقاء والاستقرار ثم بالاستقواء عن طريق استقدام المجندين من يافع حفاظاً على مراكز نفوذها القبلي في الارجاء الحضرمية .

ومن عندئذ تاسست الامارة الكسادية والامارة البريكية (١١١٥-١١٦٥هـ) واللتين اضحتا قوة لايستهان بهما امام أعاقة الطموح الكثيري المتجدد في الوصول الى ثغر الشحر الهام .

علاوة على ذلك فقد استطاعتا بالحادهما أن يبددا كثير من الاحلام الكثيرية، والتركية أيضاً ، على الرغم من ان صراعهما بين الحين والآخر اعطى فرصاً مواتيه لخصومهما المتربصين على اسقاطهما ، وكان من نتيجة ذلك سقوط الإمارة البريكية والاستيلاء على ثغر الشحر سنه ١٢٦٦هـ بعد تخلى آل الكسادي على مؤازره الاماره (البريكية) .



قصر السلطان الكثيري .. سيئون

المواجهة ضد الحلف التركي الكثيري

وكما اسلفنا كان آل كثير يرنون إلى انهاء التواجد اليافعي على ساحل حضرموت وخاصة بعد نجاحهم في انهاء الحكم اليافعي في تريم وسيؤون " إمارة آل غرامه " بفضل الامكانات التى قدمها الثري غالب بن محسن الكثيري والخصم اللدود في بلاد الهند لعمر بن عوض القعيطي . إلا ان ذلك التواجد كان من القوة بمكان بحيث لاتمكن آل كثير من اخراجهم إن لم تكن معهم في حربهم مع يافع . ولكي يتحقق حلمهم ارسلوا وفداً الى الحجاز على راسه اسحق بن عقيل بن يحي وعبود سالم الكثيري للالتقاء بالاتراك . وطلب تجهيز حملة على الشحر فحققا ما اراده وابدت القيادة التركية موافقتها ، وتحركت الحملة سنه ١٢٦٥هـ وكان قائد الحملة التركية انذاك يدعى " حسن أغات " وتكونت الحمله من عدد كبير من المراكب والسواعي البحريه تحمل على متنها خمس مئة جندي تركي لاسقاط الشحر. ونزلت هذه الحمله على ساحل بروم على اساس التنسيق بين آل كثير والاتراك وعندما علم نقيب المكلا محمد بن عبد الحبيب الكسادي بوصول الحملة طلب مساعدة حاكم الشحر علي ناجي والذي بعث بقوات لمساعدة صلاح الكسادي المتواجده في بروم واستطاعت هاتين القوتين من الحاق الهزيمة الشنعاء بالاتراك وطردهم من بروم . ثم اتجهت الى (شرمة) لكن قوات البريكي تصدت لهم واجبرتهم على الفرار نحو " قصيعر " وهناك نزلوا بانتظار القدوم الكثيري الذي تأخر عنهم ، واخذوا بالتسويف لاكتساب الوقت. إلا ان النجدات اليافعيه اقبلت من حضرموت الداخل . ومن الاماره الكساديه في المكلا ، واستطاعت هذه الجموع اليافعيه ، بان تلحق الهزيمة بآل كثير المطوقين للشحر في " مرير " و " دفيقه " دفعتها الى الفرار مما جعل الاتراك يعاودون الانسحاب من قصيعر وهم يجرون اذيال الخيبة بعد ازدياد الحصار اليافعي .

وهذه النتائج المخيبه لم يدخل اليأس الى نفوس آل كثير بل استمروا في محاولاتهم اسقاط الشحر حتى تمكنوا من ذلك سنة ١٢٦٦هـ وهنا تغيرت الموازين وكانت بمثابة ناقوس الخطر الذي تنبه اليوافع اليه .

إذ بدأت إمارة الكسادي تشعر بدنو الخطر الكثيري بعد سقوط الشحر من جراء تقاعسهم في دعم امارة البريكي ، وجعلت نقباء آل الكسادي يراسلون الثري عمر بن عوض القعيطي ويطلبونه المساعدة لاسترداد الشحر فلبى الجمعدار عوض واحضر معه الرويله المسرحين من جيش حيدر ([75]) آباد في الوقت الذي أعدبه الكسادي جيشه من يافع (التلد والغرباء)([76]) في حضرموت فتجمع من الجيش المعد لدخول الشحر الآتي : -

٥٠٠ مقاتل من الرويله المسرحين من جيش نظام حيدر عباد (آباد) .

٢٠٠ مقاتل من يافع الهند المسرحين ايضاً .

٢٠٠ مقاتل من يافع التلد في حضرموت .

٢٠٠ مقاتل من المماليك لآل الكسادي .

٤٠٠ مقاتل من يافع التابعين لجيش الكسادي .

١٥٠٠ مقاتل تم احضارهم من يافع الجبل بقيادة صالح بن عمر القعيطي فاستعادها سنة ١٢٨٣هـ .

وهنا نلاحظ بأن التواجد اليافعي في حضرموت في حالة ازدياد على كل حرب يقدم عليها يافع سواء فيما بينهم كامارات تدفع بها المكاتب اليافعية التابعة لها . أو في حالة المواجهة مع خصمهم الكثيري الذي يقارعهم الحرب كلما تذكر إرث اجداده في حضرموت .

ظهور الدوله القعيطية :

كان لاحتلال الشحر كما اوضحنا من قبل آل كثير واسقاط البريكيين سنه ١٢٦٦هـ حافزاً ومشجعاً لدخول عمر بن عوض حلبة الصراع بشكل عززه طموح خفي لتأسيس دولته المأمولة ، مغتنماً احتياج الكسادي لعونه .

---

[75]) حيدر آباد (عباد) بطريقة اللهجة .

[76]) (التلد والغرباء) يعني : التلد أبناء يافع المولودون بحضرموت . - الغرباء : القادمون من يافع .

كما وان ذلك الطموح تبين لنا في حضرموت الداخل ومواجهته لاطماع السلطان منصور بن عمر الكثيري الذي الحق الاذى البليغ بين صفوف اليوافع في شبام والقطن .

وعمل فيهم الغدر في كل ماتمت اليهم بصلة ، فمن اعماله السيئة مع اليوافع الآتي :

(١) الغاء اتفاقية مناصفة شبام بينه واليوافع من طرفه فقط سنة ١٢٥٩هـ .

(٢) دبر مذبحه المساجد في نفس العام والتي راح ضحيتها كثيرون من المصلين اليوافع .

(٣) قام بارسال أصحابه الى القطن مركز اليوافع وقاموا بحرق اليوافع وهم مجتمعون بدار (آل معمر) سنة ١٢٦٠هـ وقيل بأنه استخدم البارود في نسفها.

(٤) تتبع اهل يافع بكل مكان ، قتلاً ، وسحلاً وإرهاب مما اضطر اولئك اليوافع الى الاستنجاد عبر وفدهم (باعطوه) والمصلي ، وبن علي الحاج وطلبوا منه القدوم الى حضرموت على ان يولونه امرهم (عمر بن عوض القعيطي) وقيل بان تلك الفعلة أثارة غضبه وحميته اليافعية ودفعت به إلى ارسال وكلائه عبد الله بن صالح السيلي ، علي عبد الحبيب الجحوشي للذهاب الى جبل يافع واستقدام الجنود القبائل لرد اعتبار أهل يافع بحضرموت الداخل ، ولتأديب ذلك الرجل الشرير على اعماله ، وعندما تجهزت الحمله سنة ١٢٦٣هـ جعل ابنه عوض مشرفاً على تلك الحمله المقدره بالفي مقاتل ووصلت الى المكلا سنه ١٢٦٥هـ .

ثم توجهت الى حضرموت واعادة الممتلكات اليافعيه بما فيها مناصفة شبام ، لكن حيلة الغدر الكامنه في نفس منصور بن عمر الكثيري لم تجعله يسكت ، فقد بدأ بتدبير اغتيال الزعامات القعيطيه عن طريق الغدر اذ اقام حفلة مناسبة ختان نجله ثم وجه الدعوه الى عوض بن عمر وكبار رجاله ، ووضع أكياساً بها باروت على البساط المعد لجلوس المدعوين من يافع .

غير ان اليافعين اعتذروا عن الحضور بعد أن اوشت امرأة من آل كثير بسر الخديعه المعده .

فما كان من الجمعدار عوض بن عمر الا ان رد الدسيسه له وعزمه ، ثم تخلص منه واستولى على شبام سنة ١٢٧٤هـ ١٨٦٠م .

وهنا نلاحظ ايضاً بأن الظروف قد خدمت القعيطي سواء في الاوضاع الكثيريه أو اليافعيه ، بل ان الدولة القعيطية ظهرت والتنافس على اشدة بين المتصارعين الكبار " الاتراك — الانجليز " .

فالاتراك عملوا بكل ما اوتوا من جهد في المساعده على تمكين آل كثير من انشاء دولة لهم ومواليه للاتراك والبريطانيون غضوا الطرف وابدوا علامة الرضاء للنجاحات التى حققها القعيطي بحضرموت على امل ان تصبح مواليه لهم . ومع المراعاة في تقديم التسهيلات إن لزم الامر على بسط النفوذ ، وتذليل العقبات إذ ما اعترضت الجمعدار القعيطي .

فمن هو ذلك القعيطي اللاعب على المفارقات السياسية والقبلية بذكاء وحنكة اليتت درايته واتقانه اصول اللعبه ؟! .

((ذكر في كتاب المستشرقون واثار اليمن في قصة الينديرج)) مع اليمنيين من ان عمر بن عوض من قعطة يافع " القعيطي " من فرع يافع في حضرموت ولد في الخروم على الاطراف الشرقيه لوادي حضرموت (٧٧) ، ونشأ يتيماً ، ثم هاجر الى الهند في وقت هاجر فيه اخرون من اسر مختلفه منهم غالب بن محسن الكثيري " الطرف الاخر في الصراع " وقد دفعه اشتداد الصراع بين يافع والكثيري أن يمد يافع بالمعونات الماليه والعسكرية . وتحت رعاية رجلين من ابرز رجال حاشيته المحنكين واشراف ابناءه محمد وعبدالله وعوض .

وحين توفي الحاج عمر بن عوض رحمه الله " عام ١٨٦٥ " كان ابناءه قد احكموا قبضتهم على حوره والقطن وشبام وكلها في الوادي .

(٧٧) محل ميلاد عمر بن عوض (خروم في حضرموت) يقابلها (خروم في أرض القعيطي ببلاد اليافعي .

ثم اشار الكتاب : إلى ان المرحوم خصص ثلث تركته التى يحق له التصرف فيها لهذه المهمه وجعل ابناءه الاربعه باضافة صالح اوصياء على مشروع الدوله مستثنياً ابنه الملقب (براق صنج) والمتوجه بكليته كما يقال في خدمة نظام حيدر اباد الذي كان الحاج عمر من اتباعه وتوفي محمد بحضرموت بعد اشتراكه في معارك المرحله . واتم الثلاثه الباقون المهمه موزعين الادوار فيما بينهم ، فصالح يدير الممتلكات في الهند ، وعبدالله يصرف شؤون الشحر التى استولوا عليها من آل كثير سنه ١٢٨٣هـ ١٨٦٧م .

بينما كان عوض هو العقل المفكر والمخطط وحلقة الاتصال بين الهند وحضرموت في الامدادات حيث تدور المعارك .

ولقد قام عبدالله عام ١٨٨٢م بتوقيع اتفاقيه أوليه مع بريطانيا عن نفسه واخويه وخلفائهم . وذلك على اثر سقوط المكلا بايديهم ثم وقع معاهدة الحماية سنه ١٨٨٨م وكان صالح جعفر (٧٨) من شهودها ولكن العمر لم يطل بعبدالله إذ توفي في العام نفسه . وخلفه ابنه حسين في ادارة الشحر .

وبنى الحاج عوض في تلك الاثناء حصنه المعروف بحصن " الشبيه " في ما يعرف (ببرع السده (٧٩) خارج المكلا) .

اما منصر عبدالله فقد ولي المكلا حيناً ثم أصبح حاكماً لغيل باوزير حتى اشتداد النزاع بينه واولاد عمه وعمه عوض الذي سعى لحصر الخلافه باولاده فقط من خلال هذه الخلاصه نستطيع أن نبين بأن دور بريطانيا بدأ يظهر جلياً في التاثير على مجريات الامور لما تراه متفقاً مع سياستها .

نشوء وسقوط الدولة الكسادية :

نشاءت الامارة الكسادية سنه ١١١٥هـ وتضاربت الروايه عن كيفيه نشؤ الامارة الكساديه ، فمنهم من يرى بأنها انتقلت من يافع مباشرة الى المكلا

(٧٨) صالح جعفر المساعد المحلي لحاكم عدن البريطاني .

(٧٩) برع السدة : خارج البوابه ويمكن تكون منطقة (البر) واضافة العين طريقة حميريا وجاءت منها اسم (مبرع) أي مكان (البرع) بفتح الراء وتسكين العين .

بواسطة جد الكسادي نفسه والذي اشتغل في حراسة قوارب الصيادين في بادئ الأمر حتى قوي شأنه فاستولى على المكلا .

وهناك رواية تقول بأن المكلا كانت " للعكابره " وانه انتقل اليها صلاح بن سالم بعد طرده من غيل بن يمين من قبل اهل يافع انفسهم وان البريكي هو الذي ساعده على استتباب أمره في المكلا .

وهناك رواية اشار اليها الناخبي من ان اسرة الجدياني اليافعي قدمت الى المكلا سنة ١٥٧٩م فاعجبتهم ثم استوطنوها وملكوا أمرها حتى تم اغتيال الجدياني على يد الكسادي (سالم) .

وهناك من يري كالكاتب والمؤرخ الدكتور محمد عبدالكريم عكاشه . من ان المكلا كانت ماهوله قبل قدوم الكسادي في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة . انما ساعدت الاوضاع المضطربه في المكلا والصراعات الاسرية على تمكن الكسادي من امتلاك زمام الامور وشجعه على ذلك العنصر اليافعي القادم مع بدر المردوف أو المتواجد مع بدر بن عمر منذ سنة ١٠٤٤هـ هذه الروايات كانت حول نشأتها لكن يستوجب علينا اظهار بعض الملامح عن كيفية سقوطها.

كما لاحظنا كان هناك تعاون بين الكسادي والقعيطي في صد الهجمات المتكررة من قبل آل كثير آخرها سقوط الشحر بأيديهم وتعاون اليوافع في استردادها. على الرغم من ان هناك نوايا مبيته صاحبت الطموح القعيطي الا ان الكسادي لم يأخذها بمحمل الجد . وعندما اثقل كاهل النقيب الكسادي بالديون للحاج عوض القعيطي بلغ مئة وستون الف ريال اضحى من مآليس منه بد ان يكون وتبدت الاهداف الحقيقية تتوضح للعيان :

فقد طلب القعيطي مبدياً حسن النيه وحاجة الكسادي للمال لتسيير شؤونه . ووافق للطلب وانصاع سنه ١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٣م .

إلا ان النقيب الكسادي وبعد ابرام الاتفاقيه شعر بأنه فقد جزءاً من سيادته إضافة الى ميناء هام كالمكلا مما جرى به الى الغاء الاتفاقيه من طرف واحد وطرد القعيطي من المكلا ، فأودت الى توتر الاوضاع بين الطرفين وحدثت الاشتباكات البحرية والبرية ، وظهر العولقي والكثيري عدوي الامس . صديقين للإمارة

الكسادية بل ومتحالفين على مواجهة الطموح القعيطي لكبح جماحه مما ادى ايضاً وبطبيعة الحال الى ظهور الطرف البريطاني كمصلح في بداية الامر حاصر الطرفين من الحصول على السلاح وامرهما بوقف الاقتتال من ناحية اخرى ، ثم رفع بعض مقترحات الحلول لدراستها من قبل الطرفين .

لكن القعيطي اخترق ذلك كله ودخل (بروم) عسكرياً ونتيجة لذلك التصرف المفاجئ اعلن النقيب الكسادي بأنه سيضع إمارته تحت حماية اجنبيه ورأت بريطانيا أن تكون هي الطرف المؤهل لتلك الحماية ولمدة خمس سنوات حتى تتساوى الاوضاع في حال الشروع فيها . ولقد كانت بريطانيا ([٨٠]) في البداية مصرة على الغاء الاتفاقيه مقابل أن تعود ديون القعيطي في الحال ، لكن هناك اغراء قعيطي مبطن للحكومة البريطانيه جعلته يغير من مواقفه ويأمر النقيب الكسادي على توقيع اتفاقيه بيع المكلا كاملة وبروم سنة ١٨٨١م شهر مايو وكذلك ملحقاتها بمبلغ ثلاثمائة الف ريال (فرنسا) لكنه رفض فافتعل الانجليز حادثه إتصال النقيب عمر الكسادي بالاتراك كذريعه ليدخلوا طرفاً في الصراع وحسمه لصالح القعيطي سنه ١٢٩٨هـ الموافق ٥ نوفمبر سنة ١٨٨١م .

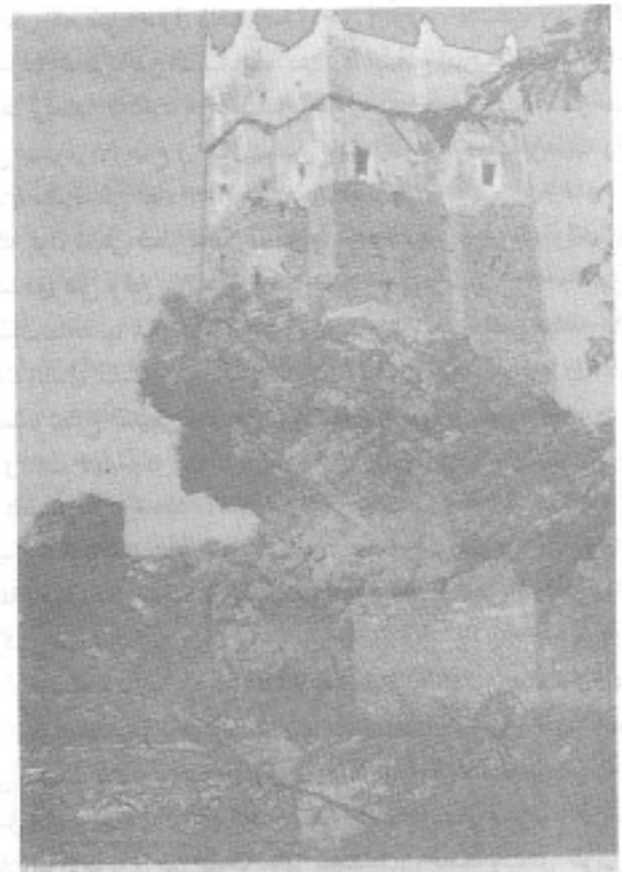
وكانت النهاية بأن استولت بريطانيا على الحصون والقلاع الكساديه وطلبت من النقيب عمر وحاشيته الانتقال الى المنفى ومغادرة المكلا برفقة ٢٨٠٠ من مؤيديه حملتهم ثلاثة عشر سفينه شراعيه الى عدن ومن ثم الى زنجبار ([٨١]) بعد رحلة قاسية لم تكن بالحسبان حلوا بعدها ضيوفاً على السلطان (برغش بن سعيد حاكم زنجبار) .

اوجزنا قصه تواجد اليوافع بحضرموت ومارافق ذلك من احتدام في الصراع بين الفئات اليافعيه والكثيرية وفيما بينها البين آلت اخيراً الى الدولة القعيطية التي حكمت بلاد الساحل الحضرمي وارست فيها نظاماً متقدماً جعلت يوافع الجبل يجدون متنفساً آمناً للهجرة والبقاء والاختلاط بابناء حضرموت ، وتأسيس العلاقات الأسرية واخيراً عادت لتظهر متجدداً ، وحاملة وشائج القربى تلك

[٨٠]) رأت بريطانيا أن هي الحاميه للكسادي حتى لاتقع بحضن الحماية التركية .

[٨١]) زنجبار : سلطنة جنوبي .

المتباعده ، ولتجديد مابلي منها واصبح الكثيرون من ابناء حضرموت ويافع الجبل يبحثون عن أصولهم في ظل تداخل العلاقات الاجتماعية عسى ولعلهم يلتقون بفروعهم التى انحدروا منها قديماً .



حصن الغويزي

مدخل حادي عشر

آل فضل ويافع :

كانت ولازالت العلاقة بين الفضلي واليافعي قائمة على الود والاحترام المتبادل وفي الازمان السابقة كانت تعترضها هزات عابره بين الفينه والاخرى نتيجة تداخل الاراضي الفضليه مع اراضي العفيفي والكلدي ، كذلك بسبب حرب (الدازعه ؛ تلك المياه الجاريه من الارض اليافعيه والتي تصب في بلاد آل فضل وقد اذ تبين اول فتور في العلاقات بين الطرفين في زمن السلطان معوضه العفيفي ، والسلطان عبدالله احمد الفضلي . مما جعل الأخير يطلب مساعدة جيش الامام على استرداد الطريه . وكاد ان يخرج عن طوق التحالف المذاك بين سلاطين ومشائخ الجنوب . لولا انه تراجع حينما احس بالخطا الفادح سنة ١١١٧هـ تبين عندما تسلط عليه جيش الامام وراى انه بحاجة الى مساعدة اليوافع باخراج ذلك المتسلط .

ثم هدأت الاوضاع واستقرت حتى سنة (١٨٧٣ - ١٨٧٦م) عندما حدث الخلاف بين سلطان آل فضل والثائر عليه الشيخ المرجاج على وادي النازعه مما حدا بالاخير ان يلجأ الى آل عطيه والعفيفي طالباً منهما الدخول لاسترداد حقه .

ومن حينها لم تهدأ الاوضاع تماماً بل كانت تحدث اشتباكات قبليه وغارات خطف وتقطع متبادله .

إلا ان العلاقة عادت الى التوتر من جديد عندما حاول الفضلي بناء حصن في (بير مجهر سنة ١٨٨٨م) وادت الى الاتفاق في زمن السلطان الوريث احمد بن حسين الفضلي والذي كان صغير السن لم يتجاوز سنه ستة عشر سنة مما جعل المتصرفين دونه يأججون بالوضع ويثيرون المشاكل والنزاعات القبليه صاحبها بعض فترات الهدوء حتى سنة ١٩٠٢م عندما اقام الفضلي نقطة جمارك في زنجبار لفرض وجمع الضرائب والمكوس على القوافل اليافعيه المارة ببلاد آل فضل مما جعل اليوافع يردون على ذلك المستحدث باثارة مشكلة المياه المارة ببلاد اليوافع

" النازعه "([82]) وطلبوا من آل فضل مكوساً مقابلة مـاء سيقطع على اراضيهم الزراعيه .

واحدث ذلك نزاعاً مسلحاً واشتباكاً قبلياً بدى لنا واضحاً عندما دخل الفضلي خنفر سنة ١٩٠٤م وتبين ايضاً ما يؤكده من خلال رسائل القاري الموجهه للمستشرق السويدي الكونت ليندبرج عند وصفه للاوضاع اليمنيه والاقتتال بين القبائل اليافعيه والفضليه ، اشار في رسالته رقم ٥/٩٠٣ المؤرخه ١٩٠٣ يذكر فيها مقتل وزير السلطان المسمى الأمير عبدالرحمن ويذكر بان الفضلي استعان بالعولقي ([83]) لأخذ ثأره إلا انهم لم يتمكنوا بغير هدم أحد الحصون اليافعيه .

وسقط من العوالق قتيلين عند هدم الحصن . ثم يضيف في رسالته بان الفضلي اعلن وقف القتال بمناسبة حلول شهر رمضان ، مبدياً تأكيده بان الفضلي لاطاقة له على مواجهة يافع الذي يدعمه القعيطي بشكل سخي .

ثم يشرح في رسالته الثانيه المؤرخه ١٩١١م تحت رقم ١/٩١١ بان الاوضاع بين الفضلي واليوافع تتقارب نحو الحرب مضيفاً بأن الاقتتال معتاد بين القبيلتين إلا انه لمح الى نزول يافع على اهل فضل (للغزو) ثم استمر النزاع حول المياه (النازعه) تتأجج موسماً ، وتركن الى الهدوء مواسم اخرى وفي ظل الاتفاقيات. وكان آخر تلك الاتفاقيات والتي افضت الى عقد صلح ووضع حداً لهذه المشكلة ما ينص كالآتي([84]) : —

(١) على قبائل اهل فضل التي تنتفع بهذه المياه النابعه من اوضنا أن تحافظ على السلام والوئام ، وان لايتعدوا على قبائل يافع بني قاصد المجاورة لنبع المياه .

(٢) تقدم كمية من التمر بدء كل موسم (قاصورتين) .

[82]) مستر جراس وصفها بالنازعه بكثرة النزاع عليها ولأنها تنزع الماء من تحت الأرض وسماها المياه الساخنه (The hotwatler) .

[83]) العولقي جاءت من كلمة يعلق النار أي شعلها وهي قبيله عريزه الجانب ذات مواقف تاريخيه خالده .

[84]) الامارات اليمنيه الجنوبيه ، المؤلف نجيب سعيد .

(٣) الدفع مسبقاً مبلغاً محدداً من الريالات في بدء كل موسم (٤٠ ريالاً).

(٤) يسلم ماورد ذكره اعلاه في موكب رسمي يحضره اهل فضل الى المقر في قرية (الحصن) مع اداء تعشيره ونحر عدداً من العقائر .

وعندما كانوا يقطعونها يقوم اهل يافع بقطع المياه فيحدث النزاع والحرب كان نهاية ماحدث خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٣٨م إذ جرى نزاع مسلح بين قبيلة آل حيدره منصور في بلدة الدرجاج وسلطانهم صالح بن عبدالله الفضلي مما حدا بهذه القبيله الالتجاء الى اهل بن عطيه " قرية الحصن " التابعة ليافع بنى قاصد .

واستمر النزاع متفاقماً يشتد تارة ويهدأ تارة أخرى في الوقت الذي ظهرت بوادر النزوع نحو الاستقلال من الاستعمار البريطاني .

وفي زمن السلطان عيدروس بن محسن العفيفي اشتدت الازمه وبلغت ذروتها في الصراع عندما اشترك بها ثلاثة مكاتب ((السعدي — الكلدي — والايهري ; ([85]))) تكبد فيها الاطراف المتصارعه قتولاً كثيره فقيل انه ومن عائلة السليماني وحدها فقدت مايزيد على اثنى عشر قتيلاً عندما حاول الفضلي انتزاع " النازعه " من يافع وفي هذا الصدد قال أحد الشعراء :

ياعيدروس انت وشرعك من سرح الجبر رعاها
والنازعه رديتها لك ذي جاءني الصايح عليها

وقد تزامنت هذه الحرب مع الصراع على " حلمة " عندما انتزعها الفضلي في نفس الفترة من السيطرة اليافعيه ، وقد سجلتها وافرزتها بعض الاشعار الشعبيه ببعض الزوامل في مطلع الاربعينات من قرننا هذا بما يلي:

رحنا معانا فيحة الـوادي — واتـه معـك موتـر وطـيارة
وادى بنـاء مـاهو خـد بـارد — شـق عـاد مفتاحـه في الفـره

[85]) لم يشترك اليزيدي خلاف مع مكتب السعدي انذاك وكذلك الناخبي .

نلاحظ الميول البريطانيه (٨٦) مع الفضلي ضد اليافعي من خلال الزامل ومن الاغاني الشعبيه :

ساحل ايـن ويـش آمنـك بعـد الحروبـي
كـانوا اهلـك يشـربون الرصـاص مصيربـي
صـابك الله صـاب يـالكلب اليهـودي
يـوم سـويك العـلم بـين لحـدودي

وهذه الحرب لها تراثها وتستحق العناية بجمع حقائق الصراع للتاريخ وتعد الزوامل اهم مصادر جمع الحقائق مثل (هجلة) الحرب : —

واسلام الاف قال الصـلاحي	وامسـه (لشرقيه) تـذلح ذليـح
ساحل اين كان لابن العفيفي	عار يافع لاطـرح بـه صحيـح

وقيلت بطريقة الغزاه " حزوره "

احزيـك مـن بكـره حـاعت علـى جاهـا
بكـره عجـبه واسـم ابوهـا ح ولام
إن كـان جبوهـا وجبـوا حلهـا
ولاحـرام الصلـح مادمـنا ودام

فاجاب شاعر آخر بقوله : —

مخزاتك الخلـمه وناقاهم بـها	لفضول شنـوها ويافع بالمنام
والامر محسن لاتوصل عندنـا	باطلعه بالسرج من فوق السنام

(٨٦) تقاربت سياسة الانجليز مع الفضلي بعدما ساءت مع آل العفيفي على قضية بيع القطن وتحديد سعاره بل محمد الانجليز الى خلق سلطنة العفيفي الى سلطنة الساحل وسلطنة الجبل .

اوردنا بعض العلاقة المشوبه بالانتكاس. إنما العلاقة بشكل عام تعتبر جيده ، وترقى الى مستوى الاخوة والتحالف في كثير من المواقف الطارئة .
وخاصة في الوقت الحاضر .

علاقة ردفان بيافع :

يقال عند عامة الناس بأن ردفان تعد ردفاً ليافع في المخارج الكبرى منذ قديم الزمان .

لكنه وبحكم علاقة التقارب والتداخل في الوديان ، وحلول قبائل يافعيه كثيره على أرض ردفان مثل قبائل البكري — البـاقري (البقور) الحجيلي ، الحلشي والجهووري ، العامري ، وكثير من هذه القبائل سبق وتعرضنا لها في الاصول القبليه اول الكتاب قد نزحت واستقرت هناك .

وبحكم هذا التقارب التداخل كانت تحدث بعض النزاعات والخلافات بين مكاتب يافعيه واخرى ردفانيه منها على سبيل المثال لا الحصر نزاع دار بين آل الشيخ من المفلحي وآل الشراري من ردفان اشتركت بها بعض القبائل ، لم تصل الى حد خروج مكاتب يافع ضد ردفان . وان تطورت في هذه القضيه بان اشترك بها قبائل (كلد) .آل مفلح ، كمخرج ضد أهل الشراري الذين قتلوا آل الشيخ من المفلحي وكان موقع محطهم العسكرية (٨٧) واستمروا في التقدم الى حيل يسمى حيل يافع وعندما حاولوا محاصرة ساكني قرية " الحاجب " في ردفان وجدوا مقاومه عنيفه انسحب على اثرها اهل يافع بعد أن ادوا مهمتهم حسب شروع القبيلـه (يوم ابيض) يصاحب ذلك اليوم هدم منزل المعتدي ، ونهب بعض املاكه كنوع من العقاب والتأديب إذا ما تعذر برد الوجه للمعتدي عليه .

وتعد هذه المعركه الاولى مع ردفان ، وان حدثت قبلهما او فيما بعد بعض المناوشات ، فهي لاترقى الى مستوى معركة وقد طفت بعض المواجهات القبليه أو الفتن ، والزغارات (٨٨) بين اهل الردفانيه وقبائل كلد (الناصره — الرها —

(٨٧) العسكريه : نسبة العسكره موقعها طارفة يافع مع ردفان .

(٨٨) تقطع القوافل وايقافها أو احد افرادها .

آل يوسف) وتناوشوا بسبب اخذ العشور من آل داعر السلطان القارد العقيفي.

كذلك عرفت معركة (ذخومرة) مع العبادلة الردفانيه ومكاتب يافع وسببها هروب ابناء الشيخ صالح السقلدي والتجاء بعضهم الى مشيخة العبادله بعد قتلهم ضيوفهم من اهل يافع ، ففي ذلك الوقت كانت عوائد مقرره ليافع عند اهل الشعيب يسمونها (ليله وكيله) يتنب لها من كل المكاتب اليافعيه من كل عام ويرسلون على (لرباع في الشعيب) وقيل وبينما كانوا ضيوفاً على الشيخ السقلدي هجموا عليهم ابناؤه وهم رقوداً ، وقتلوهم واحداً تلو الاخر ، لاسباب لاندري مدى صحتها .

وبعد هذه الحادثة انقسم القاتلون الى قسمين احدهما ذهب الى عند اخوالهم العبادله في ردفان والاخرون ذهبوا لطلب الحماية من مخلاف (إب) وقد استنكرت يافع هذه الفعله ونكفت مكاتبها للأخذ بالثأر وجزء من القوة اليافعيه اتجه نحو العبادله للاقتصاص من أحد القارين هناك ولأنه بوجه العبادله فقد جعلت خيار الحرب على تسليمه ليافع وعندئذ دارت معركة سميت " معركة السطل " بين الطرفين بشدة وضراوة في وادي اسمه وادي الموسطه فاتسعت حتى وادي تيم وسقط من جراءها كثير من القتلى بين الطرفين .

قيل بأن احد سلاطين آل " هرهره " كان من بين القتلى وبعد هذه المناوشات عاد الوئام وتعاضدوا على مواجهة الزيود في كثير من المعارك وسطروا فيها اروع البطولات ، واشهرت من تلك البطولات ماقام به الاخوين الجهاوره والديباني الذين قاما بقتل قائد الحمله عامر بن صالح سنة ١١١٢هـ.

علاقة الشعيب بيافع (وحرب الشعيب والقزعه) :

هناك علاقة تاريخيه وسلاليه موغلة في القديم فقد قيل عن اهل الشعيب بأنهم قبيله يافعيه من بنو شعيب كما اشار الى ذلك الهمداني في الاكليل الجزء الثاني ، قائلاً بأنها قبيله عزيزة الجانب ...

ونظراً لتلك العلاقة المتمازجه ، جعلت الشعيب يلجأ الى يافع في رد أي ظلم يحيق فيه من غلا أو طاغيه على مر العصور .

واعتبر رديفاً اساسياً للموسطه هو والحلتي في المخارج العسكرية الخارجية بل وسنداً قوياً منذ الغزوات الاماميه الاولى سنة ١٠٦٥هـ واستمر التحالف القبلي فيما بين الموسطه والشعيب في صد تلك الغزوات حتى بدت تضحيات كبيره من قبل اليوافع باستحداث ما يسمى ليله وكيله سنوياً كضريبه دم ليافع الموسطه وقسمت فيما بين مكاتب الموسطه ارباع على حسب عدد مكاتب الموسطه الاربعه :

١– فقيل سهم السيل ويعطى للخلاقي ([٨٩])لكثرة قتوله للشيخ (محمد الخلاقي)

٢– سهم العردف للشيخ / محمد سعيد مطهر .

٣– سهم العواذل (المنفدي) وشيخه / بن قاسم

٤– سهم القزعي وشيخه / آل جرير

٥– وكذلك سهم مجود للشيج / يحي محمد الحكم

٦– الرباط وشيخه / مثنى ناصر .

وكان يذهب لاستلام المقرره تسعه من الموسطه والعاشر سقلدي واستمر الحال على هذه الطريقه زمن ليس بالقصير .

حتى تدهورت الاوضاع فيما بينهم وتحولت الى حرب ضروس لاعادة ما قطع من سالف العهد " ليله وكيله " بين يافع والشعيب .

فمن اسباب الغائها رأى الشعيبي بأن تلك العادة اضحت لاتطاق متهماً تلك الوفود بأنها قد تعدت حدود المتعارف عليه مما أدى الى قتل الوفود وهم رقوداً عندما استضافهم اولاد الشيخ صالح السقلدي سنة ١٠٨٧هـ وبعد القتل هرب اولئك الابناء جزلاً الى (إب) وجزء منهم الى مشيخة آل سلمان العبدلي ردفان حيث اسكنوهم في ديارهم واعلنوا حمايتهم من يافع وقد قال المؤلف الذيباني بأن

[٨٩] (كل مكتب يتكفل بحماية سهمه استقينا هذه المعلومات من الوالد الحافظ عبدالحافظ العوادي (او استسقينا) .

ذلك اللاجي عرف بأنه عمر بن صالح السقلدي وهذه الحادثه تبين لنا من ان يافع لازالت تحت الاحتلال الزيدي ولانعرف انها سرحت في ذلك الحين غير انها نزلت لتحرير الشعيب وحالمين سنة ١١١٢هـ ولربما كانت هذه (الليله والكيله) قد فرضت بعد التحرير نتيجة لكثرة التضحيات وبهذا نرى بأن المؤلف سالم الذيباني قد اخطأ في تحديد التاريخ إلا ان حرب الشعيب ليست واحدة بل كثيرة ومتعددة آخرها الحرب التى دارت في زمن الشيخ عسكر علي بن نقيب والتى كانت سببها ماتعارفت عليه يافع في الشعيب ودخول الزيدية وفي هذه الحرب قدمت يافع عقائر بقر الى حالمين للموافقه على حصار الشعيب من جهة حالمين وقد قبل الحالمي ذلك باستثناء اصحاب الارباع الذين قبلوا عقائر الشعيب للوقوف معهم ضد يافع وكان على رأسها أي تلك القبائل الشيخ مطلق صالح القاضي (قبيلة القاضي) ومشيخة الشعيبي العبدلي الشيخ علي بن نصر الشعيبي من قبيلة العبدلي للذين هبا مع مجاميع من قبائلهما وبعض اهل حجيل لمناصرة الشعيب ضد يافع الموسطه ، وبينما كانت الحرب مستمرة بين اليوافع والشعيب زج الامام يحي بجيشه مغتنما تلك الفرصه والصراع الدائر وكان ذلك سنة ١٣٣٩هـ عندما دخل الجيش الامامي الى الضالع وبعد مواجهات داميه بقيادة الامير نصر بن شائف كسرت القبائل المواجهة وتوغلت الجيوش الاماميه نحو وادي الضباب في حالمين وردفان وصولاً الى الشعيب ، فتجمعت القبائل الضالعيه والحالميه والردفانيه في حالمين لمحاولة صد الزحف الامامي إلا ان ذلك لم يجدي نفعاً مما حرى بالامير علي بن يحي احد امراء حرقة حالمين بأن يعلن الولاء والطاعة للامام ووجه دعوة للقبائل المشاركة بان تنسحب من بلاده فما كان من يافع إلا أن سرحت فيافع القاصدي هب نحو ردفان لايقاف التقدم الزيدي وخاصة بعد سقوط كثير من المشيخات باستثناء مشيختي العبدلي والقطيبي اللتين ظلتا تقاومان باستماته منقطعة النظير حتى وصول قبائل القاصدي والتى كانت لاتملك من العتاد أي شيء فطلبت من الشيخ عمر سيف شيخ العبادله أن يموتها بالذخيره غير أن ذلك الشيخ لم يستطع تلبية مطاليهم فانسحبوا عائدين وفي الوقت ذاته كانت قبائل الموسطه مع ارداقها تحارب الامام في الشعيب . وفي

رواية الوالد العارف عبدالحافظ العوادي نقلا عن والده والذي شارك بهذه الحرب مقاتلاً الى جانب جده .

بأن هناك قولاً كثيره تتجاوز المائتين قتيل بذلها يافع في حرب الشعيب وعلى سبيل الذكر ومما حفظه ذاكرته قال ان منهم اناسا من خلاقه ومحمد علي بن نقيب والحريبي (محمد زيد) والذي قطع راسه وذهب به الى الامام . حسين عبده الحريبي وعلي محمد العوادي . وعبدالرحمن بن علوي اضافة الى اربعة عشر سجين حوصروا بالقزعه من بينهم والده .

وعلى الرغم من التفاوت الكبير بين القوة الاماميه والتى تملك المدافع والعتاد والعده وكثرة الجيش إلا ان يافع الموسطة قاومت مقاومة عنيفه وابدت بطولات رائعه على سبيل ماجاء ذكره من واقع تلك الحرب .

ولقد استمرت الحرب من سنه ١٣٣٩هـ حتى سنه ١٣٤٧هـ سنه ١٩٢١م هزمت فيها الموسطه لكثره جيش الامام المعزز بالاسلحه الثقيله وترد على بعض مكاتب حالمين في الوقت الذي كانت قبائل يافع الاخرى ومكاتبها لم تشارك سوى مشاركة بسيطة على شكل (غاره) آخرها حرب القزعه :-

حرب القزعه في الشعيب :

كانت الموسطه تسرح كل سنه مسراح أي مخرج حرب الى الشعيب وآخر مسراح كان الى وادي (الحقل) والقزعه وقد تقدم ذلك المخرج سعيدي ومسعدي (صعدت البيرق) ماراً بجبل الخيل ، ثم حوثري ورشيدي ، وبعد مرفع الجهوري يخرج القعيطي والعيساني ويكون علم الحوثري والرشيدي في هذه الحرب (جربه الدرج) في (بناء) مع المخرج الاساسي نحو الشعيب وعندما تجتمع هذه الجيوش تنطلق حسب خطط وتوزيعات لارباع الشعيب .

وقد ابلت الموسطة بهذه الحرب بلاءاً أكثرت فيه التضحيات ، واظهر مقاتلوها صوراً مشرقه من صور البطولات مثل (عماري) الذي قيل بأنه قتل ستة نفر وعندما نفذت الذخيره عليه عض السابع باسنانه حتى قتل الاثنين (وبن عماري تقنع من حلاله والوطن) اغنيه شعبيه .

كذلك بن نقيب " صالح محسن " ومن الذين عرفوا بالشجاعة محمد زيد الحريبي الذي قطع راسه واخذ للامام ، والذي ندم الامام على مقتله ، وقال كان ينبغي عليكم احضاره حياً لامقطوع الرأس وعند تفتيشه وجدوا قصيده في احد جيوبه سنورد بعض ابياتها لاحقاً .

ومن الذين اسرهم الامام في القزعه ، عرف العوادي عبدالرحمن وبن مفتاح وعددهم ١٤ خرجوا بعد انتهاء الحرب من سجنهم الكائن في (الندره) وعادوا الى يافع .

قصيدة الحريبي في حرب القزعه (محمد زيد الحريبي)

قيل بأنه قتل وجزء راسه وحمل للامام نظراً لمقاومته العنيفه ضد جيش الامام وعند تفتيش جيوبه وجدوا قصيدة مكتوبه سنورد بعض ابياتها لعدم تمكنا من الحصول عليها كاملة :

يا لله يا الله يامعطي عطايا جزايل   كن في امورى كفيل
كلمحة الطرف تدرك يالإله كل سائل   والجود فعله جميل

الى ان يقول :

قال الحريبي : الى الهاجس وانا كنت غافل
وكل شيء له دليل
وبارق النصر يلمع من ذلوق الناصل
والموت عندي دخيل
لن يوم الشرف والدائرة والمنازل
بالجود فعله جميل
نهدم مطارح ونقتل كل من كان عامل
والمقدمي والوكيل
بالفريته والمبازرهيه حزام القبائل
ذي صوبها ما ميل

والسعد معنا وريسنا قمندان هائل
سلطان قدره ثقيل
والد عوض بن عمر غالب له الحكم جابر
رحنا علينا قبيل
شف ريس الزيديه فرع الحسن وانت قابل
فرع الحسين القبيل
وبالصفي تعز هيه والنواحي وباجل
و(إب) فيه المقيل

وقد اثارت هذه القصيدة حفيظة الامام وطلب الرد عليها وقيل بان الرد كان مطلعه :

يا لكم ياعصاة الحق   يـاهل الواطل باقاطعين السبيل
ما يسعوا سادة الجمعة   ولا اهل الفضائل ماهم كما القنديل
هاكل شيء له حسبي بزيد يخرج   يقتل لو كان سيد اصيل

واستمرت الموسطة تخوض الحرب في الشعيب على الرغم من قلة التموين والعدة والعتاد وعلى الرغم من زخم الامام المتصاعد وخاصة بعد تعيين احد قادته الاكثر تجربه ويدعى قائد بن راجح ، ومضاعفة اعداد المشاة والمدفعيه المحموله على ظهور البغال والخيول لمواجهة صمود يافع في الشعيب إلا انه ونتيجة لذلك اعلنت الموسطه انسحابها من الشعيب وعدت بنظر المراقبين من القبائل الاخرى (كسيرة) وهذا قيل فيها من الشعر الشعبي الكثير لقائل القردي في هزيمة الموسطه في حرب الشعيب للشاعر الشعبي الخضر الريوي .

ما بعد ذخين ياعازم صباح اسرح   بالودعك حط شله من جبل مرواح
الشر في الليل قبل الفجر لاتسرح   قل لاهل اسرار والوكل على الفتاح
المسرحي ذي على الموصات لاتسرح   اهل الخدي... ... ذي نا ... جناح
ذي قال (للعوبي) إذا القتل مايطرح   ماليوم لي معكم جيش الزيود الشاح

ودم اليهود سقوا به قبر لـــــوح | البشلبه اروا شـــواهدها وبـــاذلاح
وقال بالقبلـه يـــاطل علـــي ســـلاح | ماليوم هـذا مقدر علي من قـــنا الرقاح
اعمر حطب القعيطي والجـــل واســـح | وبعصـــائب اعمر ومحمد الوسـطي مشاح
قـل للرشيدي يلـك البـــاب ذي صـــلح | يـارب مثلـه تقيع بين الخصـــوم اصـلاح
والحوثري ركـب المـــنى بوقــت اضـح | قـد كــانوا أخــوة يقـــادون في ارواح
لاتطــرح الشـيخ صـــالح عنـده الـروح | بيت بـن شـيهون بيت القـدر والذبـاح
سلم على الآلاف مــاريح العشــى تـدخ | بعطـر أصلــي ونـــــه بالكـــاذي الفــاح
وإذا قـال جلسك فصابر بـــالي والنصح | قلـه قـدك شيخ عـاول للحكي فصـــاح
فإن كـــالا واسـه مشـعن كـــــانه ادومـــح | والله الشي كيف بعـد العنش والدرماح
يهوين على الوسطه كانــه صـــو بلـبح | اليوم مشـــــل الجـــن لاتـــافه الذبـــاح
والوســـطي والشـــعيبي زرع مـــاينجح | ومـافيح مـن صـــــوته كنـــه الشــراح
عاشي لكف منكم مـــالك يلـم لشـــرح | ولاقطـه وحـل النـــــــــــــسر لاياتــاح
قلب الحضري مهلـم واكـثـر النــــواح | على الوسطه يوم جبهـــة الـناس يـاقداح
والقين علـوا علـى المعـــار مـا يـدخ | يغشى حبيي محمد في عيشـي واصبـــاح



مقر الحزب الاشتراكي بعد أن تحول إلى كلية التربية بيافع

من اشعار الشعيب الشعيبه : ازاء تلك الحرب

قال الشاعر معتلي صالح مسعود :

يالعشمك ليه المعـــرك حصل
تـــقدموا والشعب القدمه
والحرب ظلي على سهم السبل
هرتي ومرور وجورمل حنقله

مختماً إياها :

وبعد شالوا لنا حل القبل
ذي جابنا قد تروح مشأنه

إلا أنه وبعد تلك الهزيمة اعلنت بريطانيا وقوفها الى جانب الأمير نصـر شـايف امير الضالع ودعمه لاسترداد ما اخذه جيش الامام بما فيها بلاد الشاعري والشعيب ([٩٠]) وانذرت جيش الامام بالانسحاب من كـل الاراضي الضالعيه ، اليافعيه ، الردفانيه ، والا فستكون العواقب وخيمة وبدأت باستخدام الطـائرات وقصف مواقع جيش الامـام حتى اذعن وانسحب من كـل الاراضـي المحتلـه ، انتهت بالاتفاقيه وترسيم الحدود سنة ١٩٣٤م .

ومن حينهـا سلمت بلاد الشعيب للشيخ محمد مقبل السقلدي ودعمته بريطانيا حتى تبين له ازدياد نفوذ التدخل الانجليزي بشئون بلاده ، وعندما لم يذعن للسياسة الانجليزية فر ساخطاً والتجأ عند الامام سنة ١٣٦٧هـ .

واحيل جزء من بلاد الشعيب (بنو مسلم) لادارة الشيخ قاسم بن عبدالرحمن القلحي .

---

[٩٠] ١) الاسرار : الأولياء ٢) ليشلبه (سلاح بلجيكي) ٣) مشعن : كثير الشعر ويقصد هنا كثير العدد . ٤) الدرماح : كثير الشعر ويقصد هنا كثرة العدد ٥) مشر : مرير الطعم .

علاقة يافع بحالمين :

جرت حالمين على نفس النمط اليافعي واحتسبت مكملة ليافع في كثير من الأمور القبليه قديماً وحاضراً . وكان يقال بانها رديفاً للموسطه في كثير من المخارج العسكرية القبلية وإن كانت تعد إمارة مستقلة عن يافع مشيخياً وادارياً، وهي قبيلة ذات عزة وإباء وتنقسم الى أربعة اقسام :-

مسلمي – جبراني – وعمري – وعلوي اضافة الى قبائل الارباع([91]) وهي أربع قبائل موحدة تحت اسماء :

القاضي – الليثي – الانعمي – العكيمي ، وهناك قبائل صغيره مثل الحشري – النسري – الجعشاني – قبيلة الدففلي علاوة على قرية خرفه مقر الأمير الحالي .

ولقد كانت لها مواقف تاريخيه مع يافع في زمن أميرها أحمد بن قاسم بن شعفل الذي ذكر في التاريخ بانه تقطع قافله حمولة عشرون جمل صداق بنت السلطان قحطان العفيفي المرسوله مع صاحب المواهب الأمام المهدي وكاد ذلك العمل أن يؤدي بالعلاقة اليافعيه الحالميه الى الحضيض لولا تدخل المنصب الشيخ عبدالعليم في الازمة وحلها مقابل بياض الوجه ليافع واستعادت القافله سيرها نحو (القارة)، ومن بعدئذ عادت العلاقة اليافعيه الحالميه تتوطد بل أنها وقفت الى جانب الموسطه في حرب الشعيب وحاصرت الشعيب من جهة رباع باستثناء قبيلة القاضي التي ساندت الشعيب ثم دارت الحرب بعد انتهاء حرب الشعيب ويافع بين حالمين والشعيب وبين القبائل نفسها نتيجة لذلك الخلاف .

وأدى الى دعوة القبائل التي كانت قد ساندت الشعيب الى صفوف لرباع لمواجهة الشعيب واستمرت هذه الحروب ثمانيه عشر يوم لتدخل على اثرها حيدره نصر شايف الضالع وبعض الساده لفض النزاع .

[91]) قبائل الأرباع (ارباع) هي قبائل : القاضي ، الليثي – الانعمي – العكيمي .

حرب نعوه ([92]) :

حدثت هذه الحرب سنة ١٩٠٦م في عهدي شيخي الموسطه محسن بن عسكر النقيب واخيه علي عسكر النقيب .

وقد افادنا الحافظه الوالد عبدالحافظ العوادي ببعض المعلومات عن هذه الحرب فقال ان سببها قدوم بنت على محسن النعوي الى بلدة ومكاتب (الموسطه) (معروبة) أي لاجئه من ظلم احاق بها حسب الاعراف القبليه ، فقد اتت الى حيل الخيل مع مرافقيها و (دفرت) ثم نزعت خمارها (برقعها) ومزقته ارباع على عدد مكاتب الموسطه (الاربعه) وكان ان عقرت (ضمد)([93]) في ذلك الحيل ([94]) استجارة وعروه لردع الباطل الذي حل بها وباهلها من قبل الغاصب لملك وممتلكات والدها (علي محسن النعوي) من قبل السلطان النهب (سلطان غيله ونعوه) فما كان من الموسطه إلا ان قبلت تلك الاستجاره وأوتها الى (القدمه) مقر شيخ الموسطه ووضعت ببيت (بن صافي) معززه مكرمه حتى يسترد لها الحق المسلوب .

وقيل انها جاءت في وقت كانت الناس منشغله بوديانها بما يسمى (موسم العلان) أي الموسم القريب من الحصاد . ولهذا انتظر الشيخ النقيب حتى تمام الحصاد ومن ثم التجهيز للحرب (المخرج) وعندئذ بدا الشيخ بمراسلة مكاتب الموسطه لحثهم على الاستعداد وفي نفس الوقت أخذ بمراسلة السلطان النهب) لعله ينصاع لمطلب الحق والمشارعه حسب الاعراف القبلية لكنه ابى واستكبر وآخر ماوصل من ردوده :

انه المسمى بالنهب مرفقاً رسالته المخطوطه بالدم خمس رصاص فلوكل النقيب بالرد الى العاقل محمد الخلاقي الذي قال إذا كنت الذهب فسوف تكون لك (البوطأ) أي (المجلى) وسوف ننقيك من ادارنك .

[92]) نعوه بلدة من مخلاف جبن في وقتنا الحاضر وكانت من السابق عدادها من يافع ، ص ١٧٦ – صفة الجزيرة .

[93]) ضمد بكسر الضاد وتسكين الأخريين تعني رأسين بقر .

[94]) الحيل : تعني الساحه الفسيحه موقع قدوم الضيوف وموقع الاحتفالات .

عندها لم يكن بد مما ليس منه بدا مخرج بن نقيب ومعه في بادئ الأمر ثمانون مقاتل ارتفع الى مئتين مسلح لم يشارك بها الخلاقي إلا باعداد ثمانيه وعند الهجوم رات الموسطه ان يكون الهجوم من ثلاث جهات تاركة الجهة الرابعه مفتوحه للفرار وهروب النعويين وفي هذه الحرب قتل ابن اخي محمد الخلاقي فقال الحمد لله حتى لايقولون الخلاقي ماحضر ، وقد استطاعت الموسطه ان تحقق نصراً كاسحاً على الذهب واسرت منهم خمسة وعشرين نعوياً كان من بينهم سلطان نعوة وغيثه (الذهب) واستعادة الحقوق المسلوبة لبنت علي محسن النعوي واعيدت الى بلادها مشقرة بالنصر ومما قيل في هذا الصدد بعض الزوامل : –

يانعوة انقدي لين عسكر علي ***ولاتقد يش المازر والمروءت

وبعد النصر والعودة قيل :

نعوة تـوده واهلهـا كـــــلاشرد	والحـرب ظلـي بالشـوارع والبيـوت
ظلـه صريـخ افريحـه مثـل الـبرد	ذي ماحـضر ياحسـرته لـما يمـوت

وقيل في زامل آخر :

سلام لليله والتى عشـــــــــرميه	يابن الذهب سلطان غيثم([65]) كلها
سيله حرد ([66]) وامسى يسقي بالبلد	وان قد رعد من راس يافع شلها

---

[65]) غيثه أو (قيفه) قرية تقع شمال رداع بخمس ساعات الأكليل . ص ٥٢ .

[66]) حرد : إندفاعه قوي .

مصادر البحث والمراجع

١. الأكليل للهمداني ، الجزء الأول – والثاني – والثامن – والعاشر .

٢. صفة جزيرة العرب للهمداني : تحقيق محمد بن علي الاكوع سنة ١٩٤٧م.

٣. المستشرقون وآثار اليمن (مركز الدراسات والبحوث اليمنيه) – المجلد الأول والثاني – قصة المستشرق السويدي لندبرج مع مراسلات اليمنيه له.

٤. مسالك الذهب في معرفة قبائل العرب (للشيخ البغدادي) اصدار دار الحياة – بيروت .

٥. مقالات ودراسات عن مديرية يافع وتاريخها ، اصدار دار الفارابي – المجموعة من الكتاب الصحفيين.

٦. هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن للمؤرخ : أحمد فضل العبدلي .

٧. تاريخ اليمن القديم : محمد عبدالقادر بافقيه ، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر سنة ١٩٨٥م .

٨. الجامع (٤ أجزاء) محمد عبدالقادر بامطرف .

٩. العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الاسلام) – للمؤلف . لطفي عبدالوهاب يحي – دار النهضة العربية بيروت ، طبعه ثانيه ١٩٧٩م .

١٠. اليمن قبل الاسلام ، والقرون الأولى الهجره – تعريب ، محمد الشعبي للمؤلف : ج.ب بيتروفسكي – طبع دار العوده بيروت .

١١. الثناء الحسن على اهل اليمن : للمؤلف / محمد بن عبدالملك المروني ، طباعة دار الندى – بيروت – الطبعه الثانيه سنة ١٩٩٠م .

١٢. معجم المدن والقبائل اليمنيه – اعداد ابراهيم أحمد المقحفي ، منشورات دار الكلمة صنعاء .

١٣. كتاب التيجان في ملوك حمير (تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنيه) .

١٤. العرب قبل الاسلام للمؤلف : جرجي زيدان – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت .

١٥. يافع في ادوار التاريخ للشيخ : عبدالله بن أحمد محسن الناخبي ، طبعة سنة ١٩٩٠م الأولى مع ملحق قيد الطبع المسمى الكوكب اللامع لما اهمل من تاريخ يافع .

١٦. التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) للمؤلفه الباحثه د. اسمهان الجرو – اصدار مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعه – اربد – الأردن ١٩٩٦م .

١٧. شبوه عاصمة حضرموت القديمه – نتائج اعمال البعثه الفرنسيه اليمنيه للتنقيب عن الآثار إعداد : د . عزة عقيل – د. جان فرانسو – طبع بيروت سنة ١٩٩٠م دار بيسان .

١٨. صلاح البكري – في شرق اليمن (اصغر جندي في العالم) طبعة سنة ١٩٥٥م بيروت .

١٩. جامع انساب قبائل العرب : سلطان طريخم المنهب السرحان – قطر .

٢٠.الموسوعه الميسره في الأديان والمذاهب المعاصره – الندوة العالمية للشباب .
٢١.صفة بلاد اليمن : لابن المجاور .
٢٢.تاريخ غزوات العرب : تأليف : الأمير شكيب ارسلان – دار الكتب العلميه – بيروت .
٢٣.من ينابيع تاريخنا اليمني (اشعار واجيج عدم سبعه) مؤلف : نصر صالح حسين سبعه طبعة ١٩٩٤م مطبعة الكاتب العربي : دمشق .
٢٤.الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ من مجاميع محمد بن يحيى زباره الحسني الصنعاني ، الدار اليمنيه للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٤م .
٢٥.تاريخ الخلفاء للسيوطي – دار الجيل بيروت سنة ١٩٩٤م .
٢٦.علماء اليمن في سيرة الاصلاح الشامل بقلم : ابو عبدالرحمن حليس اليافعي سنة ١٩٩٢م .
٢٧.مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان : الجزء الأول – عبدالله بن اسعد اليافعي ، تحقيق عبدالله الجبوري مؤسسة الرساله ، طبع سنة ١٩٨٤م ، بغداد .
٢٨.نفر الدرر المكنون من فضائل اليمن الميمون ، تأليف السيد : محمد بن علي الأهدل ، اصدار الدار اليمنيه للنشر والتوزيع ، طبعة دار المناهل سنة ١٩٨٧م .
٢٩.معالم الآثار اليمنيه : اعداد القاضي حسين حسن السياغي ، مركز الدراسات والبحوث اليمنيه ، صنعاء ، طبعة سنة ١٩٨٠م .
٣٠. مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني : حسين عبدالله العمري ، طبعة أول سنة ١٩٨٠م ، دار المختار : دمشق .
٣١.التصوف في الميزان : الدكتور مصطفى حلمي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
٣٢.الاتجاه الخلم القرمطي (دراسة أدب القرامطه) للمؤلف : محي الدين اللاذقاني .
٣٣.الجامع في اخبار القرامطه للدكتور : سهيل زكار ، دار حسان للطباعه والنشر سنة ١٩٨٧م .
٣٤.القرامطه : نشأتهم ، حروبهم ، عارف تامر ، مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م .
٣٥.شطحات الصوفيه ، عبدالرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت ، سنة ١٩٧٨م .
٣٦.الاسماعيليون عبر التاريخ : سليم حسن هشي ، بيروت ، سنة ١٩٦٩م .
٣٧.اليمن في صدر الاسلام : للدكتور عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع ، طبع دار الفكر ، سنة ١٩٨٧م ، دمشق .
٣٨.جولة تاريخيه في عصر الخلفاء الراشدين ، للدكتور : محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جده ، اصدار سنة ١٩٩٣م .
٣٩.الزيديه (نظرية وتطبيق) علي عبدالكريم مشرف الدين ، طبع ١٩٨٥م .
٤٠.تاريخ ثغر عدن ، تأليف : ابي محمد عبدالله بامخرمه مع نخبة من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، منشورات المدينة ، صنعاء .

٤١.تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، حمزة علي ابراهيم لقمان طبعة ١٩٦٠م ، مصر .
٤٢.تاريخ القبائل اليمنيه : حمزة علي لقمان ، الجزء الاول ، طبعة سنة ١٩٨٥م ، دار الحكمة اليمانيه ، صنعاء .
٤٣.الشرائح الاجتماعيه التقليديه في المجتمع اليمني للمؤلف : قائد نعمان الشرجبي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، اصدار دار الحداثه للطباعه والنشر ، ١٩٨٦م .
٤٤.الصليحيون والحركة الفاطميه في اليمن من سنة (٢٦٨–٦٢٦هـ) تأليف حسين بن فيض الحرازي ، منشورات المدينه ، صنعاء ، طبعة ثالثه ، سنة ١٩٨٦م .
٤٥.حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول : عبدالله محمد الحبشي ، منشوررات وزارة الإعلام ، الجمهورية اليمنيه ، سنة ١٩٨٠م .
٤٦.جيش اليمن قبل الاسلام ، العقيد ركن صالح بن أحمد الخارلي : اصدار مطابع دائرة الصحافه والنشر، عدن .
٤٧.الأداب المحققه في محورات الينقه : مؤلف حسن الأبريقي الحضرمي ، تحقيق عبدالله محيرز سنة ١٩٦٢م ، عدن .
٤٨.٤٨– اليمن الخضراء مهد الحضاره ، محمد بن علي الأكوع ، طبع ، مصر ، سنة ١٩٧١م .
٤٩.اللطائف السنيه في اخبار الممالك اليمنيه ، تأليف العلامه محمد بن اسماعيل الكبسي ، مطبعة السعاده ، القاهرة .
٥٠.بهجة الزمن في تاريخ اليمن : المؤلف تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني ، طبعة أولى سنة ١٩٨٨م ، دار الحكمه اليمانيه .
٥١.تاريخ اليمن (تاريخ طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى)
٥٢.تأليف عبدالله بن علي الوزير (١٠٤٥– ١٠٩٠هـ) (١٦٣٥–١٦٨٠م) طبع دار المسيره – بيروت سنة ١٩٨٥م .
٥٣.الحكم العثماني في اليمن ج٦ : (١٨٧٢–١٩١٨م) د. فاروق عثمان اباظه – اصدار الهيئة المصرية للكتاب ، سنة ١٩٨٥م للمؤلف : نجيب سعيد ابو عز الدين ، طبع دار الباحث : بيروت ، طبعه أولى سنة ١٩٨٩م .
٥٤.عدن فرضة اليمن : مركز الدراسات والبحوث اليمنيه للمؤلف : حسين صالح شهاب ، طبعة أولى ، سنة ١٩٩٠م .
٥٥.عدن والسياسه البريطانيه في البحر الأحمر (١٨٣٩–١٩١٨م) د. اباظه .
٥٦.مختصر من تاريخ اليمن للمؤلف عبدالله احمد اعور طبعه ١٩٨٣م ، دار الهداه للطباعه ، صنعاء .
٥٧.وحدة اليمن تاريخياً للمؤلف سيف علي مقبل : دار الحقائق ، صنعاء .

٥٨.البرق اليماني في الفتح العثماني (قطب الدين محمد المكي) (٩١٧– ٩٩٠هـ) منشورات دار اليمامه سنة ١٩٦٧م الرياض .
٥٩.علاقة سلطنة لحج ببريطانيا (١٣٣٧– ١٣٧٨هـ (١٩١٨–١٩٥٩م) د. دلال بنت مخلد الحربي ، طبع ١٩٩٧م ، الرياض .
٦٠.تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن : تأليف العلامة الشيخ عبدالواسع بن يحي الواسعي ، الطبعه الثانيه ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء .
٦١.نبلاء اليمن بالقرن الثاني عشر للهجره ،أو نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف الى سنة ١٣٧٥، للسيد العلامه محمد بن محمد بن يحي زباره الصنعاني ، المجلد الاول ، والثاني ، والجزء المسمى (تقاريظ) ، اصدار مركز البحوث اليمني ، صنعاء ، طبع دار الآداب ، بيروت ، (١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ)
٦٢.من حقيبة الدهر للانسان تحكي عن اخبار ردفان : للمؤلف : سالم راشد المليباني : اصدار مطابع دائرة الصحافة والنشر ، عدن ، سنة ١٩٩١م .
٦٣.تاريخ حضرموت السياسي : صلاح البكري ، جزء أول سنة ، ١٩٣٦م ؛ جزء ثاني سنة ١٩٥٦م ، طبع الحلبي ، مصر ، طبعه اولى .
٦٤.تاريخ حضرموت (المسمى بالعدة المفيده الجامعه لتواريخ : (قديمه – وحديثه) للشيخ العلامه سالم بن محمد سالم الكندي المتوفي سنة ١٣١٠هـ ، تحقيق عبدالله الحبشي ، اصدار مكتبة الارشاد، صنعاء، طبعة أولى ، سنة ١٩٩١جزئين .
٦٥.ربات ماليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت عبدالخالق البطاطي ، الطبعة الاولى ١٩٨٩م .
٦٦.في سبيل الحكم الطبعه الثانيه ، الهمداني للنشر ، تأليف : محمد عبدالقادر بامطرف ، عدن .
٦٧.قيام السلطنه القعيطيه والتغلغل الاستعماري في حضرموت منذ (١٨٣٩–١٩١٨م) للمؤلف الدكتور محمد عبدالكريم عكاشه ، اصدار دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان الاردن .
٦٨.صفحات من التاريخ الحضرمي ، سعيد باوزير ، مكتبة الثقافة ، عدن .
٦٩.تأملات عن تاريخ حضرموت ، للسلطان غالب بن عوض القعيطي اليافعي ، طبعة أولى ، سنة ١٩٩٦م ، جده .
٧٠.معارك حاسمه من تاريخ اليمن (حمزة علي لقمان) مركز الدراسات اليمنيه ، صنعاء .
٧١.صالح عبده سالم البكري : علي افادته لنا ببعض ماكان لديه عن يافع ، جزاه الله خيراً .
٧٢.عبدالله سالم (القندول) وعبدالسلام العاشر على رأس حصان وبعض الآثار القديمه في احد المقابر.

٧٣.عبدالرب علي سعيد (صور القصف البريطاني ليافع) عنده مجموعه صور منذو الخمسينات ، للكمة الحربي – قرية المعربه – وادي ظبه – قرية الريبعه – قرية الناصيه – دار السنين – قرية الخربه إضافة الى بعض الصور لوديان وقرى يافعين بأيهم .
٧٤.مرجعية ماقدمه لنا الأخ الفاضل صلاح ثابت عبدالله بن سبعه .
٧٥.مرجعية مجهود البحث لبعض المأثر الشعبي للشاعر الشعبي عبدالله علي جبران .
٧٦.مرجعية البحث للوالد قاسم فاضل الصلاحي على مساهمته معنا في التدقيق في النظم والتقاسيم الادارية للمشيخات اليافعيه .
٧٧.مرجعية البحث الى الوالد عبدالحافظ العوادي .
٧٨.مرجعية البحث عن ما قدمه الباحث المستشرق My/ Flagg Miller من ولاية نيويورك الأمريكية .
٧٩.مرجعية البحث عن ما قدمه طيب الذكر الأخ محمد يحي (حناظ).
٨٠.مرجعية البحث عن ما قدمه الوالد سالم ثابت عبد الجبار العفيفي .

تنويه واعتذار

نتقدم بالاعتذار ، وأسفنا الشديد لكل من سقط اسمه سهواً من الإهـداء في كتابنا الموسوم / وقائع من تاريخ يافع ، وعلـى وجـه الخصـوص / الشيخ عمر قاسم العيسائي وأولاده الأكارم :

- الشيخ محمد عمر قاسم العيسائي .
- الشيخ سعيد عمر قاسم العيسائي .
- الشيخ عبد الله عمر قاسم العيسائي .
- الشيخ محمد منصر العيسائي .
- الشيخ محمد علي العيسائي .
- الشيخ صالح أحمد العيسائي .
- الأستاذ الفاضل محمد بن محمد الرشيدي .
- الأخ الفاضل وليد محسن الحريبي .
- الأخ محمد بن محمد ديان .
- الأخ عبد الرحمن البعسي .

كما وأننا نشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب وأشـرف كالأخ عمر أبو بكر باعبيد .

محسن ديان

حدثت بعض الأخطاء المطبعية في هذه الطبعة من كتاب وقائع من تاريخ يافع ، فيما يلي جدول بالخطأ والصـواب ، نضعه بين يدي القراء الكرام لتفادي الخطأ مع تقديم خالص الاعتذار .

جدول الخطأ والصواب

الخطـأ	رقـم الصفحة	الصـواب
بابتسامه	١٠	بابتسامته
لايعني	١٢	لايسعني
لجموع	١٤	لجموع
يسحب	٢١	يشجب
زيد الجمهوري	٢١	زيد الجمهور
الجزء ١٢	٢٢	الجزء (٢)
معر فوا	٢٦	عرفوا
هاجرة ت	٢٧	هاجرت
مغعادرة	٢٧	مغادرة
محمدج	٣٠	محمد
أمد بعيدة	٣١	أمد بعيد
يقتضيه	٣٣	تقتضيه
فرماني	٤٤	ذرقاني
الرسول الكريم	٥٣ – ٦٢	رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرأ بهذا الشكل عند ذكر النبي
المحضوره	٥٦	المحفورة
لالي	٥٩	لي
زماني	٦٠	روماني
الحلقة	٧٩	الحقت
سيتمر	٧٩	يستمر
عما	٨٢	عن
عما	٨٣	عليه
عليهم	٨٣	عليه

الخطـأ	رقـم الصفحة	الصـواب
الداخلهيه	١٠١	الداخليه
لخدة	١٩١	لخدمة
الخالصة	١١١	الخلاصة
المستوجدب	١١١	المستوجب
العمام	١١٣	التام
	١٢١	سطر مكرر بالهامش
الصورة الفوقية	١٣٠	صومعة الشيخ العفيفي
الصورة التحتية	١٣٠	صومعة آل سعيد
الفر	١٣٥	الفرد
القايد	١٣٧ – ١٣٨	القائد
ويتهرون	١٣٧	ويهزّون
وصعوا	١٣٨	وضعوا
قصاالقصي	١٤٣	قصاصي
	١٤٥	فصل العلامة ؛ وتصحيح أوضاع بيت الشعر بقافية (ذابح – صحيح)
أزعل	١٥١	أغضب
٢٤ م	١٥٢	٢٤ من ليلة صفر سنة ٧٢٨هـ
قايدي	١٥٩	قائدي
بقية	١٧٨	بغية المريد
رصاص	٢٠٣	رصاص البندقية
لشمائة	٢٠٩	ثلاثمائة
مئة	٢٤٧	مائة
ن ووجه	٢٤٩	ووجه
الناضي	٢٥٩	الناخبي
الردفالية	٢٦١	أهل ردفان
بينعهم	٢٦٣	بينهم
الشعبية	٢٦٩	من أشعار الشعب الشعبية
العاشر	٢٧٦	العاثر

الطبعة الأولى

٢٠٠٠ – ١٩٩٩/٥

مطبعة الكاتب العربي
دمشق ـ شارع خالد بن الوليد
☎ ٢٢٢٢٠٣٨ ـ ٢٢١٩٧٣٨